

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة



الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي
-العالم الفقيه والداعية المصلح-

كتاب جماعي بمناسبة تخرج الدفعة الثامنة والثلاثين (38)

12 محرم 1447 هـ - 08 جويلية 2025 م

معلومات الاتصال بالجامعة

عنوان الجامعة:

نهج قدور بومدوس، ص ب 137، قسنطينة الجزائر

الهاتف / الفاكس:

00213.31.92.21.79

00213.31.92.21.41

البريد الإلكتروني:

contact@univ-emir.dz

موقع الجامعة على شبكة الانترنت:

www.univ-emir-constantine.edu.dz

صفحة الجامعة على الفيسبوك

<https://www.facebook.com/usieak>

الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي العالم الفقيه والداعية المصلح

كتاب جامعي بمناسبة تخرج الدفعة الثامنة والثلاثين، 2024-2025

الإشراف العام:

الأستاذ الدكتور السعيد دراجي مدير الجامعة

رئيس لجنة القراءة والتحكيم: الأستاذ عزيز حداد

نائب مدير الجامعة المكلف بالتكوين العالي في الطورين الأول والثاني والتكوين المتواصل والشهادات وكذا التكوين العالي في التدرج بالنيابة

أعضاء لجنة القراءة والتحكيم:

أ.د. عبد الناصر بن طناش أ.د. زين الدين بن موسى

أ.د. عيسى بوعافية أ.د. عبد الرحمان خليفة

الإشراف الإداري والتقني: السيد / عادل صال

متصرف مستشار ورئيس مصلحة التكوين المتواصل

الطباعة: فرع الطبع بمركز الطبع والسمعي البصري
بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة - الجزائر-

12 محرم 1447 هـ - 08 جويلية 2025 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ

وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

سورة فصلت، آية 33.

صدق الله العظيم

كلمة السيد مدير الجامعة أ.د. السعيد دراجي

نصل بمشيئة الله إلى اختتام السنة الجامعية 2024-2025 التي عرفت حركة نشطة تعكس التطور النوعي الذي بلغته الجامعة في جميع مستوياتها بفضل الأساتذة والباحثين والموظفين وطلبة العلم والمعرفة وكذا الدعم الذي تتلقاه من الجميع. وككل نهاية سنة جامعية نختتم بتتويج الطلبة الأوائل نظير مآثرهم ومجهوداتهم طيلة مسارهم الدراسي سواء في مرحلة الليسانس أو في مرحلة الماجستير.

تشرف جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية في هذه السنة الجامعية 2024-2025، بتسمية الدفعة المتخرجة الثامنة والثلاثين (38) باسم العالم الفقيه والداعية المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي، وهو أحد علماء الجزائر الأفاضل وأحد أعلام الفكر الإسلامي الذي عمل على نشر الإسلام والتصوف في إفريقيا، وكانت الجزائر قد نظمت ملتقى علميا دوليا حول شخصيته في ديسمبر 2022 موسوم بـ "الحوكمة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدها" تحت رعاية السيد رئيس الجمهورية مما يعكس مقام هذا العالم الجليل الذي سطع نجمه في القرن الخامس عشر.

كما لا يخفى على أحد وإكراما له، فقد تم تسمية ملحقة 2000 مقعد بيداغوجي الكائنة بعلي منجلي باسمه، والتابعة لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

دأبت الجامعة على إنجاز كتاب كل نهاية سنة جامعية تكريما لدفعة الطلبة المتخرجين في مختلف تخصصاتها وتهدية للشخصية التي تحمل اسم الدفعة وهي سنة حميدة أقرتها الجامعة منذ سنوات بتسمية الدفعات المتخرجة. وعليه فإن كتاب هذه السنة الخاص بالعلامة محمد

بن عبد الكريم المغيلي ساهمت فيه نخبة من الأساتذة، وهو لفتة اعتراف وتقدير وتمجيد له، فكل الشكر والتقدير للذين أسهموا في انجاز هذا الكتاب من أساتذة ومشرفين ومنظمين.

كما أغتنم فرصة الاحتفاء هذه بتكريم الطلبة المتخرجين في آخر السنة لأسدي الشكر إلى كل الأسرة الجامعية من المسؤولين والإطارات الإدارية والعلمية والأساتذة والطلبة والموظفين، كل على مستواه، على ما بذلوه من مجهودات وتفانيهم في إنجاح الموسم الجامعي والمحافظة على رسالة هذه الجامعة التي تبقى صرحا مميزا للجزائر وللشعب الجزائري وللإنسانية جمعاء... وباسمهم كذلك أتقدم بالتهنئة لطلبة الدفعة الثامنة والثلاثين المتخرجين، والأوائل منهم خاصة، راجيا من الله عز وجل أن يسدد خطاهم وأن يكونوا خير سفراء للجامعة في حياتهم العملية والمهنية.

والله ولي التوفيق

قسنطينة في: 08 جويلية 2025

تقديم الأستاذ عزيز حداد

نائب مدير الجامعة المكلف بالتكوين العالي في الطورين الأول والثاني
والتكوين المتواصل والشهادات وكذا التكوين العالي في التدرج بالنيابة

دأبت جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية منذ سنوات على إنجاز كتاب جماعي على شرف طلبة الدفعة المتخرجة، تحمل أسماء قضايا مهمة أو قامات علمية ورموز وشخصيات وطنية عالمية بارزة قدمت خدمات جليلة لهذا الوطن الحبيب عبر التاريخ، ومنها: "الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، العالم الفقيه والداعية المصلح"، -رحمه الله- الذي سميت باسمه الدفعة الثامنة والثلاثين (38) المتخرجة في السنة الجامعية 2024-2025، لتضاف لأسماء شخصيات عديدة أطلقت على دفعات سابقة، نذكرها: الانتفاضة الفلسطينية (2001م) - الشيخ أحمد حماني (2002م) - الشيخ الفضيل الورتلاني (2003م) - الرئيس الراحل هواري بومدين (2004م) - الأستاذ مالك بن نبي (2006م) - الأستاذ مولود قاسم نایت بلقاسم (2007م) - الأستاذ يحيى بوعزيز (2008م) - الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (2009م) - الشيخ أحمد بن يوسف أطفيش قطب الأئمة (2010م) - الشيخ عبد الرحمن الجليلي (2011م) - الشيخ الشهيد العربي التبسي (2012م) - الرئيس الشاذلي بن جديد المجاهد المناضل (2013م) - الأستاذ عبد الرحمن شيبان المجاهد المرابي المصلح الأديب (2014م) - الدكتور أحمد عروة المجاهد الحكيم المفكر الأديب (2015م) - من أعلام قسنطينة في إطار قسنطينة عاصمة الثقافة العربية (2016م) - المجاهد بوعلام باقي من معركة التحرير إلى البناء والتشييد - تضحية وعطاء - (2017م) - المجاهد المصلح الشيخ نعيم النعيمي عطاء متنوع متميز (2018م) - المصلح المرابي الفقيه الشيخ سيدي محمد بن لكبير (2019م)، - الأمير عبد القادر الجزائري - المجاهد العالم الصوفي - (2024م).

يعد الإمام محمد بن عبد الكريم الميالي -الذي سميت باسمه الملحقة الجديدة لجامعتنا بمدينة علي منجلي- من أبرز أعلام الأمة والوطن، الذي سطع نجمه في عصره في الجزائر وأفريقيا جنوب الصحراء خاصة والعالم الإسلامي عامة، بما قدمه وامتاز به من غزارة علم تعليما وتأليفا، وما قدمه من جهود وتضحيات في مجالات الفتوى والقضاء والدعوة والإصلاح والجهاد والحكمة الراشدة في القيادة والسياسة وغيرها... وقد أشاد به كثير من أقرانه ومنهم السيوطي مما قاله فيه:

سلاما على هذا الإمام فكم له لدي ثناء واعتراف بفضله

ومن باب الاعتراف بفضل هذا العلم والقامة المتفردة، فقد انبرت أقلام مجموعة من الأساتذة والباحثين الأفاضل بالكتابة عنه والتعريف بجوانب من حياته وأعماله ومواقفه العلمية والعملية الإصلاحية، التي تضمنها كتاب هذه الدفعة، ما يفتح المجال للمؤلفين والباحثين للتعمق أكثر حول شخصيته وجهوده المتميزة، وهذا أقلّ ما يقدم تقديرا لجهودات هذا الإمام والعالم الفقيه والمصلح في خدمة الإسلام والوطن والأمة والإنسانية، وتشريفا لطلبتنا الأعزاء بالاعتزاز والافتخار والاقتداء به وبعضماء رجالات الجزائر الحبيبة في مسيرتهم العلمية والعملية.

**وفق الله الجميع وسدد خطانا في خدمة البلاد والعباد.
المجد والخلود لشهدائنا الأبرار، وتحيا الجزائر.**

قسنطينة في: 08 جويلية 2025

المحور الأول:
الجهود الإصلاحية والدعوية
للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي
وامتدادها الإفريقي

الشيخ الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي الفقيه المصلح

الأستاذ الدكتور / كمال لدرع¹

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

تمهيد:

الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني شخصية علمية بارزة خلال أواخر القرن التاسع الهجري وبداية القرن العاشر الهجري والخامس عشر الميلادي، أُلِّفَتْ حوله كتبٌ، ونشرت بشأنه مقالات، وانعقدت لمآثره مؤتمرات وندوات علمية، وكان آخرها الملتقى الدولي بالجزائر العاصمة يوم الاثنين 12 و13 ديسمبر 2022م بعنوان: "الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي: الحوكمة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدتها"، ولا يزال الباحثون يتناولون جهوده بالدراسة والبحث، لما تركته من آثار علمية مختلفة، ولما قام به هذا العالم الجليل من ثورة فكرية علمية وإصلاحية مست مختلف المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ومواقف شجاعة تجاه قضايا الفساد، والتصدي للفتن التي كانت تثار داخل المجتمع المسلم، وكان لهذا المنحى الإصلاحي صدهاء على طول الساحل الإفريقي وحتى أدغال

¹ - كلية الشريعة والاقتصاد، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر

إفريقيا مروراً بمنطقة توات التاريخية محل إقامته النهائية وموطن جهاده التاريخي ضد اليهود المعتدين.

فالإمام المغيلي التلمساني أحد كبار العلماء الجزائريين الذين جمعوا بين العلم والعمل في أواخر القرن التاسع وبداية القرن العاشر الهجري الخامس عشر ميلادي، كان يحظى باحترام وتقدير كبير داخل الوطن وخارجه في تلك الفترة خصوصا من قبل أمراء وشعوب بلدان القارة الإفريقية من دول الساحل، وكانت له مواقف تاريخية شجاعة اتجه قضايا عصره، وما قام به من أدوار إصلاحية بارزة في المجالات العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وفي الدعوة ونشر الوعي والهداية في بعض بلدان إفريقيا.

وقد بحث الموضوع من خلال الخطة الآتية:

تمهيد:

المطلب الأول: التعريف بالشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي

أولا: نبذة عن حياته وتكوينه العلمي

ثانيا: النشأة العلمية

ثالثا: رحلته إلى الحج ولقاؤه علماء المشرق وعودته إلى منطقة توات ووفاته

رابعا: تأثير الشيخ المغيلي في العلماء والفقهاء وحركات الإصلاح في الصحراء.

خامسا: مراسلاته وعلاقته بعلماء عصره

سادسا: ثناء العلماء على الشيخ المغيلي

سابعا: آثاره العلمية

المطلب الثاني: الفقه والإصلاح عند الشيخ المغيلي

أولاً: النظر الفقهي عند الشيخ المغيلي

ثانياً: الشيخ المغيلي مصلح وداعية

المطلب الثالث: نماذج من فتاويه الإصلاحية وموقف علماء عصره منها: (نازلة توات

أ نموذجاً)

أولاً: وضع اليهود في منطقة توات

ثانياً: فتوى الشيخ المغيلي بشأن نقض يهود توات لأحكام الذمة الشرعية

ثالثاً: فتاوى العلماء في قضية يهود توات

الخاتمة

المطلب الأول: التعريف بالشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي:

أولاً: نبذة عن حياته وتكوينه العلمي¹:

هو محمد بن عبد الكريم بن محمد بن مخلوف بن علي بن الحسن بن يحيى بن علي بن أحمد بن عبد القوي بن العباس، المغيلي التلمساني، أبو عبد الله، ويصل نسبه من جهة أبيه إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت الرسول صلى الله عليه وسلم. ولد بحاضرة تلمسان التي تقع بالغرب الجزائري أواخر القرن أو أواخر القرن التاسع العشري الهجري الرابع عشر (14) ميلادي، في أواخر عهد مملكة بني زيان، واختلف العلماء في تحديد تاريخ ولادة الشيخ محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي، قيل سنة 1425/790م، وهو تاريخ بعيد عن الصواب،

¹ - ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشريف الملبتي المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، راجعه محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، سنة 1326 هـ/1908م، ص: 253-257 - عباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، سنة 1413 هـ/1993م، ج: 4، ص: 125 - التنبكي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقدم عبد الحميد عبد الله الهزامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط2، سنة 2000م، ص: 576 و577، رقم ترجمته: 701 - الحفناوي، أبو القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، تحقيق خير الدين شترة، دار كردادة، الجزائر، ط1، سنة 1433 هـ/2012م، ج: 1، ص: 657-661 - مخلوف، محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر، ص: 274، رقم الترجمة: 1017 - الزركلي: خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7 سنة 1986م، ج: 7، ص: 84 - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، دار الوعي، الجزائر، ط سنة 1438 هـ/2017م، ص: 409 و410.

وقيل سنة 820 هـ الموافق 1417م، حسب ما نقله أحمد بن القاضي في كتاب الوفيات، وهو ما ذكره عبد الحميد البكري¹. وقيل سنة 831 هـ الموافق 1427م².

يُعتبر محمّد بن عبد الكريم العالم من سلالة المغيليين التي تبتدئ بإلياس المغيلي، العالم البربري الذي اعتنق الإسلام، وحمل لواء الجهاد فكان له شرف المشاركة مع طارق بن زياد في فتح الأندلس. فقبيلة مغيلة التي نشأ فيها والتي ينتسب إليها هي من البربر، وهي قبيلة كبيرة انتشرت في وهران وتلمسان والمغرب الأقصى، وهي إحدى فروع قبيلة صنهاجة العظيمة، صاحبة الأثر في حياة المنطقة. تربى في عائلة عريقة اشتهرت بالعلم والدين والشجاعة. والدّه هو عبد الكريم اشتهر بالعلم والصلاح، وقد قام والداه بتربيته وتنشئته تنشئة صالحة على العلم والأخلاق الإسلامية³.

ثم راح يستزيد من طلب العلم على يد علماء تلمسان وبجاية والجزائر، إلى أن صار من كبار علماء عصره، جمع عدة فنون علمية: في الفقه والتفسير والمنطق والكلام والسلوك، كما

¹ - عبد الرحمن البكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى الرابع عشر، دار الغرب، الجزائر، ط سنة 2007م، ص: 99 - مهني فاطمة الزهراء، بستاني عائشة، عبد الكريم المغيلي ودوره في هدم الكيان اليهودي في توات (790-909 هـ / 1425 - 1504م)، مذكر تخرج مكملّة لشهادة الماجستير، تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط، إشراف د. بلقاسم بن عودة، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، ص: 23

² - مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية في إفريقيا الغربية، خلال القرن التاسع للهجرة، الخامس عشر للميلاد، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط سنة 2006م، ص: 27

³ - بن يحيى الطاهر ناعوس، سيرة محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني،

<https://www.alukah.net/culture/0/22525/>، نشر بتاريخ

201/6/9م/1431/6/27، واطلع عليه بتاريخ 2025/4/13

كان له اهتمام كبير باللغة العربية كبقية العلماء العقلين كابن قنفذ¹ والمشدّالي² وأحمد البجائي³ وكلهم من علماء الجزائر⁴.

عُرف المغيلي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان له دور كبير في نشر الإسلام في أدغال وممالك أفريقيا السوداء. كما اشتهر بتصديه لليهود في منطقة توات بصحراء أدرار حاليا في الجنوب الجزائري بسبب طغيانهم وتوسع نفوذهم المالي وتدخلهم في الشأن العام، ومضايقتهم للمسلمين.

¹ - هو أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب، أبو العباس القسنطيني، اشتهر بابن قنفذ وبابن الخطيب. متعدد الفنون: فقيه، له علم بالتراجم والحديث والفلك والفرائض، ولد 740 هـ/1340م، وتوفي 810 هـ/1407م.

(الزكري، الأعلام، ج1، ص117، نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 357 و358)
² - هو محمد بن محمد بن أبي القاسم المشدّالي، أبو الفضل، متعدد الفنون والعلوم، مفسّر وعالم بالحديث ورجاله، فقيه أصولي فريقي، من أشهر علماء المالكية في زمانه، اشتغل بالعلوم العقلية والنقلية وفاق أقرانه، ولد في بجاية سنة 821 هـ/1417م، وتنقل في عدة بلدان، ومات في عين تاب بين حلب وأنطاكية حوالي سنة 865 هـ/1461م. (التبكي، نيل الابتهاج، ص: 541 و542 - نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 357 و358).

³ - هو أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أحمد، الشهاب البجائي، فقيه، لغوي، له اشتغال بالمنطق، وغيرها من الفنون كالعروض والصرف، أخذ عن علماء بجاية، ورحل إلى المشرق وحج، وأخذ عن علماء مصر كابن قديد والعز بن عبد السلام وغيرهم، وأخذ أيضا عن علماء المدينة المنورة، ترجم له السخاوي وأثنى عليه. توفي بالقاهرة سنة 860 هـ/1456م ودفن بترية الصالحية. (نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 44)

⁴ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر، الجزائر، ط 6، سنة 2009م، ج: 1،

وبعد جولة كبيرة عبر بلدان منطقة الساحل ناشرا للعلم، أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، انتقل من هناك إلى أرض السودان واتصل بعدة أمراء، ثم عاد في النهاية إلى تمنطيط عاصمة توات أدرار، ليملك فيها مدة من الزمن بيت العلم بين أهلها. وكان استقراره في أول الأمر بحبي أولاد يعقوب ثم انتقل إلى حي أبي علي قرب تازولت، إلى أن وافته المنية بها، بالقرب من قصر بوعلي بلدية زاوية كتته سنة 909 هـ/1504م، ودفن بها، ولا يزال قبره موجودًا إلى يومنا هذا في كونته، ومدرسته وبيته؛ تاركا وراءه ما يقارب ثلاثين مؤلفا ورسالة. وما يزال الناس يزورون الزاوية التي بناها بنفسه إلى الآن ويستذكرون مآثره¹، بقيت آثاره العظيمة التي خلّفها يتناقلها أحفاده والأجيال من بعده.

عاش الشيخ المغيلي في فترة شهدت اضطرابات داخلية وخارجية كان يعاني منها المغرب العربي، وبخاصة المغرب الأوسط والأقصى، بسبب أعمال القرصنة التي كان يشنها الأوروبيون وبخاصة الإسبان والبرتغال، كما عاصر سقوط غرناطة آخر حصن المسلمين في الأندلس عام 1492م، كما كانت تلمسان موطن نشأته تعاني من مشاكل كثيرة وخطيرة بسبب الفساد السياسي داخل العرش الزياني، مما أدى إلى انتشار الفساد والانحلال. ورغم ذلك فقد شهد عصره حياة علمية وثقافية نشطة برز فيها علماء وفقهاء في مختلف الفنون، نهل المغيلي من علمهم، واحتك بهم وراسل بعضهم، فأسهمت تلك الأجواء العلمية في تكوين شخصيته العلمية.

ولم يكن الشيخ المغيلي التلمساني عالما فقيهاً يؤلف ويلقي الدروس فحسب، بل كان رجل دعوة وإصلاح، فكان له دور كبير في إصلاح الشؤون السياسية والاجتماعية ليس فقط

¹ - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 409 و410.

في الجزائر بل في إفريقيا جنوب الصحراء، فنصح أمراء السودان، وحارب الانحلال والآفات، وقاوم طغيان اليهود ولا سيما في توات، وكان كثير المراسلات مع العلماء في قضايا ونوازل عصره، ومنها نازلة يهود توات وتمردهم عما تقتضيه أحكام أهل الذمة.

بعد رحلته في طلب العلم ابتداء من مسقط رأسه تلمسان ثم إلى كل من بجاية والجزائر، وتلقيه العلم عن شيوخهما، وبخاصة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، حتى وصل بعلمه وفصاحته وجرأته إلى مصاف العلماء الدعاة المصلحين أمثال عز الدين بن عبد السلام وابن تيمية، وكان متحرراً من أي تنظيم سياسي أو انتماء إلى طائفة دينية، يشق طريقه بنفسه، متوكلاً على ربّه سبحانه وتعالى، ينشد النصح والإصلاح وتبليغ دين الله تعالى، غير طامع في مال أو جاه أو عيش، فإخلاصه وزهده فيما عند الحكام والناس جعله ذا أثر مبارك بعيد في إفريقيا وبلاد المغرب الأوسط، وظل علامة بارزة وشخصية متميزة في التاريخ الإسلامي¹.

رجع إلى تلمسان لينشغل بالتدريس والتعليم. لكن الفساد السياسي المتفشى في تلمسان، والتعفن في شؤون الحكم في عرش بني زياد، وانحراف أمراء بني زيان، وانغماسهم في الملذات، واستسلامهم لأهواء الأجانب من اليهود والإسبان، جعلته يقرر الهجرة إلى الصحراء للابتعاد عن تلك الأوضاع الفاسدة، أين يمكنه القيام بالوعظ والإرشاد والإصلاح والأمر بالعرف والنهي عن المنكر، فاستقر بتوات²، ومنها انطلق إلى بلاد السودان الغربي³.

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، ص:59.

² - تقع توات بالصحراء الجزائرية من الجهة الغربية، وهي تابعة للإقليم الكبير المسمى اليوم ولاية أدرار، والذي يضم عدة قصور.

³ - مهني فاطمة الزهراء، بستاني عائشة، عبد الكريم المغيلي ودوره في هدم الكيان اليهودي في توات (790-909 هـ / 1425-1504م)، مذكر تخرج مكتملة لشهادة الماجستير، تخصص: تاريخ

ولقد كان المغيلي رجل ميدان، يتابع الشؤون السياسية والاجتماعية، ويدي فيها رأيه بغرض الإصلاح والتوجيه في كل بلد يحل به، وبخاصة عند تنقله إلى جنوب الصحراء، فنصح أمراء السودان وقاوم نفوذ اليهود في توات، وكان محترماً بين علماء عصره، له صلوات معهم، يبادلهم الرأي في القضايا العامة، ويريد معرفة آرائهم فيما كان يواجهه من قضايا ونوازل¹.

ثانياً: النشأة العلمية:

درس الإمام المغيلي أولاً بمدينة تلمسان التي ولد ونشأ فيها فترة من الزمن، وتلقى مبادئ العلوم الأولى بها، وأخذ العلم عن شيوخ كبار ابتداءً من والده. ثم رحل إلى بجاية حاضرة العلم آنذاك فأخذ عن علمائها، وبعدها إلى الجزائر.

1- شيوخه بتلمسان:

أ - والده عبد الكريم المغيلي:

تلقى الشيخ المغيلي الطفل عن والده عبد الكريم القرآن الكريم، فصار قارئاً متقناً مع حُسن التجويد وضبط أحكام التلاوة، كما علّمه والده مبادئ العربية من نحو و صرف و بيان، وقرأ عليه أيضاً موطأ الإمام مالك وكتاب ابن الحاجب الأصلي².

الغرب الإسلامي الوسيط، إشراف د. بلقاسم بن عودة، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، ص: 24

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 2، ص: 69

² - بن يحيى الطاهر ناعوس، سيرة محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني،

<https://www.alukah.net/culture/0/22525/>، نشر بتاريخ

2016/6/9 كم/ 1431/6/27، واطلع عليه بتاريخ 2025/4/13

ب-الإمام محمد الجلاب التلمساني (ت 875هـ):

الإمام محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي التلمساني الشَّهير بالجلاب، الفقيه العلامة، قال عنه الإمام السنوسي: إنه حافظ لمسائل الفقه، أخذ عن شيوخ الونشريسي والإمام السنوسي، قال عنه الونشريسي: "شيخنا الفقيه المحصل الحافظ"، قال الملاي: "ختم عليه السنوسي المدونة مرتين. وله فتاوى في المازونية والمعيار، وله ترجمة في نيل الابتهاج للتنبكي. توفي في 875 هـ¹."

فدرس الشيخ المغيلي عنده ولازمه، فأخذ عنه بعض التفسير والقراءات، ولقنه الفقه المالكي، فقد ذكر المغيلي أنه ختم عليه المدونة مرتين، ومختصر خليل والفرائض من مختصر ابن الحاجب، والرسالة، وهكذا ظلَّ المغيلي يتنقل بين علماء تلمسان ينهل من علمهم ومن أدبهم².

ج-الشيخ عبد الرحمن بن محمد المشهور بأبي يحيى الشريف (826هـ):³

وهو من أكابر فقهاء المالكية، عالم بالتفسير، حافظ محدث، قال عنه أحمد بابا في "نيل الابتهاج": (بلغ الغاية في العلم، والنهائية في المعارف الإلهية، وارتقى مراقي الزلْفى، ورسخ

¹ - الحفناوي، أبو القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، ج:1، ص:617

² - بن يحيى الطاهر ناعوس، سيرة محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، المرجع السابق

³ - هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي بن يحيى الحسيني المشهور بأبي يحيى الشريف التلمساني، الإمام العلامة المحقق، ابن الإمام العلامة المحقق أبي عبد الله الشريف. (التنبكي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص:252 و253، رقم الترجمة:298 -مخلاف، شجرة النور الزكية، ص:251، رقم الترجمة:911)

قدمه في العلم)، فأخذ عنه المغيلي علم التفسير بجميع مدارسه، حتى صار علماً من أعلام التفسير، فأجازته الشيخ ورخص له التدريس¹.

د- الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن الإمام أبي الفضل التلمساني (ت 845 هـ/1441م)²:

لما أراد المغيلي أن يستزيد من علوم أخرى كالتصوف والطب والفنون والأدب، فقصد الشيخ محمد بن إبراهيم العالم بالتفسير والفقهاء المشاركين في علوم الأدب والطب والتصوف من أهل تلمسان، قال عنه السخاوي في "الضوء اللامع": (ارتحل في سنة عشر وثمانمائة فأقام بتونس شهرين، ثم قدم القاهرة فحج منها وعاد إليها، ثم سافر إلى الشام فزار القدس، وتزاحم عليه الناس بدمشق حين علموا فضله وأجلوه)³.

وتمكن المغيلي من علوم اللغة العربية، جعله يسخر ذلك فيما بعد في تدريسها ونشرها في كثير من البلدان الإفريقية بطريقة سهلة وجذابة وبديعة، يشهد له بذلك تلاميذه الذين أخذوا عنه وصاروا علماء⁴.

¹ - بن يحيى الطاهر ناعوس، سيرة محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، المرجع نفسه
² - أبو عبد الله، شهر بابن الإمام، من بيت علم وجلالة، الإمام العلامة الرحلة الفهامة المتفنن في العلوم، حامل راية المنثور والمنظوم. نشأ وتعلم بتلمسان، رحل إلى المشرق ودخل القاهرة وبيت المقدس، وتوفي سنة 845 هـ. (مخلف، شجرة النور الزكية، ص: 254، رقم الترجمة: 922 - (التبكي، نيل الابتهاج، ص: 521، رقم الترجمة: 620 - نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 99 و100)

³ - السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (ت 902 هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، ط سنة 1412 هـ/1992م، ج: 10، ص: 74

⁴ - بن يحيى الطاهر ناعوس، سيرة محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، المرجع نفسه

2 - شيوخه بجاية:

انتقل بعدها إلى بجاية وكانت من أهم الحواضر العلمية الجزائرية والثقافة العربية الإسلامية، العلماء وطلبة العلم من كل الأنحاء؛ وقد أنجبت وخرّجت علماء كثيرين سار بذكرهم الركبان، ليس فقط في المغرب الأوسط أو المغرب الكبير، وذاع صيتهم أيضا في المشرق العربي؛ حيث تولّى بعضهم التدريس والقضاء في الشّام وبغداد ومصر والحجاز، فتلقى عن شيوخها علوما متعددة، كالتفسير والحديث الشّريف والفقّه¹.

ومن شيوخه فيها:

أ- الشيخ أحمد بن إبراهيم البجائي (ت سنة 840هـ / 1434م): إمام جليل، اشتهر بالتفسير والفقّه، وكان من تلاميذ هذا الشيخ شيخ المغيلي الإمام عبد الرحمن الثعالبي. فأخذ عنه علم التفسير والفقّه².

ب- منصور بن علي بن عثمان أبو علي الزواوي المنجلاتي: من كبار فقهاء وعلماء بجاية، ومن ذوي العصبيّة والقوّة فيها، وكان من أصحاب الرّأي والتدخّل في الأحداث السياسيّة لمكانته المرموقة، قال عنه السّخاوي في "الضوء اللامع": (رأيتُ من قال: إنّه الزّواوي العالم الشهير، وأنّه مات بتونس 846 هـ)³، فتلمذ عليه وأخذ عنه الفقّه وعلوم أخرى.

1 - المرجع نفسه

2 - المرجع نفسه

3 - المرجع نفسه

3 - شيوخه بالجزائر:

بعد تلمسان وبجاية انتقل المغيلي لطلب العلم والاستزادة منه إلى مدينة الجزائر قاصداً عالمها وشيخها الإمام المفسّر الصوفي عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي الجزائري المتوفى سنة 875هـ¹، إمام عصره علامة مصنّف، صاحب التفسير المشهور "الجواهر الحسان في تفسير القرآن". لازمه ملازمةً لصيقةً وأخذ عنه، وقد أعجب الشيخ الثعالبي بذكاء طالبه وفطنته فزوّجه ابنته زينب اعترافاً منه بعلمه وفقهه وأدبه²، وأنجب منها أبناءه الثلاثة: عبد الله وعلي وعبد الجبار، وقد كلفه شيخه الثعالبي بنشر الطريقة القادرية بجنوب بلدان المغرب العربي.

4 - شيوخه بتوات:

الشيخ يحيى بن بدير بن عتيق أبو زكريا التدلسي، القاضي، من كبار فقهاء المالكية، من أهل تدلس، تعلم بتلمسان وولي القضاء بتوات، وصفه أحمد بابا التنبكتي في نيل الابتهاج بقوله: "الفقيه العالم العلامة قاضي توات"³. أخذ عنه محمد بن عبد الكريم المغيلي، ويذكر المغيلي أنه: قرأ عليه الصحيحين، والسنن وموطأ الإمام مالك، والفقهاء المالكيين⁴.

بعد هذا التحصيل العلمي والرحلة في طلب العلم، والتلمذ على كبار علماء ومشايخ عصره، صار المغيلي من كبار علماء عصره، حاز علوماً كثيرة، ولم يعد منحصرًا في الفقه ونوازله فقط، بل له مشاركات في فنون كثيرة، في اللغة والتفسير والحديث والمنطق وغيرها،

1 - أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ص 330.

2 - بن يحيى الطاهر ناعوس، سيرة محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، المرجع نفسه

3 - أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص: 325

4 - بن يحيى الطاهر ناعوس، سيرة محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، المرجع نفسه

وقد ترك فهرسا على كتب الحديث التي درسها¹. وكانت له عناية بالحديث، ومنه ومن غيره من العلماء كمحمد التنسي وابن مرزوق بالكفيف² ومحمد بن يوسف السنوسي وعبد الرحمن الثعالبي وأحمد الونشريسي انتقل علم الحديث إلى علماء آخرين، أي عن طريق تلاميذ أخذوا الحديث عنهم جيلا بعد جيل³. كما كانت له عناية بالتفسير ربما تأثرا بشيخه عبد الرحمن الثعالبي الذي ترك تفسيرا بعنوان: "معروف الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، ويُنسب للمغلي تفسير بعنوان: (البدر المنير في علم التفسير)، ولكنه لم يصل منه شيء على حد تعبير سعد الله⁴.

ورغم أن الدراسات الفقهية شهدت تطورا بعد دولة الموحدين، إلا أن الاهتمام أصبح منصبا على الفروع بدل الأصول، وأن الاهتمام بالفروع، واتجاه الكثير من العلماء نحو التصوف والزهد، تسبب في ضعف الدراسات العقلية وعدم العناية بالكليات؛ ومع ذلك فقد وجد في هذا العصر أي القرن التاسع الهجري علماء كبار لهم إنتاج غزير في الفقه وكتب

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، ص:121

2 - هو الإمام محمد بن محمد بن أحمد ابن الخطيب بن مرزوق العجيسي التلمساني، عرف بابن مرزوق الكفيف، وصفه الونشريسي في وفياته بالفقيه الحافظ المصقع، وغيره بالحدث المسند الراوية، وهو من مشاهير المسندي. حج سنة 861 هـ وأخذ عن علماء المشرق والمغرب، توفي سنة 901 هـ. (الكتاني، محمد عبد الحي عبْد الحَيِّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي (ت 1372 هـ)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، سنة 1982م، ج:2، ص:525 و526، رقم رجسته: 299 - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، ص:33)

3 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج:2، ص:33

4 - المرجع نفسه، ج:1، ص:121

النوازل، ألفوا في الفقه وفروعه مثل الونشريسي والمغيلي وابن قنفذ¹ والسنوسي وأحمد المغراوي (ت820هـ)، وغيرهم².

5- تلاميذه:

انتقل المغيلي بعد إتمام دراسته بالشمال إلى الصحراء في الجنوب، فسكن مدينة "توات" التي كانت منطقة عبور والانطلاق لأكبر القوافل التي تقصد السودان الغربي من جهة بلدان المغرب، وكان التواتيون في ذلك العهد يتوافدون بكثرة على السودان³.

قدم الشيخ المغيلي مدينة "توات" واستوطنها سنة 840هـ، ودرّس فيها العلم، وكذلك لما انتقل إلى السودان الغربي، فصار له تلاميذ كثير، إلا أنه لم يصلنا عن تلاميذه إلا القليل، منهم:

أ - محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختي والمشهور بلقب أيد أحمد: كان شيخًا فقيهاً عالماً علامةً، محققاً فهامةً، رحالةً، شهيراً محصلاً لكثير من العلوم. قرأ ببلده على يد الحاج احمد بن عمر وعلى خاله الفقيه علي ثم رحل إلى تكدة أو تغدا وهي قرية من بلاد

¹ - أحمد بن حسن بن علي بن حسن بن علي بن ميمون، أبو العباس الشهير بابن الخطيب وابن قنفذ، القسنطيني، ولد بقسنطينة وبها تعلم سنة 740 هـ وتوفي بها 809 هـ، رحل إلى المغرب وأخذ عن علماء فاس، ثم رجع إلى قسنطينة، تولى بها الخطابة والإفتاء والقضاء، وعكف على نشر العلم والتأليف، ألف في فنون شتى، شرح رسالة ابن أبي زيد، وشرح الأرجوزة التلمسانية في الفرائض، وله تأليف في المنطق واللغة والحساب والفلك وغيرها. (نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 357-359)

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 123

³ - التنبكتي: أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس (ت 1036 هـ)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، ط 2، سنة 2000م، ص: 341

السودان الغربي، فلقي بها المغيلي وحضر دروسه، وأخذ عنه الفقه والمنطق والحديث والعقيدة¹. ثم رحل إلى المشرق صحبة الفقيه محمود، وأخذ من علمائها علم الحديث واجتهد حتى تميز في الفنون وصار من المحدثين ثم رجع لبلاد السودان وتولى القضاء².

ب-العاقب بن عبد الله الأنسمي: الإمام، الفقيه، الذكي، واحد الزمان وفريد

العصر والأوان. أخذ عن المغيلي، كان بالحياة قريباً من سنة 950هـ/1543م.

ج-محمد بن عبد الجبار، أبو عبد الله، الفجيجي: الولي الصالح صاحب كرامات

وله منظومات في مدح النبي، وكان فقيهاً عارفاً أديباً شاعراً ماجداً فاضلاً نزيهاً خيراً. كانت دراسته الأولى على يد والده عبد الجبار وغيره من علماء بلده، وكان شاعراً ماهراً، أسس زاوية في بلاده، وكان ينفق كثيراً على تلاميذه والمريدين، ومن تلامذته أحمد الغماري التلمساني. التقى بالشيخ المغيلي بفاس، وأخذ عنه التصوف وعلم الحديث والفقه، ثم رجع إلى مسقط رأسه وتولى التدريس والقضاء إلى أن وافته المنية سنة 950 هـ/1549م في عام احتلال تلمسان³.

1 - المرجع نفسه، ص: 587

2 - احمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ج 2، ص: 223 -مهني فاطمة الزهراء، بستاني عائشة، عبد الكريم المغيلي ودوره في هدم الكيان اليهودي في توات (790 -909 هـ / 1425 - 1504م)، ص: 27 و28

3 - ابن مريم، البستان، ص: 287 و288 -مهني فاطمة الزهراء، بستاني عائشة، عبد الكريم المغيلي ودوره في هدم الكيان اليهودي في توات (790-909 هـ / 1425 - 1504م)، ص: 27

د- عمر بن محمد بن علي الكنتي: الحافظ لكثير من فنون العلم، رحل إلى بعض بلدان المغرب وأخذ العلم منها، توفي في حدود سنة 960هـ/1553م¹.

ه- الشيخ عمر بن أحمد البكاري: بن محمد الكنتي بن علي بن يحيى بن عثمان بن بهش بن ورد العاقب بن عقبة بن نافع الفهري ولد سنة 865 هـ/1460م. درس في صغره على يد والده، ثم رحل إلى بلاد المغرب ومنها إلى مصر ومر ببلاد الشام وأدى فريضة الحج، ثم عاد إلى بلاد التكرور، وهناك التقى بالإمام المغيلي، فلازمه وتبعه في جميع رحلاته الداعية لنشر الإسلام وأدى فريضة الحج مرة ثانية برفقته وعاد معه إلى توات أخذ عنه علوم الحديث والفقه والعربية والسياسة الشرعية والمنطق والفرائض².

ثالثا: رحلته إلى الحج ولقاؤه علماء المشرق وعودته إلى منطقة توات ووفاته:

قرّر الشيخ المغيلي أن يقوم بأداء فريضة الحج، فاستعدّ وبدأ رحلته نحو البقاع المقدّسة، وفي كلّ الأماكن التي مرّ بها كان يلتقي بالعلماء فيعرفون قدره، ويكرمونه، وينتفعون بعلمه الجمّ، فمر على تونس ثم ليبيا ثم مصر، وفي بلد يصله، يتصل بعلمائه، ويعرفن فضله، وتُعقد له جلسات علمية، وينتفعون من علمه، حتّى وصل إلى المدينة المنوّرة فاستقرّ بها مدة، وعندما حل الإمام المغيلي بالحرم اهتزت نفسه ونطق بقصيدة مؤثرة افتتحها بقوله:

¹ - علي يعقوب، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره في السودان الغربي، <https://qiraatafrican.com/7972/>، نشر بتاريخ 2020/10/20، واطلع عليه بتاريخ 2025/04/13

² - نور الدين حاج أحمد، ص: 32 وما بعدها - مهني فاطمة الزهراء، بستاني عائشة، عبد الكريم المغيلي ودوره في هدم الكيان اليهودي في توات (790-909 هـ / 1425 - 1504م)، ص: 27

بشراك يا قلبُ هذا سيد الأمم *** وهذه حضرة المختار في الحرم¹
وهذه الروضة الغراء ظاهرة *** وهذه القبة الخضراء كالعلم
ومنبر المصطفى الهادي وحجرته *** وصحبه وبقيع دائر بهم
فطب وغب عن هموم كنت تحملها *** وسل تنل كل ما ترجوه من كرم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي *** فالعبد ضيف وضيف الله لم يضم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي *** يامن لقاصده أمن من النقم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي *** فبحر جودك مورد لكل ظم
يا سيد الرسل يامن ضيف ساحته *** يبيت في الأمن في خير وفي نعم
يا أكرم الخلق من حاف ومنتعل *** يا أفضل الناس في ذات وفي شيم
يا أشرف الأنبياء يامن شفاعته *** عمت على الخلق في الوجدان والعدم
يا صفوة الله يا مولى مكارمه *** عمت على الخلق من طفل إلى هرم
يا صاحب الحوض يا بحر فضائله *** عمّت على الخلق من عرب ومن عجم
ثم يَختَمها بقوله:

يا رب يا رب يا مولاي عبدك في *** باب الرجا يرتجي أمن من النقم
فجد عليه بما يرجوه من كرم *** فقد توسل في الدنيا بحقهم
ثم الصلاة وتسليم الإله على *** هذا النبي رفيع القدر والشيم
محمد المصطفى والآل ثم على *** أصحابه ما سرى ركباً لربهم

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج:2، ص:388

ثمَّ أُنْجِهْ نَحْوَ مَكَّةَ عَنْ طَرِيقِ مَيْقَاتِ "ذُو الْحَلِيفَةِ"، وَأَلْقَى الدُّرُوسَ عَلَى النَّاسِ، وَلَمَّا انْتَهَى مِنْ أَدَاءِ فَرِيضَةِ الْحَجِّ جَلَسَ فِي مَكَّةَ يَدْرُسُ النَّاسَ وَيَحْتَكُّ بِعُلَمَاءِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِينَ قَصَدُوا الْحَجَّ فِي ذَلِكَ الْعَامِ.

ثُمَّ عَادَ مِنَ الْحِجَازِ، لِيَسْتَقَرَّ بِمَدِينَةِ تَوَاتٍ، خَاصَّةً بَعْدَ أَنْ قَتَلَ الْيَهُودَ وَلَدَهُ الْبَكْرَ عَبْدَ الْجَبَّارِ انْتِقَامًا مِنْ وَالِدِهِ الشَّيْخِ الْمَغِيلِيِّ، الَّذِي ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ وَقَهَرَهُمْ وَأَذْهَبَهُمْ، بَعْدَ عَوْدَتِهِ إِلَى تَوَاتٍ قَصَدَهُ طُلَّابُ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءُ فَلَمْ يَبْخُلْ عَلَيْهِمْ بِعِلْمِهِ وَفَقْهِهِ رَغْمَ كِبَرِ سِنِّهِ، وَبَقِيَ وَفِيًّا لِرِسَالَتِهِ فِي الدَّعْوَةِ وَالْإِصْلَاحِ إِلَى وَفَاتِهِ سَنَةَ 909 هـ، وَدُفِنَ فِي بَلَدِيَّةِ زَاوِيَةِ كَوْنَتَةَ فِي أَدْرَارِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَجَزَاهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَبِخَاصَّةِ سُكَّانِ الصَّحْرَاءِ خَيْرًا¹.

رابعاً: تأثير المغيلي في العلماء والفقهاء وحركات الإصلاح في الصحراء²:

إنَّ مَا قَامَ بِهِ الشَّيْخِ الْمَغِيلِيِّ مِنْ حَرَكَةٍ دَعْوِيَّةٍ وَإِصْلَاحِيَّةٍ وَأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٍ عَنِ الْمُنْكَرِ وَفَتَاوَى إِصْلَاحِيَّةٍ، كُلُّ ذَلِكَ كَانَ لَهُ تَأْثِيرٌ كَبِيرٌ فِي مَنطِقَةِ الصَّحْرَاءِ وَفِي بِلَادِ السُّودَانِ وَفِي انْتِشَارِ الْإِسْلَامِ وَمَعَالِجَةِ الْأَوْضَاعِ الْفَاسِدَةِ وَمُحَارَبَةِ الشُّعُوبَةِ وَالْخِرَافَاتِ، وَظَلَّ تَأْثِيرُهُ فِي ذَاكِرَةِ الْأَجْيَالِ مِنْ أُنْبَاءِ السُّودَانِ الْغَرْبِيِّ عَمُومًا، وَنِيْجِيرِيَا عَلَى الْخُصُوصِ، وَظَلَّتْ أَعْمَالُهُ وَأَثَارُهُ الْمَكْتُوبَةُ وَالرُّوَايَاتُ الشَّفَوِيَّةُ الْمَنْقُولَةُ عَنْهُ يَحْفَظُهَا الْعُلَمَاءُ وَيَتَدَاوَمُهَا أَهْلُ الْإِصْلَاحِ وَالسِّيَاسَةِ وَرِجَالُ الدَّعْوَةِ جِيَالًا بَعْدَ آخَرَ، حَتَّى إِنَّنَا لَا نَكَادُ نَجِدُ مُؤَلِّفًا مِنْ مُؤَلِّفَاتِ عُلَمَاءِ السُّودَانِ وَالنِيْجِرِ وَنِيْجِيرِيَا وَالْقَائِمِينَ بِالدَّعْوَةِ وَالْإِرْشَادِ فِي هَذِهِ الْبِلَادَانِ، وَالْمُؤَرِّخِينَ لِلْحَرَكَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِيهَا - يَخْلُو مِنْ الْإِشَارَةِ لِلْإِمَامِ الْمَغِيلِيِّ وَالتَّقْلِيدِ عَنْهُ وَالرَّجُوعِ إِلَى وَصَايَاهُ وَفَتَاوَاهُ وَرِسَالَتِهِ،

¹ - بن يحيى الطاهر ناعوس، سيرة محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، المرجع نفسه.

² - المرجع نفسه

والاحتجاج بأقواله وآرائه في تدعيم دعوتهم وإسناد الأفكار التي تضمنتها حركتهم الجهادية والإصلاحية والدعوية، حيث كانوا يواجهون خصومهم وما يقيمونه في وجههم من حملات التشكيك والتشويش في العديد من القضايا الدينية والدنيوية بفتاوى الإمام المغيلي وكتابات، بما لها في نفوس الجميع من الإجلال والإكبار؛ فهي الحجّة الدامغة من بين الحجج التي يتكئون عليها ويسوقونها للاحتجاج عليهم، ومجادلتهم في مجالس المناظرات والمناقشات والمطارحات السياسية والدينية.

إن تأثير الشيخ المغيلي في علماء وفقهاء ودعاة إفريقيا الغربية والشرقية لا يمكن حصره في مجرد النقول الكثيرة التي نجدُها في جلّ كتاباتهم، بل أيضا بالاقتداء بسيرته وطريقته في محاربة البدع ومنهجه في الدعوة، والعمل بآرائه، والاقتداء بأفكاره، وكثير من الرسائل التي كتبها هؤلاء العلماء والدعاة هي شرح أو تلخيص أو تعليق أو إعادة إنتاج لأفكار المغيلي وكتابات. كما أن تأثير الإمام المغيلي تعدّى إلى الحركات الإصلاحية والدعوية حتى أواسط إفريقيا، من خلال آثاره وفتاواه ورسائله، ووصاياه التي ورثها من ملوك وعلماء السودان، ومن خلال غيرته على الإسلام والدفاع عن بيضته باللسان، ثمّ باليد، ثمّ بشهر السلاح.

إن فكر الشيخ المغيلي وفتاويه الجريئة ومنهجه الدعوي والإصلاحي جعل الكثير من الباحثين والكتاب يهتمون به، فقد أُجرت حوله أبحاث تاريخية كثيرة، ومع ذلك لا تزال الكثير من جوانب شخصية المغيلي الدعوية والإصلاحية والعلمية ورحلاته المختلفة غير معروفة، وهي مجال خصب للباحثين والمهتمين.

إن مواقف الشيخ المغيلي الإصلاحية ومحاربتة للبدع والمنكرات ونصيحته للحكام جعل بعض المؤرّخين والمترجمين الذين كتبوا عنه وعن جهاده يشبهونه بشيخ الإسلام ابن تيمية¹، للتشابه الكبير بينهما من حيث قول الحق والجهر به، ومواجهة الانحرافات وإصلاح الأوضاع والغيرة على حرّمات الله تعالى.

خامسا: مراسلاته وعلاقته بعلماء عصره:

ظهر الإمام المغيلي في فترة شهدت ظهور العديد من المفسرين والعلماء والفُقهاء والمؤرّخين والأدباء والشعراء، أضفوا على ذلك العصر جواً علمياً متميزاً، ما أثر وأسهم في تكوين وصقل شخصية المغيلي العلمية، فالكثير من هؤلاء العلماء خالطه واجتمع به وتبادل معه مجالس العلم والأدب، وكانت بينه وبينهم مراسلات، منهم العلامة قاسم بن سعيد بن محمد العقباني، المتوفى سنة 837هـ، والعلامة محمد بن أحمد بن مرزوق، المتوفى سنة 842هـ، والعالم الصوفي إبراهيم التازي، المتوفى سنة 866هـ، والعلامة الفقيه محمد بن يحيى التلمساني المعروف بابن الحباب، المتوفى سنة 867هـ، والعلامة محمد بن أبي القاسم بن محمد بن يوسف بن عمرو بن شعيب السنوسي، المتوفى سنة 895هـ، والعلامة أحمد بن زكري التلمساني، المتوفى سنة 899هـ، وابن مرزوق الكفيف، المتوفى سنة 901هـ، والعلامة أحمد بن يحيى الونشريسي، المتوفى 914هـ وغيرهم، ممّا جعله يستفيد فائدة عظيمة من علمهم ونصائحهم وإرشاداتهم التي سنرى أثرها في دعوته فيما بعد².

1 - المرجع نفسه.

2 - المرجع نفسه.

كما كانت له مراسلات ومناظرات مع كبار علماء عصره، منهم الإمام جلال الدين السيوطي كما ذكر ذلك ابن مريم في كتابه (البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان)، حيث وقع نزاع ومناقشة بينه وبين الإمام السيوطي في علم المنطق¹.

والمعلوم أن علماء الجزائر اهتموا بعلوم كثيرة منها خلال القرن التاسع منها علم المنطق تدريساً وتأليفاً، فالمغيلي وابن القنفذ والسنوسي ممن ألفوا في المنطق في القرن التاسع (15م)². ويُعد المغيلي من الذين انتصروا للمنطق والعقل، يتجلى ذلك في رده على الإمام جلال الدين السيوطي³.

فقد كانت بينه وبين السيوطي مراسلة أو قل مناظرة علمية شعرية دارت حول الأخذ بعلم المنطق وأخذ علوم غير المسلمين إذا كانت حقا. فكان السيوطي ينهى عن علم المنطق، وأورد ما قاله بعض العلماء في ذمه، كما أورد أخبارا في ذم المسلمين الذين يأخذون بعلوم اليهود والنصارى، أو تقليدهم في علومهم. لكن رد المغيلي حججه، وقال إن المنطق هو الحق أو هو المؤدي إلى الحق، وأن أخذ الحق يجوز من غير المسلمين لأن معرفة الناس بالحق هي المبدأ المعتمد وليس معرفة الحق بالناس.

¹ - الإمام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، الجزء الرابع، الإمام المغيلي وجهاده التاريخي ضد اليهود، <https://africanews.dz/>

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج:2، ص:149

³ - المصدر نفسه، ج:1، ص:451

وهذا يدل على التحرر العقلي للمغيلي وبعد نظره في عصر سيطرت فيه آراء السيوطي وأمثاله. فراسل الشيخ المغيلي الإمام السيوطي في قصيدة جاء فيها¹:

سمعت بأمر ما سمعت بمثله *** وكل حديث حكمه حكم أصله
أيمكن أن المرء في العلم حجة *** وينهى عن الفرقان في بعض أمره
هل المنطق المعني إلا عبارة *** عن الحق أو حقيقة حين جهله
معانيه في كل الكلام فهل ترى *** دليلا صحيحا لا يرد لشكله
أريني - هداك الله - منه قضية *** على غير هذا تنفها عن محله
ودع عنك ما أبدى كفور وذمه *** رجال وإن أثبت صحة نقله
خذ الحق حتى من كفور ولا تقم *** دليلا على شخص بمذهب مثله
عرفناهم بالحق لا العكس فاستبن *** به لا بهم إذ هم هداة لأجله
لئن صح عنهم ما ذكرت فكم هم *** وكم عالم بالشرع باح بفضله
فأجابه جلال الدين السيوطي بقوله:

حمدت الله العرش شكرا لفضله *** وأهدى صلاة للنبي وأهله
عجبت لنظم ما سمعت بمثله *** أتاني عن حبر أقر بفضله
تعجب مني حين ألفت مبدعا *** كتابا جموعا فيه جم بنقله
أقر فيه النهي عن علم منطق *** وما قاله من قال من ذم شكله
سماه بالفرقان يا ليت لم يكن *** فذا وصف قرآن كريم لفضله
وقد قال محتجا بغير رواية *** مقالا عجيبا نائيا عن محله

¹ - التنبكتي، نيل الابتهاج، ص: 578 و579 - ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص: 256 و257 - الحفناوي، تعريف الخلف، ج: 1، ص: 660 و661.

ودع عنك ما أبدى كفور وبعد ذا *** خذ الحق حتى من كفور بختله
وقد جاءت الآثار في ذم من حوى *** علوم يهود أو نصارى لأجله
يجوز به علما لديه وإنه *** يعذب تعديا يليق بفعله
وقد منع المختار فاروق صحبه *** وقد خط لوحا بعد توراة أهله
وكم جاء من نهي اتباع لكافر *** وإن كان ذاك الأمر حقا بأصله
أقمت دليلا بالحديث ولم أقم *** دليلا على شخص بمذهب مثله
سلام على هذا الإمام فكم له *** لدي ثناء واعتراف بفضله

لم تقتصر حياة الشيخ المغيلي على الدعوة والإرشاد، فقد اشتهر بالترحال في بلدان العالم الاسلامي وما وراء الصحراء الافريقية، وقد استطاع من خلال ذلك الاحتكاك بالناس والحكام، وأن ينشر بينهم تعاليم الإسلام السمحة.

سادسا: ثناء العلماء على الشيخ المغيلي¹:

إن إسهامات الشيخ المغيلي العلمية والدعوية والإصلاحية المتميزة ومواقفه الجريئة جعلته محل عناية من قبل العلماء والمترجمين والمؤرخين منذ وفاته إلى يومنا هذا، واثنوا عليه كثيرا نظير الجهود التي بذلها في أرض توات، وفي بلدان السودان الغربي، وفي نشر تعاليم الإسلام السمحة في الصحراء الكبرى، وفي تعليم وتدريب أبناء الأفارقة اللغة العربية وعلوم الشرع، وأيضا ما كان يقدمه من نصائح للحكام والأمراء.

ومن الذين أثنوا عليه محمد بن أحمد أبي راس الناصري في كتابه "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، جاء فيه: "وقولي أو محمد هو العلامة ذو الورع والدين شيخ الطلبة

¹ - الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، <https://akhbarelwatane.dz/>

المغربين ابن عبد الكريم المغيلي لقد كان موصوفا بالنجدة والبأس رفيع القدر عظيم الشأن عند الناس".

وقال عنه أحمد بابا التنبكتي: "التلمساني خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة الفهامة القدوة الصالح أحد الأذكياء ممن له بسطة في الفهم والتقدم متمكن المحبة في السنة وبعض أعداء الدين، وقع مع فقهاء وقته حين قام على يهود توات وألزمهم الذل"¹.

وجاء في معرض جواب السنوسي دعما لفتوى الشيخ التنسي السالف الذكر ثناء على الشيخ المغيلي: "من عبيد الله محمد بن يوسف السنوسي إلى الأخ الحبيب القائم بما اندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي القيام بها لاسيما في هذا الوقت علم على الاتسام بالذكورة العلمية والغيرة الإسلامية وعمارة القلب بالإيمان السيد أبي عبد الله بن عبد الكريم المغيلي، حفظ الله حياته وبارك في دينه وديناه وختم لنا وله ولسائر المسلمين بالسعادة والمغفرة بلا محنة بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"².

وما نقله عنه ابن مريم التلمساني (توفي سنة 1642م) في كتابه "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"، قال: "خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة المحقق الفهامة القدوة الصالح السني الحبر، أحد أذكياء العالم وأفراد العلماء الذين أتوا بسطة في العلم والتقدم والنسبة في الدين المشهور بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبغض أعدائه"³.

1 - التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص: 576

2 - الونشريسي، المعيار المغرب، ج: 2، ص: 252 و 253 - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن 9 هـ، ج: 2، ص: 214 و 215 - بوعباد، تاريخ مني زيان، ص: 32 و 33.

3 - ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص: 253

وقال عنه عبد الله بن محمد العياشي صاحب الرحلة العياشية: "رجل دمث الأخلاق، طيب الأعراف"، أما أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي (960 هـ/1025 هـ) في كتابه درة الحجال في أسماء الرجال فكتب عنه يقول: "محمد بن عبد الكريم المغيلي أبو عبد الله الرجل الصالح". تحقيق محمد أمحمدي أبو النور، مطبعة السنة المحمدية، عابدين، ط 1، سنة 1391 هـ/1971م، لكنه ذكر أنه توفي سنة 820 هـ وهو خطأ. رقم الترجمة 1803¹.

وجاء في كتاب "دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر" في ترجمته: (ومنهم الشيخ الفقيه الصدر الأوحده أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي، كان من أكابر العلماء، وأفاضل الأتقياء، وكان شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)².

وأما كبار مؤرخي الجزائر فقد أثنوا عليه، فقد كتب الدكتور أبو القاسم سعد الله: "كان المغيلي أيضاً يتدخل في الشؤون السياسية والاجتماعية ليس في المغرب فحسب بل في إفريقية جنوب الصحراء أيضاً فنصح أمراء السودان وقاوم نفوذ اليهود ولاسيما في توات وكان كثير المراسلات مع علماء عصره في القضايا التي كانت تهمه وهو لهذا كان في حاجة إلى آراء

¹ - ابن القاضي، أما أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي (960 هـ/1025 هـ)، ذيل وفيات الأعيان المعروف بـ درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد أمحمدي أبو النور، مطبعة السنة المحمدية، عابدين، ط1، سنة 1391 هـ/1971م، لكنه ذكر أنه توفي سنة 820 هـ وهو خطأ. رقم الترجمة 803.

² - الشفشاوني، محمد بن عسكر الحسني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب، الرباط، ط2، سنة 1397 هـ/1977م، ص:130. رقم ترجمته:132.

الفقهاء فيما كان بصدده من مشاكل"، وقال في موضع آخر: "أما المغيلي والحوضي¹ فقد اختارا التقرب من الأمراء، ولكن مع اختلاف في الهدف فالمغيلي الذي يذكرنا سلوكه بجمال الدين الأفغاني في العصر الحديث كان ناقماً، كما عرفنا على أمراء المغرب العربي، لتخاذلهم أمام الغارات الأجنبية وانحلالهم داخلياً"².

وكتب الشيخ عبد الرحمن الجيلالي عنه: "أحد أعلام الجزائر وأبطالها الشجعان في فاتحة القرن العاشر الهجري".

أما الدكتور يحيى بوعزيز فقال فيه: "خلف المغيلي وراءه تلاميذ كثيرين يعدون بالآلاف في غرب إفريقيا، ما يزالون حتى اليوم يدينون له بالولاء الفكري والأدبي، ويعترفون بفضله على مجتمعاتهم السودانية الإسلامية، وكتب كثيرون عنه وعن سيرته الشخصية". وقال عنه أيضاً: "ومع ذلك فإن جوانب كثيرة من حياة المغيلي، ونشاطه العلمي والفكري والأدبي ما تزال مجهولة وتحتاج إلى بحث وتدقيق وتمحيص وفرز. إن جهود المغيلي في توات والسودان الغربي رائدة حتى في المجال السياسي، وجدير بأن يخلد عمله بإبراز آثاره الفكرية والأدبية، وإقامة معهد علمي إسلامي باسمه يواصل رسالته الحضارية".

والمحقق عبد المجيد الخيالي في تحقيقه لإحدى رسائله وصفه بقوله: "كان من أكابر العلماء، خاتمة المحققين، الإمام العالم العلامة الفهامة القدوة الصالح السني أحد الأذكياء ممن

¹ - محمد بن عبد الرحمن الحوضي أبو عبد الله، الفقيه الأصولي التلمساني العالم الشاعر المكثّر، من كبار فقهاء المالكية، أخذ عن علماء تلمسان، له نظم في العقائد شرحه الإمام محمد بن يوسف السنوسي وله غيره. توفي في ذي القعدة عام عشرة وتسعمائة (910 هـ) بتلمسان. (التبكي، نيل الابتهاج، ص: 579 - مريم، البستان، ص: 252 - نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 170)

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 57 وما بعدها - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 2، ص: 69

له بسطة في الفهم. عالم توات في زمانه. فصيح اللسان. وما قيل عن علمه وإدراكه في العلوم الفقهية بشهادة أهل زمانه، يضعه ضمن جهاذة العلماء الذين يرجع لهم الفضل في تجديد الدين والسير به إلى التعليم والتطبيق، قد شد طرفاً من الفقه والنحو وله بعض الخبرة بعلم العروض".

ويعتبره الأستاذ خير الدين شترة: "واحداً من أقطاب الفقه المالكي بالجزائر، نبغ فيه وتبحر، فاز واجتهد"، وهو مؤسس على الكتاب والسنة وما تعارف عليه أهل السنة والجماعة بعيداً عن الشبهات والبدع، وقد اجتهد في توضيح العقيدة الإسلامية ومحاربة العقائد الوثنية".

وقال عنه الأستاذ عبد الرحمن حمادو الكتيبي: "كان علامة زمانه، وآية وقته، ومجاهد عصره، وأتمودج العلم بعلمه، الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر، حيث فجر وحده حركة علمية ونهضة علمية، فكان أمة في قومه، إذ قام بدور لا يدانيه أي دور قام به عالم معري في السودان الغربي والأوسط، فترك بذلك أثراً إسلامياً كبيراً، وقام بتصحيح مفاهيم كثيرة كانت مغلوطة في أذهان العامة والساطين".

سابعاً: آثاره العلمية:

فهناك من المؤرخين من أوصل مؤلفات الإمام المغيلي إلى أكثر من ثلاثين كتاباً ورسالة.

1 - من آثاره في الفقه:

- شرح على مختصر خليل سماه "مغني النبيل" شرح لمختصر خليل لم يكمله.

- "شرح بيوع الآجال" من ابن الحاجب.

- المفروض في علم الفروض

- أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي: وقد أَلّفه عند مكوثه مدة عند السلطان محمد بن أبي بكر التوري المعروف بالحاج أسكيا أمير مملكة سنغاي، وكانت تربطه به علاقة قوية، وكان السلطان محترما له، أَلّف له أجوبة عن أسئلة كثيرة وجَّهها إليه في شؤون الحكم والقضايا الاجتماعية، وقد قام بتحقيقها والتقديم لها الأستاذ عبد القادر زبادية، سلسلة ذخائر المغرب العربي، وقد استثمرها الأسكيا كحجّة شرعية دَامِغَة في توطيد دعائم ملكه ومواجهة خصومه¹.

2 - آثاره في فنون أخرى:

- "مختصر تلخيص المفتاح".
- له مؤلفات في المنطق: مقدمة في المنطق - "شرح الجمل"² - و "لب اللباب أو منح الوهّاب في ردّ الفكر إلى الصّواب"³، منظومة في المنطق، مطبوع حقه أبو بكر بلقاسم ضيف، وله شرح عليها سماه: إمناح الأحباب من منح الوهّاب.
- مناظرة بينه وبين الشّيخ السنوسي محمد بن يوسف، في التّوحيد، مخطوط رقم: 22 ضمن مجموع بخزانة القرويين.
- البدر المنير في علوم التفسير
- تفسير سورة الفاتحة
- مصباح الأرواح في أصول الفلاح: وهي التي ضمّنها فتاواه، ومنها فتواه في نازلة توات، وقد حَقَّقها ونشرها الأستاذ رابح بونار -رحمه الله- في سلسلة ذخائر المغرب العربي، طبعة

1 - المرجع نفسه.

2 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، ص:119

3 - المصدر نفسه.

- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر سنة 1968م، وعرفت في بعض المصادر باسم:
 "تأليف فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار".
- "تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين"¹. تحدث فيها عن التصوف، وانتقد أدعياء التصوف الذين يتكسبون به.
- مقدمة في علم العربية
- مفتاح النظر في علم الحديث، وهو شرح وإضافة لما كتبه الإمام التّووي في كتابه "التقريب".
- ما يجب على الأمير من حسن النية.
- فهرست مروياته
- جملة مختصرة فيما يجوز للحكام من ردع الناس عن الحرام: هي وصية كتبها للأمير رَمَمًا محمد بن يعقوب حاكم كانو، ترجمها ريشار بلمر (R. Palmer) إلى الإنجليزية سنة 1914م، ثمّ نشرها الألوري في كتابه "الإسلام في نيجيريا"، وضمنت أيضًا في كتاب "ضياء السياسات" لعبد الله بن فودي الذي نشره د. أحمد كاني سنة 1988م².
- شرح عقيدة التوحيد لأحمد بن عبد الله الزواوي³

1 - المصدر نفسه.

2 - بن يحيى الطاهر ناعوس، سيرة محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، المرجع السابق

3 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، السلسلة الأولى، من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري، عالم المعرفة، الجزائر، ط 1، سنة 2015م، ج: 2، ص: 217

- تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين: هي مجموعة في مسائل الإمارة وسياسة الدولة، ألفها أمير كانو محمد بن يعقوب المعروف برمفت، طبعت طبعات متعدّدة، وترجمت إلى الإنجليزية، وآخر طبعاتها صدرت سنة 1994 م، عن دار ابن حزم، بيروت، بتحقيق محمد خير رمضان يوسف. وقد سلك فيها مسلك أسلافه من علماء المسلمين الذين ألفوا كتباً في نصيح الملوك وإرشاد السلاطين؛ مثل: أبي بكر الطرطوشي في "سراج الملوك"، والماوردي في الكتاب المنسوب إليه باسم: "نصيحة الملوك"، وكتابه المشهور "الأحكام السلطانية"، والغزالي في كتابه "التبر المسبوك في نصيحة الملوك"، وابن الأزرق الأندلسي في "بدائع السلك في طبائع الملك"، والحميدي في "الذهب المسبوك في وعظ الملوك"، وغيرها ممّا هو معروف¹.

- مختصر تلخيص المفاتيح

- شرح على جمل الخونجي.

- وله قصيدة عارض بها البردة، وغير ذلك من الأعمال الكبيرة التي ألفها المغيلي، التي كانت في شكل كتيبات تحمل توجيهات للحكام عامة وإرشادات حول العودة إلى الحكم الرشيد وتفادي أولياء الشيطان².

¹ - بن يحيى الطاهر ناعوس، سيرة محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، المرجع نفسه.

² - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري، ج:2، ص:217

المطلب الثاني: الفقه والإصلاح عند الشيخ المغيلي:

أولاً: النظر الفقهي عند الشيخ المغيلي:

1- الشيخ المغيلي فقيه مالكي:

الشيخ بن عبد الكريم المغيلي مالكي المذهب، درس كتبه ومصادره الأصلية ومتونه على يد شيوخ كبار، وكان يفتي وفق مذهبه الفقهي، ويستدل بآراء علمائه، لا يخرج عن أصوله وقواعده، ويخرج الفروع على تلك الأصول، وهو مستن في ذلك بأئمة الغرب الإسلامي، الذين كانوا في معظمهم مالكيين، فمنطقة المغرب العربي انتشر فيها المذهب المالكي منذ قرون، وبرز فيها فقهاء كبار، كان لهم الأثر في تطور المدرسة المالكية، ويعد المغيلي من كبار علماء المالكية في نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الهجري، فهو امتداد للمدرسة المالكية في الجزائر، وكان له الفضل في ترسيخ المذهب المالكي في الصحراء وفي بعض الدول الإفريقية.

وبدأ تكوينه الفقهي المالكي الأول بحاضرة تلمسان، حيث تلقى المبادئ الأولى للفقه المالكي على يد شيوخ بلدته تلمسان التي نشأ فيها، ثم علماء بجاية، ثم على يد عالم مدينة الجزائر الشيخ الثعالبي، فدرس أمهات الفقه المالكي، فترسخت قدمه فيه، وتعمقت معارفه بمصادره، وتوسعت مداركه بمسائله.

وكان رحمه الله في الغالب الأعم يفتي بالمذهب المالكي، له اطلاع بآراء علماء المذهب، ويستدل بآراء كبار علمائه، كابن القاسم وابن رشد والبرزلي، وله سعة واطلاع بمشهور المذهب، ورغم اعتماد الشيخ المغيلي على المذهب المالكي في فتاويه، وأجوبته الفقهية، إلا أنه كان بعيداً عن التعصب المذهبي، محترماً لآراء غيره، يخالف برفق ما يؤديه إليه اجتهاده.

ومن خلال فتاوى الشيخ المغيلي، كأجوبته على أسئلة الأسقيا، أو فتواه بخصوص يهود توات، يتبين أنه واسع الاطلاع بفروع ومسائل الفقه الإسلامي، له القدرة على التأصيل الشرعي، بناء على النصوص الشرعية وقواعد المذهب وأقوال علمائه الكبار، مما يدل بأن له تكويناً فقهياً رصيناً، وملكة فقهية قوية، فهو يجتهد في إطار أصول وقواعد المذهب المالكي. ومن ينظر إلى ما كتبه الشيخ المغيلي، وبخاصة فتاويه وأجوبته على أسئلة بعض الحكام، يلاحظ أن الرجل ليس فقط أنه واسع العلم والمعرفة، بل يجده متبعاً لقضايا مجتمعه، عالماً بواقع أمته، متابعاً لشؤونها، مسهماً في حل الكثير من القضايا والنوازل المستجدة، مقدم النصيحة لأفراد مجتمعه وبخاصة الحكام. كما يمكن أن نستشف من كتاباته وفتاويه شدته في الحق، والذود عن حدود الشريعة وأحكامها، فهو من العلماء العاملين، فلم يكن منشغلاً بالتدريس فقط، فقد كان على علم بما يجري حوله، وما تعانیه أمته، فقد جمع بين فقه الشريعة وفقه الواقع، وهما شرطان أساسيان ليكون الفقيه مؤهلاً للاجتهد والفتوى.

2- الاستدلال الفقهي وتأصيل المسائل والنظر المقاصدي عند المغيلي:

لم يكن الشيخ المغيلي يورد المسائل بدون تأصيل شرعي، بل كان في كل مسألة، أو قضية يفتي فيها يؤصلها من الناحية الشرعية، فتجده يحرص على إيراد النصوص الشرعية، وعمل الصحابة، وأقوال الفقهاء المعروفين في المذهب. فعندما طرحت عليه مسألة يهود توات راح يحشد من الأدلة على نقضهم لعهود ومواثيق أهل الذمة كما سيأتي بيانه. ومثل ذلك في إجابته على أسئلة الأسقيا الكثيرة يوظف الأدلة الشرعية في بيان الحكم الشرعي.

ففي مسألة إجابته عن أسئلة الأسقيا بخصوص وجود بعض البلاد دون أمير، فقد أفتاه بوجود المبايعته والدخول تحت لاطاعة، وإن أبوا أجبرهم على ذلك ما استطاع، واعتبر

ذلك من أفضل الجهاد وأهمه، لأنه لا يحل لطائفة من المسلمين أن يكونوا هملاً، ثم استدل بعدة نصوص من القرآن والسنة، منها قوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) آل عمران:103، ومن السنة ما ورد في صحيح مسلم عن ابن عمر أنه سمع رسول الله يقول: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)¹.

وفي مسألة البلاد التي يحكمها أمير يرعى شؤون ومصالح رعيته الدينية والدنيوية بحسب الإمكان، فلا يحل لأحد منهم أن ينزع يدا من طاعته، ولا يحل لأحد أن ينازعه في رعيته، ثم يستدل بقوله تعالى: (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) الأنفال:46، وبما ثبت في صحيح مسلم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله: (إذا بويع الخليفتان فاقتلوا الأخير منهما، لا خير فيه)².

وفي مسألة الأرض التي فتحت عنوة من قبل المسلمين فأجابه بأنه ليس للإمام ولا غيره أن يحجر على المسلمين مياهها ولا طرقها ولا مراعيها ونحوها من مصالح المسلمين، ثم استدل بقول النبي عليه الصلاة والسلام: (المسلمون شركاء في ثلاث، في الكالا، والماء والتار)³⁴.

كما كان يستدل بأقوال علماء المذهب المالكي، ويدعم رأيه بفتاويهم، من ذلك مسألة من ارتد من المسلمين عن الإسلام إلى الكفر هل تسبى ذراريهم ونسأؤهم وتؤخذ

1 - مسلم، كتاب الإمارة والبيعة، باب فيمن خلع يدا من طاعة وفارق الجماعة، رقم: 1851

2 - مسلم، كتاب الإمارة والبيعة، باب إذا بويع لخليفتين، رقم: 1853

3 - أخرجه أبو داود واللفظ له، رقم: 3477 - وأحمد، رقم: 23132

4 - محمد بن عبد الكريم المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تقدم وتحقيق عبد القادر زبائدة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط سنة 1974م، ص: 42

أموالهم، فذكر بأن المسألة فيها خلاف، ثم نقل أقوال فقهاء المذهب وغيرهم فقال: (قال ابن القاسم في أهل حصن من المسلمين ارتدوا عن دين الإسلام إلى الكفر، لا تُسبى ذراريهم ونساؤهم، وأما أموالهم فهي في فيء للمسلمين، قال ابن رشد: وهذا هو الصحيح من جهة النظر، لأن المرتدين أحرار من أصلهم، قال: وإلى مذهب ابن القاسم في المرتدين ذهب عامة العلماء وأئمة السلف)¹. ثم رجح رأي ابن القاسم بأن من فعل شيئا من الأفعال الموجبة للتكفير يستتاب، فإن تاب ترك، وإن لم يتب قتل بالسيف كفرا، ولا تسترق أولادهم إنما يجبرون على الإسلام².

وفي مسألة المحاربين فقد أفتى بوجوب غزوهم، ثم ميز له بين فئتين من المسلمين يكونون معهم بأرضهم، فمن نزل معهم ولم يسكن معهم اختيارا ولم يغيروا معهم أو يعينوهم على الفساد فليردوا لهم أموالهم ولا يفسدوها، وأما من سكن معهم اختيارا وكان يغير مع هؤلاء المحاربين ويعينهم فقد أفتى له بقتلهم ونهب أموالهم وعدم قبول توبتهم إذا تمكنوا منهم، ثم دعم فتواه بفتوى نقلها الإمام أبو القاسم البرزلي في نوازل ما نصها: (وقد ظفر السلطان بفرقة من بوادي إفريقية وجلهم مستغرقو الذمة فأفتى شيخنا ابن عرفة بإباحة أموالهم بالأغلب حتى يتحقق أصل الحلال منهم، قال: لأنهم عصاة بمكاثرة المحاربين وتكثير سوادهم، ولم يجعل لهم حرمة...)³.

وفي فتاوى الشيخ المغيلي وأجوبته على أسئلة الأسقيا يظهر البعد المقاصدي والنظر المصلحي، والموازنة بين المصالح والمفاسد، فكان يجتهد ويفتي بما يراه مصلحة ولا يتصادم مع

1 - المصدر نفسه، ص: 40

2 - المصدر نفسه، ص: 40 و 41

3 - المصدر نفسه، ص: 61

نصوص الشرع أو يفوت مقاصد الشرع؛ ففي ممارسة الحسبة والنهي عن المنكرات كاختلاط الرجال بالنساء وكشف العورات وكيفية زجرهم، قال: (وليس لذلك حد محدود ولا ضرب معدود، إنما ذلك موكول إلى نظر الحاكم، فليثق الله ولينظر إلى درء المفاسد وجلب المصالح بالتقوى لا بالهوى، فإن قلت: وأين الأمين الذي يصلح لذلك ويؤمن عليه حتى يجعل الأمير بيده ويفوضه إليه، فإنه في هذا الزمان لا سيما في تلك الأوطان، قلت: ارتكاب أخف الضررين واجب إجماعاً، وضرر الحسبة في ذلك أخف من ضرر تركها بلا شك)¹.

وفي علاقة الرعية بحاكمهم إذا طلب منهم إعانتة في شأن عام أو مصلحة عامة، فقد بين الشيخ المغيلي بأن ذلك واجباً، ولكنه يتوقف على تحقيق المصالح ودرء المفاسد فيما يتعلق بالشؤون العامة، وأن لا يكون فيه تعسف واستغلال لما في أيدي الناس من الأموال، فقال: (وأما إعانة المسلمين بإمامهم فواجبة عليهم في أنفسهم وفي أموالهم بحسب طاقتهم بشرطين: الأول: أن يكون الأمر الذي طلب منهم الإعانة فيه من الأمور المهمة بحيث لو تركها كان تركها مفسدة عليه وعليهم، والثاني: أن يكون اضطر لإعانتهم بحيث لو لم يعينوه لم يجد في جيشه ولا في ما بيده من بيت المال ونحوه ما يصلح به ذلك لهم، فتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، لأن المقصد من ذلك ونحوه درء المفاسد وجلب المصالح بحسب الإمكان في كل زمان ومكان، فلكل شيء وجه، وليس الخبر كالعيان)².

1 - المصدر نفسه، ص: 67 و68

2 - المصدر نفسه، ص: 42 و43.

ثانيا: الشيخ المغيلي مصلح وداعية:

عُرف عن الشيخ المغيلي الفقيه الداعية شدّته في قول الحق، وقيامه بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واشتهاره بمناصحته الصريحة لحكام عصره، فكان يقف في وجه الظلم ولا يخاف في الله لومة لائم، حتى عدّه بعضهم ابن تمية المغرب.

كان رحمه الله تعالى ناقما على أمراء المغرب العربي لتخاذلهم أمام الغارات الأجنبية وانحلالهم داخليا. وعاصر هجرة المسلمين من الأندلس وسقوط غرناطة، وعرف ما كانت عليه حالة المشرق الإسلامي تحت المماليك¹. وقد اتصل بأمرأ إفريقيًا فوجد أن فطرهم أسلم ولهم استعداد لقبول نصائحه، فألف رسالة في الإمارة وشروطها، التي كان يهدف من خلالها إصلاح الحكم وبيان واجبات الأمير المسلم². فزار بلاد السودان واجتمع بسُلطان "كانو" وكتب له رسالة في أمور السلطنة، ومنها ارتحل الى بلاد التكرور، وكان في سفره، يدعو وينصح وينشر أحكام الشرع وينهى عن المنكرات ويجارب البدع والخرافات.

وبسبب فساد الأوضاع السياسية وكثرة الاضطرابات التي كانت سائدة آنذاك، تباينت مواقف العلماء الذين كانوا معاصرين للمغيلي، فبعضهم اختار الهجرة من بلاده كما فعل الإمام المشدّالي والإمام أحمد الونشريسي، وبعضهم اختار الانعزال وعدم مخالطة الأمراء والعوام³ كما فعل شيخه عبد الرحمن الثعالبي وتلميذاه محمد بن يوسف السنوسي وأحمد بن

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، ص:57 و58 و59.

2 - المصدر نفسه، ص:57 و58 و59.

3 - المصدر نفسه، ص:91.

عبد الله الجزائري¹، وبعضهم اختار مهادنة السلطان ومدحه كما فعل معاصره محمد بن عبد الرحمن الحوضي² والتنسي وابن قنفذ؛ أما المغيلي فقد اختار طريق التقرب من بعض أمراء إفريقيا لكن بهدف الإصلاح وليس طمعا في المال أو الجاه، وقد استغل ذلك للثورة على الأوضاع الفاسدة وسلوك طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر³.

ولقد كان المغيلي ناقما من تلك الأوضاع، شديد الانزعاج من سلوك سلاطين تلك الفترة، الذين كانوا يحكمون مملكة تلمسان وبجاية، وبعد سخطه على أفعالهم وخاصة على الكيفية التي يعالجون بها رعاياهم، وبعد أن أثار فيه سكوت أو تغاضي العلماء والفقهاء، وكان لومه على السلاطين بسبب "عدم امتثالهم لا في حياتهم الشخصية ولا في كيفية حكمهم إلى قواعد الشرع وخروجهم عن الجادة الإسلامية"⁴. فكانت تلك الاضطرابات السياسية وفساد الحكم وتدني الأحوال الاقتصادية سببا في هجرة الشيخ محمد بن عبد الكريم

1 - هو أحمد بن عبد الله الجزائري الزواوي، شهاب الدين، أبو العباس، الولي الصالح، ظريف العارفين، فقيه مالكي، متكلم، من كبار العلماء في وقته، له نظم، يشبه بالإمام عبد الرحمن الثعالبي في العلم والعمل، أصله من زواوة، سكن مدينة الجزائر وتوفي بها سنة 884 هـ/1479م. ترجم له السخاوي في الضوء اللامع وأثنى عليه، كما أثنى عليه الشيخ زروق. من آثاره "كفاية المرید" في علم الكلام، ومنظومة لامية في العقيدة مشهورة عند العلماء تنيف على 400 بيت وتسمى "الجزائرية في العقائد الإيمانية" مخطوطة، شرحها الإمام محمد بن يوسف السنوسي، و "قصيدة في علم التوحيد". (التبكي، نيل الابتهاج، ص: 127، رقم ترجمته: 122 - نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 128)

2 - سبقت ترجمته.

3 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 57 و 58 و 59.

4 - بن يحيى الطاهر ناعوس، سيرة محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني،

<https://www.alukah.net/culture/0/22525/>، نشر بتاريخ

2016/6/9م/1431/6/27، واطلع عليه بتاريخ 2025/4/13

المغيلي من تلمسان إلى منطقة تمنطيط بتوات أدرار، ثم إلى السودان القديم¹، وقد جعل الله تعالى لهجرته خيراً في إصلاح الأوضاع ومحاربة الفساد ونصح الحكام في تلك البلدان.

ثم من مواقفه المشهورة وقوفه في وجه اليهود الذين نقضوا عهد الذمة الشرعية، ثم طغيانهم وتناولوهم على المسلمين، وتحكّمهم في الحياة الاقتصادية والقوافل التجارية، وكانت له معهم مشاحنات أدت إلى قتالهم وهدم كنائسهم، كما سيأتي بيانه.

وبعد انتصاره على اليهود بدأ رحلته الإصلاحية الطويلة في مناطق السودان الغربي²، ويمكن ذكر الأسباب التي دفعت المغيلي إلى التنقل إلى بلاد السودان الغربي في الآتي:

- نشر تعاليم الإسلام السمحة والتعريف بحقائقه وأحكامه.
- الدعوة الإصلاحية وإصلاح الأوضاع الفاسدة.
- تبليغ الطريقة القادرية في بلاد السودان كما أوصاه شيخه الثعالبي.
- القيام بالوعظ والإرشاد والتعليم والتدريس³.

لقد ظل الشيخ المغيلي مشتغلاً بالدعوة والوعظ والتدريس والقضاء والفتيا، وبَدَل النَّصْح لأمرائها وأولي الأمر فيها، وكذا عموم الناس؛ ولأجل ذلك طاف عدداً من العواصم والأقاليم السودانية، فزار كانو وكشنة في شمال نيجيريا، وكاغو أو جاو الواقعة في دولة مالي حالياً، وتكدّة من منطقة أهير التابعة للنيجر حالياً، وغيرها من البلاد الواقعة بين نهر السِنغال

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 44

2 - كما جاء في بحث بعنوان: "ملامح من التأثير المغربي في الحركة الإصلاحية في النيجر - للدكتور عبد العلي الودغيري رئيس الجامعة الإسلامية بالنيجر.

3 - مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية في إفريقيا الغربية، خلال القرن التاسع للهجرة، الخامس عشر للميلاد، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط سنة 2006م، ص: 30

والنيجر. ويقول بول مارتني: (ونحن نعلم -حسبما هو متداول من معلومات- أنَّ الإسلام دخل إلى بلاد الجرما والبلاد المجاورة إلى تساوة (Tessaoua) ، وزندر (Zinder) بواسطة الشَّريف الكبير محمَّد بن عبدالكريم المغيلي، أو بالأحرى بواسطة تلاميذه المباشرين في القرن الخامس عشر)، إلى أن يقول: (لقد هبط المغيلي مع نهر النيجر إلى ناحية ساي (Saye)، ومنطقة "ساي" هذه هي التي توجد بها الجامعة الإسلامية بالنيجر حالياً، وتبعد عن نيامي بحوالي 50 كم، ويُضيف قائلاً: (وأرسل بعثات من قبله إلى بلاد جرما جندا (Djermagenda)، وربما إلى الشَّرق أيضاً... وقد استقبلت وفادة المغيلي إلى هذه المناطق بجفاوة بالغة، وقرَّبه أمراؤها وملوكها وجعلوا منه مستشارهم الخاص ومرجعهم الفقهي الأعلى، وكتب لهم رسائل ووصايا وفتاوى في أمور الحكم والدَّولة والسياسة الشَّرعيَّة، فألَّف لأمير كانو محمَّد بن يعقوب المعروف برُمفت رسالة بعنوان: "تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين". وكتب للأمير رُمفاً محمد بن يعقوب لأمير كانو وصيَّة أخرى في "ما يجوز للحكَّام في ردع النَّاس عن الحرام". كما ألَّف للسلطان رسالة تضمنت أجوبة على أسئلته الَّتِي عُرفت باسم "أسئلة أسكيا وأجوبة المغيلي"¹.

وكان المغيلي بجانب ثقافته الدينيَّة الواسعة وقيامه بأمر الوعظ والإرشاد، ومعرفته بأمر السياسة الشَّرعيَّة، يحترم رجال الطرق الصوفيَّة، خاصَّة منهم أولئك الذين يتعدون عن الدروشة والحزبالات، على الطريقة القادريَّة، وكثير من الباحثين يعتقدون أنَّ له دوراً كبيراً في التَّعريف بالطريقة القادرية ونشرها في بعض دول إفريقيا من السودان الغربي².

¹ - بن يحيى الطاهر ناعوس، سيرة محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، المرجع

السابق

² - المرجع نفسه.

المطلب الثالث: نماذج من فتاويه الإصلاحية وموقف علماء عصره منها، (نازلة توات أنموذجا):

وسوف نعرض هنا نموذجاً من نماذج فتاوى الشيخ المغيلي والتي أثارت ضجة كبيرة، ووقعت بشأها مراسلات بين العلماء، وأثارت بينهم جدلاً فقهيًا راقياً، وتباينت فيهم مواقفهم.

فموقفه رحمه الله تعالى من يهود توات وقصتهم معه، وفتواه الفقهية بخصوص أفعالهم التي نقضوا بها أحكام الذمة الشرعية اتخذت أبعاداً دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية، وكانت محل اهتمام الباحثين من اليهود والغريبين وغيرهم من الكتاب وضخموها، واستثمروها في اتهام المسلمين بالتعصب والتعدي على حق الحرية الدينية¹، فهناك من الباحثين الانجليز والأمريكان والفرنسيين وغيرهم من كتبوا حولها رسائل وأبحاثاً وحاولوا من خلالها أن يصلوا الحاضر بالماضي على حد تعبير أبي القاسم سعد الله على أساس أن العرب والمسلمين قد اضطهدوا اليهود عبر العصور، وحاولوا إبراز دور اليهود في الحياة السياسية للمسلمين². وقد تباينت مواقف العلماء آنذاك من فتوى الشيخ المغيلي تجاه اليهود وتصديه لنفوذهم، إلا أن أغلب العلماء قد أيدوا المغيلي ووافقوه فيما ذهب إليه³.

بخلاف ما أراد أن يروج له هؤلاء الباحثين الغربيين، نلفت الانتباه أن موقف المغيلي وغيره من المسلمين من يهود توات ليس بدافع كرههم لليهود كجنس وديانة، فالمسلم لا يكره أهل

1 - وفتواه مفصلة في رسالة المغيلي التي بعنوان: "مصباح الأرواح في أصول الفلاح"، وسيأتي ذكرها.

2 - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري، ج:2، ص:216

3 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، ص:53

الكتاب من اليهود والنصارى ولا يبغضهم، وقد أمر القرآن الكريم بالتعامل معهم والزواج من نسائهم وأكل طعامهم¹، والتحاور معهم²، وتمكينهم من ممارسة شعائرهم، فلا إكراه في الدين، وإنما كان موقف المغيلي منهم بسبب نقضهم لأحكام الذمة، وجسارتهم على بناء كنائس وبيع جديدة، وتعديهم وطغيانهم وتجاوز حدودهم، واستفزاز مشاعر المسلمين بسلوكهم مستعملين في ذلك نفوذهم المالي، كما سيأتي بيانه.

أولاً: وضع اليهود في منطقة توات / تمنطيط:

كانت الصحراء الجزائرية عامرة بالسكان، فيها واحات كثيرة، وكانت معبر التجارة الإفريقية، وبخاصة منطقة توات، التي ارتبط موقعها بطرق القوافل التجارية، فيها تعايش من البربر والعرب والزنوج وبعض الأقليات كاليهود. والمعلوم أن الوجود اليهودي في الصحراء هو نتيجة الشتات الذي لحقهم فاتخذوا من الجزائر ملاذاً آمناً لهم، وآواهم سكان الجزائر، لذ تعتبر الجزائر نموذجاً حياً لتعايش جماعات يهودية مختلفة مع السكان الأصليين، وقد استمر توافدهم إلى المنطقة، لكن بصفة غير منتظمة واتخذوا من المراكز التجارية والمنطقة الصحراوية مستقراً لهم.

وقد تباينت آراء المؤرخين على تحديد فترة استيطان اليهود للمنطقة، وفي القرن السابع الميلادي وفدت إلى المنطقة هجرات يهودية قادمة من الأندلس، ويقتصر البعض على أن قدوم اليهود للمنطقة كان من الأندلس عقب أحداث اشبيلية والبايار سنة 793 هـ/

1 - قال الله تعالى: (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ) المائدة: 05

2 - قال الله تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) العنكبوت: 46

1391م وكذا عقب سقوط الأندلس سنة 897 هـ/1492م. المهم أن هجرتهم المتتالية إلى المنطقة جعلتهم يشكلون شريحة من المجتمع الصحراوي رغم عدم اندماجهم في المجتمع، وبقوا محافظين على خصوصيتهم الدينية والاجتماعية في منطقة توات.

ونتيجة للموقع الاستراتيجي لتوات حيث تقع في مفترق طرق القوافل التجارية القادمة من الشمال والجنوب، واستقرار المنطقة بسبب التعايش بين الشرائح الاجتماعية، وكذا بعدها عن مواقع الصراعات الطائفية والسياسية حيث الممالك والدول الشمالية، كل هذا ساعد اليهود على الاستيطان في توات وممارسة نشاطهم التجاري والحرفي، فزاد بذلك عددهم وقوي نفوذهم، وانتشروا في كل القطر التواتي، وصاروا أصحاب نفوذ مستغلين التسامح الديني للمسلمين.

فالجالية اليهودية من أهل الذمة التي استوطنت منطقة توات في الجنوب الجزائري التي لاقت كل الترحاب من سكان المنطقة، تنفذت في شؤون البلاد والعباد، وتقوت في هذا العهد، وسيطت على الواقع الاقتصادي بتوات، فاحتكر اليهود النشاطات التجارية وبعض الحرف صياغة الذهب والفضة، والصرافة النقدية، ففي تمطيط وحدها كان بها ثلاثمائة وثلاث وستون صائغا يهوديا يتاجرون في الذهب والفضة، فكانوا يسيطرون على أسواق تمطيط، فصاروا يتميزون بالثراء الفاحش وسط المجتمع التواتي البسيط الذي عانى من احتكارهم للسلع والبضائع وكثير من الحرف، واستغلال الطبقة المحتاجة لصالحهم، فصاروا بسلوكهم مبغوضين من المجتمع التواتي، مع إثارة الفتن بين القبائل، وتوظيف ثروتهم لكسب البعض لصفهم، إلى أن تم إجلاؤهم من توات وهدم بيعهم في تمطيط سنة 897 هـ/

1492م، على يد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، ولم تعد فئة اليهود مكونا فاعلا قائما بذاته في المنطقة التواتية منذ بداية العصر الحديث¹.

كما وضعوا أيديهم على التجارة العابرة للصحراء، وفي حركة القوافل التجارية ويتصرفون بحرية تامة، وسيطروا أيضا على منابع المياه، مستغلين حسن الضيافة والتسامح الديني والمسالمة الاجتماعية وهي صفات كانت تميز المجتمعات الإسلامية ومنها المجتمع التوات، إلا أنهم تجاوزوا حدودهم، وتخطوا القوانين المعمول بها التي حددها الإسلام لأهل الذمة من خلال ما هو مفصّل في كتب الفقه الإسلامي، وخرقوا كل العهود والمواثيق، فانتشرت مفسادهم وتقوى طغيانهم، وأرادوا أن ينالوا من عواطف المسلمين الدينية وكرامتهم ببناء بيع كبيرة كمعبد لهم في واحة تمنطيط، وحاكوا الدسائس ضد الإسلام والمسلمين، حتى صار ما قام به اليهود نازلة بالمجتمع التواتي مست الجوانب الاجتماعية والفكرية والدينية بل وحتى الجوانب السياسية والاقتصادية لهذا الإقليم، فاليهود كانوا ولا يزالون حتى الآن من أولويات مهامهم العمل على تفريق الشعوب عموماً والمسلمين خصوصاً وإبعادهم عن دينهم وهويتهم حتى يكونوا عبيداً لشهواتهم وملذاتهم فيسود لهم الأمر في نهاية المطاف. بل تجاوز نفوذهم الاقتصادي إلى النفوذ السياسي فكانوا كما قال المغيلي يؤثرون على ذوي السلطان فيعيون

¹ -مزي زينب، الصحراء الجزائرية بين امتداد العثماني والأطماع السعدية خلال القرن 16، مذكرة ماستر، مذكرة ماستر، تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية، ص: 33 و35. وانظر: عبد الله مقلاتي، موقف الشيخ المغيلي من يهود توات، مجلة الحقيقة، عدد 06، ماي 2005، ص: 154، وأيضا: عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، الجزائر، 2002، ج 2، ص 412

ويعزلون¹، إلى أن تم إجلاؤهم من توات وهدم بيعهم في تمطيط سنة 897 هـ / 1492م، على يد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، ولم تعد فئة اليهود مكونا فاعلا قائما بذاته في المنطقة التواتية منذ بداية العصر الحديث².

وقد استغل اليهود ضعف الدولة السياسي داخليا وخارجيا فتواطؤوا مع بعض الأمراء على مدهم بالمال والدعاية لهم بل وتوليتهم³، وفي مقابل ذلك يتغاضى الأمراء أو يسمحون عن بناء اليهود بيعا لهم وفتح المتاجر وتأسيس الشركات والاستيلاء على الطرق التجارية⁴. ومن مكربهم في تمطيط وتوات أن صار لهم دخل في التنفيذ الديني والسياسي الذي استغلوه لممارسة أعمال أخرى خسيصة أبرزها محاولتهم من نيل من عواطف المسلمين الدينية وكراماتهم ومن أغرب الأمور الذي كشف عنها المغيلي هو وجود يهودي متنكر في زي إمام مسلم⁵.

إنَّ قصور توات وتكرارين تمطيط وأسملال وأولف وزاوية كونتة وفتوغيل، كلُّها أسماء تشهد لهذا للإمام المغيلي زُهدَه ودعوته وعلمه وورعه، هذه المناطق التي زارها وحلَّ بها كان همَّه الوحيد القيام بمهمَّة الدَّعوة إلى الله والإصلاح، ونشر المبادئ الإسلاميَّة الصَّحيحة النَّقيَّة

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، ص:134

2 - مزري زينب، الصحراء الجزائرية بين امتداد العثماني والأطماع السعدية خلال القرن 16، ص:33 و35. وانظر: عبد الله مقلاتي، موقف الشيخ المغيلي من يهود توات، مجلة الحقيقة،

ص:154، وأيضا: عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج:2، ص:412

3 - قد تحدث عبد الباسط بن خليل في رحلته عن نفوذ اليهود في المغرب. انظر أبو القاسم سعد الله،

تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، ص:134

4 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، ص:53

5 - يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر، ص:146

كما عرفها السلف الصالح من الصحابة والتابعين -رضوان الله عليهم أجمعين- وقد احتضنته القبيلة العربيّة الأصيلة بني سعيد، حيث عاش بينهم كواحد منهم يحترمونه ويحجلونه، ويستمعون إلى دروسه ويتبعون دعوته، وخلال إقامته واحتكاكه بالناس بدأ يكتشف دسائس اليهود الذين كانوا يعيشون في المنطقة منذ زمن بعيد، وكانوا يستحوذون على السلطة الاقتصادية والموارد الماليّة، وأفسدوا الأخلاق والدّمم -كما هي عادتهم دائماً- حيث إنهم كانوا يتحكّمون في أكبر كنز في الصحراء ألا وهو: الماء، كما أنّهم قاموا ببناء معبد لهم في واحة تمنطيط خارقين بذلك العهود التي بينهم وبين المسلمين، وقد شنّ عليهم المغيلي حرباً شعواء لا هوادة فيها، لوضع حدّ نهائي لتجاوزاتهم واستهانتهم بالدين الإسلامي، لقد ضيق عليهم الخناق، وأثار ذلك ضجة كبيرة كان لها صدى في المغرب العربي، حتى صارت تعرف بـ: "نازلة توات" كما في المعيار للونشريسي¹.

ثانياً: فتوى الشيخ المغيلي بشأن نقض يهود توات لأحكام الذمة الشرعية:

وأصل المشكلة التي طرحت على الفقيه الإمام المغيلي والتي عاينها هو أيضاً بنفسه والتي كانت سبباً في إصدار فتواه الشهيرة بخصوص يهود توات، هو أنّ بعض المسلمين من أهل

¹ - الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت 914 هـ)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق مجموعة من الباحثين بإشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط سنة 1401 هـ/1981م، ج:2، ص:214 وما بعدها، ج:2، ص:214 - بن يحيى الطاهر ناعوس، سيرة محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، المرجع نفسه.

"توات" ¹، استنكروا سلوك اليهود القاطنين معهم في توات، ومخالفتهم للقوانين، وللتراتيب التي حدّدها لهم الفقهاء المسلمون على مرّ العصور، وتفاقت الأزمة بعد أن شيّد أولئك السكّان من اليهود كنيسة جديدة لهم في "تمنطيط"، مما أثار حفيظة المسلمين، الّذين اعتبروا تشييد معبد جديد مخالفة صريحة للشريعة التي تسمح للذميين بإصلاح معابدهم القديمة فقط، وتخطّر عليهم بناء معابد جديدة، غير أنّ بعض العلماء المحليّين -وعلى رأسهم قاضي المدينة الشيخ العصنوني خالفوا أولئك النّفّر من المسلمين وقالوا: إنّ اليهود ذميون، لهم ما لأهل الذمّة من الحقوق المنصوص عليها في كتب الفقه ².

وتطاول اليهود لم يكن مقتصرًا على منطقة توات، بل حتى في المغرب الأوسط والمغرب الأقصى نجد أكثر اليهود لا يتقيدون فعلا بحدود الذمة التي نص عليها فقهاء الإسلام بالإجماع، بل طمع بعضهم في أعلى المناصب السياسية، وقد تواطأ معهم بعض المسلمين الذين كانوا يتعاملون معهم سواء في المدن أو في البوادي، ولقد أدى تعيين بعض اليهود في منصب الوزارة في دولة بني مرين إلى وقوع مجازر وفتن وأهوال أدت إلى اندثار دولة بني مرين وحلول أبناء عمومته من بني وطاس مكانهم سنة 869 هـ/1465م ³.

ولما طرّحت المسألة على الشيخ المغيلي ورأى استياء المسلمين من سلوك اليهود، ورأى هو بنفسه النفوذ اليهودي وطغيانهم أصدر فتوى في حقهم، ولم يكتف بذلك، بل استفتى علماء

1 - توات منطقة متواجدة في وسط الصحراء الجزائرية، والتي تضمّ عددًا من الواحات أو القصور كما يسميها سكّان الجنوب، وأهمّها في القديم واحة "تمنطيط"، وهي لا تزال موجودة إلى يومنا هذا، وقد تفوّقت عليها في العصر الحاضر مدينة أدرار، وتمنطيط هي اليوم ضمن ولاية أدرار.

2 - بوعياذ، تاريخ بني زيان، ص: 31 - بن يحيى الطاهر ناعوس، سيرة محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، المرجع نفسه.

3 - محمود بوعياذ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 30 و31

تلمسان وفاس وتونس على هدم بيع اليهود في توات، فانقسم العلماء بين مجيز ومانع، لكن الأغلبية كانت مع الرأي القائل بوجوب هدمها، فهدمت وشارك المغيلي مع أتباعه في هدمها.

والذي دفع المغيلي إلى اتخاذ هذا الموقف هو استفحال نفوذ اليهود، والتعالي والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية، وهي قضية لا علاقة لها بالتعصب الديني وخطاب الكراهية، ولكنها مسألة دينية وسياسية بالدرجة الأولى، ذلك أن اليهود الذين يعدون من أهل الذمة تجاوزوا حدودهم كأهل ذمة، واغتنموا فرصة الضعف السياسي والاقتصادي للدولة وراحوا يستعملون حيلهم ونفوذهم للتدخل في شؤون المسلمين وفي حكمهم¹.

فقد أصدر الشيخ المغيلي فتواه وضمنها رسالته التي جعلها بعنوان: "مصباح الأرواح في أصول الفلاح، بناء على طلب من بعض المسلمين، فقال: (فقد سألتني بعض الأخيار عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، وعما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار، وعما عليه أكثر يهود هذا الزمان من التعدي والطغيان، والتمرد على الأحكام الشرعية والأركان)²، فقد ألف هذه الرسالة ليبين فيها مكر اليهود وليكشف دسائسهم وخبث آرائهم، وليضع حدا لعملهم المقيت داخل بلاد توات التي أرادوا السيطرة عليها رغم أنهم ذميون، فأكد من خلال هذه الرسالة نقض اليهود لأحكام الذمة وما ينبغي أن يكون عليه من خضوع تام لسلطان المسلمين، فقد وقف بنفسه كيف أن يهود توات سيطروا على عموم

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، ص:54

² - المغيلي محمد بن عبد الكريم التلمساني الجزائري (ت 909 هـ)، مصباح الأرواح في أصول الفلاح ومعها رسالة الإعلام بما أغفله العوام لابن عظوم القيرواني التونسي، تحقيق عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1421 هـ/2001م، ص:21 و22

نواحي الحياة في تلك الديار، وبخاصة النواحي الاقتصادية وسيطرتهم على التجارة وتطاولهم على المسلمين، وهو ما يتنافى مع مبدأ الدّلة والصغار التي اشترطها الإسلام مقابل حمايتهم وعيشتهم بين ظهرائي المسلمين، وهو ما يستوجب في نظره محاربتهم وهدم كنائسهم وكسر شوكتهم ليعودوا إلى الدّل والصّغار.

وتلك الرسالة التي ضمنها فتواه بخصوص يهود وتوات وغيرهم، قسمها إلى ثلاثة فصول، فخص الفصل الأول¹ بما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار بحيث لا يقرب المسلم كافرًا من نفسه وعياله أو يستعمله في أعماله، ولا يفعل ذلك من المسلمين إلا من لا دين ولا مروءة له. وتناول في الفصل الثاني² ما يلزم أهل الذمة سواء أكانوا يهودا أو غيرهم من الجزية والصغار. وفي الفصل الثالث³ تحدث فيه عن اليهود زمانه في سائر الأوطان من الجراءة والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية، والتدخل في شؤون الدولة الإسلامية مستنجدًا بالعلماء عليهم باسم فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁴.

فمن منطلق أن اليهود أصبحوا يسيطرون على توات ويتصرفون فيها بدون رادع يردعهم، وتعيدهم على الأحكام الشرعية، ولم ينكر عليهم أحد من زعماء القبائل ولا من علماء المنطقة، هنا جهر الشيخ المغيلي بدعوته إلى إصلاح الوضع ومعالجته موظفًا أحكام الشريعة فيما يتعلق بأهل الذمة مبينا لهم ما يجوز لهم وما لا يجوز، وشن عليهم حملة أراد من خلالها أن يعيدهم إلى القوانين التي حددها لهم الإسلام بعد أن أشتكى سكان المنطقة له من

1 - المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، ص: 23 وما بعدها

2 - المصدر نفسه، ص: 35 وما بعدها

3 - المصدر نفسه، ص: 40 وما بعدها

4 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 54 و55.

تصرفات اليهود، فكان مما قاله: (لا شك أن اليهود المذكورين كيهود توات وتيجرايز وتفياللت ودرعة وكثير من الأوطان في إفريقية وتلمسان قد حلت دماؤهم و أموالهم وأولادهم ونساؤهم، ولا ذمة لهم، لأن الذمة التي ترفع السيف عنهم هي الذمة الشرعية لا الذمة الجاهلية، وإنما تكون لهم الذمة الشرعية بإعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون)¹، ثم استدل بنصوص من عمل الصحابة كالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما نقل اقوال العلماء واختلافهم فيما ينقض به عقد الذمة، ثم علق على ذلك فقال: (فأنت ترى كيف اختلف العلماء في نقض عهدهم، وقتلهم وسيبهم إذا أخلوا بواحدة مما اشترط عليهم، فكيف بيهود لم يأتوا ولو بواحدة، بل تمردوا على الأحكام الشرعية بسكنى البلاد السائبة، والتعلق بأرباب الشوكة والتعصب بأموالهم على من يتسبب من العلماء في إذلالهم، فهؤلاء ونحوهم لا خلاف في نقض عهدهم وقتلهم وسيبهم، لأن الخلاف المذكور في ذمي أخلَّ بشيء من ذلك من غير استمرار وتصميم، وأما من ترك شيئاً واستمر على تركه وصمَّ عليه بقصده، فلا خلاف في نقض عهده ووجوب قتله وسبيه، لأن ذلك هو التمرد على الأحكام الشرعية، فكل يهودي تعلق بخدمة سلطان، أو وزير، أو قاض أو كبير، فقد انتقض عهده وحلَّ ماله ودمه، لأن خدمة أرباب الشوكة مناقض لشروط الذمة من الصغار والذلة. وأعظم ما يكون من التمرد على الأحكام الشرعية والأركان)²، ثم ساق قصص بعض اليهود ومكرهم وتعديهم وتحريفهم للقرآن الكريم.

¹ - المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، ص: 40

² - المصدر نفسه، ص: 43 و 44

غير أن بعض العلماء الخليلين عارض المغيلي وأجاز لهم ذلك، وكان على رأس هؤلاء الذين كانوا من أشد المعارضين له في هدم الكنائس قاضي توات الفقيه عبد الله بن أبي بكر العصنوني، قال: "إن اليهود ذميون، لهم ما لأهل الذمة من الحقوق المنصوص عليها في كتب الفقه". لكن الشيخ المغيلي عارض هذا القول وأفتى بعدم جواز بناء اليهود معابد لهم، وأشار من خلال فتواه "أن سيطرة اليهود على عموم نواحي الحياة، ولهذا يجب التصدي لهم وهدم كنائسهم وكسر شوكتهم"، وقد أثارت هذه الفتوى ردود فعل كثيرة في أوساط معاصريه بين مؤيد ومعارض.

إن الحياة الاقتصادية الجيدة التي كان يحياها اليهود وتحكّمهم في الطرق التجارية العابرة للصحراء، وتصرفاتهم المستفزة لعموم الشعب، قد لفت نظر المغيلي، ومما أثار غضبه أيضا هو العجرفة والتكبر والإدلال بالنفس، وكأنهم نسوا وضعهم في المجتمع وهو أنهم أهل ذمة¹. فالشيخ المغيلي إنما أنكر على اليهود سيطرتهم على الحياة الاجتماعية والاقتصادية واستخفافهم بالأحكام الشرعية، واحتقارهم لفقراء المسلمين، حيث رأى أنهم بتلك التصرفات نقضوا عهد الذمة المبني أساساً على الخضوع المطلق لسلطة المسلمين مقابل حمايتهم والسماح لهم بالعيش بين أظهرهم بأمان وسلام، وقد ألفت في ذلك كتابا جوابا عن سؤال من سأله عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، وما يلزم أهل الذمة والصغار، وعما عليه أكثر يهود هذا الزمان من التعدي والطغيان، وسماه مصباح الأرواح في أصول الفلاح.

ويمكن حصر الخلاف في المسألة بين المغيلي والعصنوني في الآتي:

¹ - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري، ج:2، ص:209-211

- هل يجوز بناء كنائس أو بيع جديدة في أرض اختطها الإمام المسلم؟
- هل يجوز دفع الجزية لرؤساء القصور المسيطرين على نظم الحكم العشائري؟
- هل يعتبر اليهود المقيمين بين المسلمين في تلك الفترة ذميين؟ وهل تجري عليهم أحكام أهل الذمة؟ وهل عليهم دفع الجزية؟ ولمن تدفع؟¹.

وتحولت المسألة إلى جدل فقهي بينهما، بل تعدت إلى مناظرات فقهية مكتوبة بين فقهاء ذلك العصر، أي أنها لم تبق القضية متداولة بين الفريقين، حيث راسل كل من الشيخ المغيلي والشيخ العصنوني أكبر علماء العصر في الحواضر المغاربية كتلمسان وفاس وتونس، كما سيأتي بيانه. وقد كانت ردود العلماء الذين تمت مراسلتهم متباينة فمنهم من أجاز ومنهم من منع ذلك، لكن معظم العلماء أيدوا المغيلي، وفور وصول هذه الفتاوى من هؤلاء العلماء لواحة تمطيط قام الشيخ المغيلي وأنصاره بهدم معابد اليهود².

ومضمون فتوى الشيخ المغيلي في يهود توات أنهم ليسوا بأهل الذمة ولا تنطبق عليهم أحكام أهل الذمة، بل هم نقضوا عهد الذمة بأعمالهم وتصرفاتهم الفعلية والقولية في ديار الاسلام المنافية لأحكام الشريعة الاسلامية التي تلزم المسلمين بالوفاء لهم بعقد الذمة فلذلك وجب جهادهم وقتلهم وهدم كنائسهم وبيعهم التي أحدثوها في بلاد المسلمين وإلزامهم بالذل والصغار.

¹ - مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية في إفريقيا الغربية، خلال القرن التاسع للهجرة، الخامس عشر للميلاد، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط سنة 2006م، ص: 29

² - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري، ج: 2، ص: 209-211

ولا شك أن الصواب في هذه المسألة هو ما ذهب إليه الشيخ المغيلي من وجوب التصدي لليهود وهدم كنائسهم، لا سيما أن تلك الكنائس محدثة في بلاد المسلمين، والغرض منها إثارة الفتن واتخاذها ذريعة للسيطرة والظهور على أهل الإسلام¹.

فالمغيلي رجل فقيه، فهو نظر إلى المسألة من الجهة الشرعية، وليس من باب معاداة اليهود كأهل دين مخالف، فالمسلمون لا يعادون أهل الأديان، وبخاصة أهل الذمة، فلا إكراه في الدين، والقرآن الكريم أحاز التعامل مع أهل الكتاب، والشريعة الإسلامية تكفل لهم ممارسة شعائرهم الدينية في معابدهم، وإنما يعادي المسلمون الظالمين منهم، أو الذين تعدوا حدود الشريعة، وهو ما صدر من يهود توات، الذين نسوا بأنهم أهل ذمة، فراحوا يتصرفون بتصرفات فيها استفزاز للمسلمين، ومساس بمشاعرهم الدينية والاجتماعية، والإقدام على بناء معبد لهم دون إذن من السلطة الحاكمة مستغلين نفوذهم المالي².

فقد استنكر المغيلي خروج اليهود عن العرف والتقاليد، وتحالفهم مع بعض المسلمين ضد البعض الآخر، وصاروا يتفاخرون بركوبهم الحصان المسرج الغالي الثمن ويلبسون الثياب الفاخرة ويتصرفون كالمسلمين ويتشبهون بهم حتى لا يُعرفون حيث يتنقلون. كما لاحظ المغيلي أن بعض المسلمين كانوا يتعاونون مع اليهود مستفيدين من أموالهم، وتراخي بعض الأمراء في الضرب على أيديهم لأنهم كانوا متورطين معهم وكذلك الأعيان والحاشية. لذلك فكر في دعوة المسلمين إلى موقف موحد ضد اليهود، فوجد في بناء اليهود معبدا لهم عذرا

¹ - الإمام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، الجزء الرابع، الإمام المغيلي وجهاده التاريخي ضد اليهود، <https://africanews.dz/>

² - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري، ج:2، ص:216

قويا لإدانتهم، لأن ذلك كان بدون إذن المسلمين، واعتبره موضوعا لا يقبل التنازل لأنه لا يجوز ذلك بنظره في الشريعة الإسلامية.

وهذه الفتوى من المغيلي أحدثت هزة في منطقة توات تمنطيط، وكادت تؤدي إلى فتنة بين المسلمين، لكن الأغلبية من سكان المنطقة من المسلمين وقفت مع الشيخ المغيلي، ولم يقدم على ما أقدم عليه حتى عرضها على ميزان الشرع، ولم يكتف بذلك فاستفتى مجموعة من الفقهاء في الحواضر العلمية كتونس وتلمسان وفاس، وحين وصلته إجاباتهم وبخاصة فتوى الشيخ التنسي والشيخ السنوسي أخذ في الضرب على أيدي اليهود فهدم بعض بيعتهم أي معابدهم التي بنوها بدون إذن أصحاب الحل والعقد كما ينص تشريع أهل الذمة في الإسلام¹، فأمر الشيخ المغيلي جماعته فلبسوا آلات الحرب وقصدوا كنائس اليهود وأمرهم بقتل من عارضهم دونها، فهدموها، ونظم بعض الشعراء في القضية قصائد في مدح النبي عليه الصلاة والسلام ودم اليهود ومن ينصرهم²، وطرد اليهود من توات، إلا أنه ظهر معارض له هو الشيخ عمر بد عبد الرحمن التمنطيطي الذي رد اليهود إلى توات تحت حمايته محاولا بذلك تحدي الشيخ المغيلي، ونشب صراع ومواجهة بينهما، فقد صمد المغيلي أمامه وحاربه بكل قوة واستطاع أن يتغلب عليه، وتمكن من طرد اليهود من توات وإصلاح أوضاع البلاد³.

¹ - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري، ج:2، ص:209-211

² - التنبكي، نيل الابتهاج، ج:1، ص:576 و577

³ - نادية سالم شفشة، الشيخ المصلح ابن عبد الكريم المغيلي (831-909 هـ/1427-1503م)، مجلة كلية التربية، جامعة الزاوية، ليبيا، العدد:22، الجزء:2، يوليو 2021م، ص:5

ثالثاً: فتاوى العلماء في قضية يهود توات/ تمنطيط:

قام كل من الشيخ المغيلي ومعارضه الشيخ العصنوني وكلاهما من العلماء بممارسة الفقهاء بخصوص قضية يهود توات، وقد أورد الإمام الفقيه أحمد الونشريسي في موسوعته الفقهية "المعيار المعرب" مختلف الفتاوى التي تلقاها الشيخان المغيلي والعصنوني بشأن "نازلة توات"¹، فانقسمت فتاويهم تجاهها إلى قسمين، لكن الأغلبية كانوا مؤيدين لفتوى المغيلي، علماً أن العلماء الذين دعموا المغيلي إنما يعرضون أنفسهم لانتقام الحكام لأن منهم من كان متواطئاً مع اليهود بالمال والسياسة².

وذكر ابن مريم في البستان أنه "حين وصل جواب التنسي ومعه كلام السنوسي لتوات أمر صاحب الترجمة -أي المغيلي- جماعته فأخذوا آلات الحرب وقصدوا تلك الكنائس مشمرين للقتال، وقد أمرهم بقتل من عارضهم دونها فهدموها ولم يعارضهم فيها أحد"³.

1 - العلماء الذين خالفوا الشيخ المغيلي:

أ - القاضي العصنوني (ت 927 هـ/ 1521م):

هو قاضي تمنطيط عبد الله بن أبي بكر العصنوني الذي عارض المغيلي، وأفتى بعدم التعرض لليهود. ولعل هذا القاضي العصنوني كما ذكر سعد الله كان من الفئة المستفيدة من ثروة اليهود، لذلك أفتى بعدم شرعية موقف المغيلي من بناء المعبد¹.

1 - الونشريسي، المعيار المعرب، ج:2، ص:214-259

2 - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري، ج:2، ص:211 و212

3 - ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص:254 - وللتبكي أحمد بابا كلاماً نحوه. انظر: التبكي، نيل الابتهاج، ج:2، ص:577

وقد نقل الإمام الونشريسي في المعيار رأي الشيخ العصنوني ورسالته إلى فقهاء تلمسان وفاس، ومما جاء فيها: "سيدي رضي الله تعالى عنكم، وأدام بمنه عافيتكم، ومتع المسلمين بطول حياتكم. جوابكم الكريم في مسألة وقع فيها النزاع بين طلبة الصحراء، وهي كنائس اليهود الكائنين بتوات وغيرها من قصور الصحراء، فقد شغب علينا فيها المغيلي وولده سيدي عبد الجبار تشغيبا كاد أن يوقع في فتنة. وذلك أني أفيتت بتقريرها"، ثم يقول: "والصواب عندي تقريرها اتباعا لقول الغير لجري العمل به، في كثير من مدن المغرب، وهي مما اختطه المسلمون في صدر الإسلام وبعده، وفيها العلماء متوافرون في كل وقت، وفيهم من لا يسكت على باطل. وكذلك قواعد هذه الصحراء قد حل بها علماء فضلاء، وقد شاهدوا الكنائس فيها وهم ممن يمثل قولهم في الأحيان، وقد أنكروا أشياء على أهل الذمة... ولم ينكروا الكنائس في جملة ما أنكروه"، ثم حشد من الأدلة وأقوال فقهاء المالكية، كابن يونس وابن حاج وابن عرفة والبرزلي. ثم قال: "وخالفني المغيلي وقال إن هدمها واجب، وقال: لا يعلم فيها خلافا، وقال: لا يفتي بتقريرها إلا دجال... والمغيلي في بعض الأوقات على رؤوس الأشهاد يدعي الإجماع ويقول لمن يدعوه إلى هدمها تھدم وإن أدى إلى قطع الرؤوس، ومن مات ممن يريد هدمها فهو من أهل الجنة، ومن الآخريين فهو من أهل النار"².

¹ - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري، ج:2،

ص:216

² - الونشريسي، المعيار المغرب، ج:2، 214 وما بعدها

ب - أبو العباس أحمد بن محمد بن زكري:

وقد أجاب الشيخ أحمد بن محمد بن زكري المانوي أبو العباس التلمساني، مفتي تلمسان في زمنه¹ الشيخ العصنوني ووافقته فيما ذهب إليه، ومما جاء في إجابته: (الحمد لله، الجواب عن السؤال المكتتب في الورقتين قبل هذا هو أن نقول: هدم الكنائس المستول عنها لا يجوز بمقتضى الشريعة المحمدية على رأي المحققين في الفقه المالكي الناظرين به في القضية، والتشغيب فيها من عدم التحقيق في أصول المسائل العلمية، فيغتر المشعّب في المسألة بظاهر عمومات التي هي مخصوصة. وكذلك المطلقات من النصوص وهي مقيدات، على أن موضوعها أحداث الذمة كنيسة في بلد الاسلام، وموضوع قضية النزاع هدم ما وجد من الكنائس مبنيًا محوزًا بيد الذميين دهرًا طويلاً ولم ينكر عليه أحد من المسلمين، ولا يدل منع الأحداث على وجوب هدم المبني المحوز على الوجه الموصوف بشيء من الدلالة الثلاثة.

ولهذا الشيخ أبو الحسن اللخمي بأن الطاهر من قول أبو القاسم وغيره أن القديم من الكنائس يترك ولا يهدم. وكذا قول صاحب الجواهر لا نتعرض لكنائسهم، مع قوله بعد هذا: فإن كانوا في بلدنا بناها المسلمون فلا يمكنون من بناء كنيسة. ولا فرق إلا ما قلناه من أن المبني من الكنائس القديمة فلا يتعرض له وإن كان في يمنع فيه الأحداث، فلا يستقيم الاستلال على وجوب الهدم بمنع الأحداث)، ثم قال: (على أنا نقول: ما دلّ منها بعمومه وإطلاقه مخصوص ومقيد بغير المعاهدين والذميين إذا انتقلوا في بلد الإسلام من موضع إلى موضع، ولم يخرجوا عن العهد والذمة، فسكونوا فيه وأرادوا إحداث كنسية لإقامة دينهم،

¹ - ابن مريم، البستان، ص: 254

فإنهم يمكنون من بنائها ولا يمنعون منها. وإنما يُمنعون من إظهار ما لا يجوز إظهاره كالقراءة وضرب النواقيس¹. وساق أدلة من أقوال فقهاء المالكية، ومن المدونة.

ج - محمد بن قاسم الرصاع فقيه تونس ومفتيها:

هو محمد بن قاسم أبو عبد الله الأنصاري ثم التونسي عرف بالرصاع اشتهر بالإفتاء والقضاء، وقد شغل الإمامة في جامع الزيتونة وخطابتها وتصدر الإفتاء فيها، توفي 894هـ/1449م.

وقد أجاب الشيخ لرصاع² فقيه تونس ومفتيها بما نصه: (الحمد لله وحده، سلام الله الأتم، ورضوانه المبارك الأعم، يخص ساداتنا وموالينا الفقهاء والعلماء ومن يقف عليه من الأجواد حفظهم الله. سألتني بعض الفضلاء من الإخوان عما يشتره أهل الذمة من أراضي المسلمين المبتدعة على أيدي المسلمين أعانهم الله. ليس لأهل الذمة أن يشترطوا بناء الكنائس في تلك الأراضي المذكورة، وليس للمسلمين أن يبيعوا الأرض المملوكة أو المبتدعة للكنائس بوجه، ولا مانع لهم من شراء ما بينونه لسكانهم إذ هم يؤدون الجزية وهم تحت ذمة المسلمين، وأذيتهم ومناقصة أموالهم وحيواتهم وبهائمهم لا يحل ذلك فإنهم تحت ذمة المسلمين وجزيتهم بسنة المسلمين، تؤخذ منهم طوعاً وكرهاً، ولا يقصدون بأذية، وإذا صارت الأرض المذكورة على ملكهم دون اشتراط لأماكن يعبد فيها غير الله تعالى فلهم

¹ - الونشريسي، المعيار المعرب، ج:2، ص:217 و218

² - ابن مريم، البستان، ص:254

أن يتصرفوا فيها ببناء ما يحبون والسلام. قاله محمد بن قاسم الرصاع لطف الله بالجميع
بمنه¹.

فيفهم من إجابة الشيخ الرصاع بأن اليهود يستحقون بناء معبد لهم باعتبارهم أهل ذمة
إذا كان يؤدون الجزية، والإمام المغيلي لا يخالف في ذلك، وإنما المغيلي نفى عنهم وصف
الذمة، نتيجة تعديهم وطغيانهم، وبالتالي لا يحق لهم بناء معبد لهم.

د - أبو زكريا يحيى بن أبي البركات الغماري التلمساني:

وهو ممن أجاب في المسألة²، فقال في بداية جوابه: (الحمد لله لإخفاء أن من معه ادعى
مسكة من العقل فضلا عن اتصف بالعلم إن تدبر الأوصاف المسطرة فوقه التي أحدها يقوم
مقام جميعها لا يقوم بهدم الكنائس المذكورة ولا يفوه به لما تقرر من أن درء المفاسد أولى من
جلب المصالح)³.

وحسب رأيه يعتبر هذا العمل من درء المفاسد قال: (درء المفاسد أولى من جلب المصالح،
ولا سيما إذا بدت لذلك إمارات وقامت عليه دلالات تقتضي تحريم الخوض في ذلك.
واعتبر هذا العمل مما يثير المهرج ويحدث الفتن المؤيدة لقتل النفوس وسلب الأموال وإشعال
نار الحرب بين الخلف في سائر الأفاق)، ثم قال في الأخير: (والحاصل الذي عليه الاعتماد
وإليه الاستناد في هذه القضية، أن لا سبيل لهدم الكنائس بحال حيث كانت، لأن ذلك على
ما في السؤال حرام لا يسوغ شرعا، ولا يخالف في هذا أحد من المسلمين. والمعتزض كذلك
عاص وان كانت المفسدة مأمونة في الموضوع الذي منه السؤال، إذ لا يؤمن وقوع الفساد في

¹ - مقدم مبروك، محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مج5، ص:330

² - ابن مريم، البستان، ص:254

³ - الونشريسي، المعيار، ج:2، ص:219

غيره وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه، فيجب لأجل ذلك على من قلده الله حكماً من الأحكام الشرعية، وجعل له نظراً على عبادة أن يضرب على يد القائم ولا يمكنه من هذا الفرق، فإن مفسدته أعظم من مصلحته...¹.

2 - العلماء الذين وافقوا الشيخ المغيلي في فتواه وموقفه:

ومن هؤلاء العلماء:

أ - أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني²:

هو من عائلة علمية تلمسانية ذات أصل أندلسي من عقبان. وقد أصدر فتوى داعمة للمغيلي في موقفه. وفتواه نقلها صاحب كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر³، ومما جاء فيه: (أن الضيافة والأرزاق لازمتان لهم إن وقعت التوفية لهم. وكذا ذكر الشيخ ابن عبد السلام في شرحه ومثله فيه "كتاب جامع الأحكام" وهو مقتضي قول الثوري لهم حتى قاربوا الخروج عن إذلال الذميين بأنهم يعطون الأرزاق والضيافة الزائدتين عن الجزية ولما نعيهم من الظلم هنالك مؤاخذاً عظيمة يوم الحشر والجزاء بمنعهم من أداء الحق الواجب عليهم لكافة الخلق فقد خالفوا أمر الله فيهم من أداء الجزية وهم صاغرون

¹ - المصدر نفسه، ج:2، ص:231

² - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري، ج:2، ص:212 و213

³ - العقباني، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد التلمساني (ت 871 هـ/1467م)، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق علي الشنوفي، المعهد الثقافي الفرنسي - دمشق، سوريا، ط سنة 1967م،

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)¹، وقال: (وما يفعلونه في الأسفار من ركوب الخيل بالسروج الثمينة وفاخر اللباس والتحلي بحلية المسلمين في لباس التماق والمهاميز والتعمّم بعمام العرب فمحظور شنيع ومنكر فظيع يتقدم في إزالته بما أمكن وربما يجعلون لذلك محللا زعمهم أنهم يخافون على أنفسهم وأموالهم إن ظهر عليهم زيهم الذين يعرفون به وهم في ذلك كاذبون بما شاهدنا من حصول الأمن القوي لهم عند العرب والحظوة الكبيرة أعادنا الله من ضعف اليقين وسهولة الدين لما يرجون منهم من حصول النفع أكثر مما يحصل من المسلمين فيرضى العربي أن يسلب ماله ويستأصل ولده وأهله في نجاة اليهودي الذي يحمل معه في سفره فلم يبق إلا أنهم لما وجدوا السعة عند من لا ينكر عليهم من حفاة العرب وطغاهم تزبوا بأفخر زي المسلمين تلذذا به وتعنتا على ما مضى من وقت إذلالهم في الحواضر أحمد الله ظهورهم وأعز كلمة الإسلام بذلمهم وصغارهم)².

ب - الإمام أبو مهدي عيسى بن أحمد الماواسي³ مفتي فاس:

قال عنه الونشريسي: "فقيه فاس ومفتيها الفقيه المحصل"، قال الماواسي ما نصه: (الحمد لله وحده دائما؛ الجواب والله سبحانه الموفق للصواب بفضله، أن منزلة توات وغيرها من قصور الصحراء هي كلها ديار اسلام، فلا ينبغي المسامحة بإقرار الكنائس فيها للكفار، وان

1 - العقباني، تحفة الناظر وغنية الذاكر، ص: 157

2 - العقباني، تحفة الناظر وغنية الذاكر، ص: 170 - الونشريسي، المعيار، ج: 2، ص: 248 و 249

- بوعياد، تاريخ بني زيان، ص: 31

3 - أبو مهدي عيسى الماواسي: هو أبو موسى عيسى بن أحمد الماواسي من قبيلة بطوة الريفية على شاطئ البحر الأبيض المتوسط سكن مدينة فاس اتخذ خطة الفتوى فيها بعد الإمام القورب وضل يخطب بجامع فاس الجديد نحو سنتين توفي سنة 893 هـ/ 1488 م. انظر مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، المصدر نفسه، ص: 329.

قال به جماعة من العلماء، الا أن يكون ذلك شرطاً لهم في عقود جزيتهم فيوفي لهم بما عهد لهم في جزيتهم. هذا مذهب المدونة وهو قول ابن القاسم المعمول به والمعروف له، فلا يحسن العدول عنه مع ظهور ووضوح وجهه، الا أن يثبت عند هذا المفتي بتقرير الكنائس المذكورة أن حدوثها كان شرطاً لليهود في عقد جزيتهم كما جري العمل بذلك في كثير من بلدان الاسلام فتصح فتياه ويحسن تقريره لموافقته للمشهور.

أما ما ذكر حفظه الله تعالى من الأقوال المسرودة فحسن مساقها، وما حكاها المخالف من الاجماع المنعقد علي هدم كنائسهم، فان كانوا بالحالة المعروفة لأهل الذمة من أداء الجزية عن يد وهم صاغرون، فذلكم من تحكّماته. وان خالفوا الحالة الموصوفة وكانوا ناقضين للعهد فقولوه حسن. وكذلك كل ما ضربه القائل المذكور من الأمثال لا ينبغي اجراؤها الا فيمن نقض العهد من الذميين، وأما غيرهم فلا. وما نقله الشيخ أبو محمد صالح أن أرض الاسلام لأهل الشرك احدثت كنيسة فيها فقد جري في نقله على المشهور المشار اليه قبل هذا الاتفاق للعلماء على الحكم في المسألة بما قرره، فلا حجة فيه لمخالفكم ولا في نظير هذا النص مما يعضد فيه ناقله الوقوف مع المشهور. وما ذكر صاحب السؤال من الاحتجاجات على مختاره جله حسن صحيح لا يكاد يسقط منه شيء في النظر والاستدلال سوي محال يسيرة ينبغي مراجعة النظر فيها واعادته اليها. والله سبحانه أعلم¹.

ج - الإمام الونشريسي ورأيه بوجوب هدم كنائس اليهود بتوات:

قال رحمه الله: (قلت: الحق الأبلج الذي لا شك فيه ولا محيد عنه أن البلاد التواتية وغيرها من قصور الصحراء النائية المسامطة لتلول المغرب الأوسط المختطة وراء الرمال المتهيلة

¹ - الونشريسي، المعيار المعرب، ج:2، ص:225

التي لا تنبت زرعاً ولا ضرعاً بلاد إسلام باختطاط، لا تتقرر الملاعين اليهود-أبعدهم الله- فيها كنيسة إلا هدمت باتفاق ابن القاسم والغير ولا حجة لهم في الحوز الأعم من الإذن الشرعي المعتبر وعدمه، لأن الأعم لا إشعار له بالأخص المعين، لأن حاصله تردد الحوز بين الاذن وعدمه، وذلك عين الشك في الشرط. والشك فيه مانع من ترتب مشروطه عليه، فلا يتصور خلاف بين ابن القاسم والغير في المختطة للمسلمين كهذه إلا بعد تحقق الاذن من مشايخ المكان وسكان تلك الأوطان؛ فيجب على محدث الكنائس الإثبات والبيان، لأنهم مُدَّعون لأمر الأصل عدمه، وما سواه فإرجاف وهذيان. فإذا أثبتوا الأذن المنوط بالمصلحة إذ ذاك كانت المسألة خلافية وحكم الحاكم إذا اتصل بأحد قوليهما يرفع الآخر، وتصير المسألة بعد حكمه بأحدهما كأنها مسألة اجماع. ومتى لم يثبت الإذن لهم بالعدول الأثبات، فلا إقرار لكنائسهم ولا ثبات، والإذن المجرد بانفراده لا يرفع الخلاف، ومن قال به فقد أبعدهم في الجواب، وحاد عن مهيع الحق وطريق الصواب)¹.

د - الإمام أبو القاسم العبدوسي حافظ المغرب مستوطن تونس:

وهو ممن تشدد في منع إحداث متعبد لليهود، وهذا نص السؤال:
 (الحمد لله، سيدي رضي الله عنكم، و متع المسلمين بحياتكم جوابكم عن قرية محدثة البناء في بلد المسلمين أحداث فيها اليهود أخزاهم الله كنيسة، فجعلوا يتعبدون فيها بما هم عليه من الشرك إلى أن ألهم الله بعض من أراد الله به خيرا من فضلاء المسلمين من أهل العلم والدين، فرأى من التلم في الدين والمعرفة على المسلمين أن تقام رسوم الشرك في بلاد المسلمين فأمر بأن تهدم الكنيسة المذكورة، و أن يعفى أثرها، فانقطع بذلك منكر عظيم، وخمدت

¹ - المرجع نفسه، ص: 232

البدعة، ثم أراد اليهود المذكورين أخزاهم الله أن يعيدوا بناءها ويرجعوا إلى ما هم عليه من إقامة دينهم وإحياء سنتهم و لم تعقد لهم بذلك ذمة، ولا ضريت عليهم بذلك جزية، فهل يمكنون من ذلك أم لا؟ جوابكم مأجورين والسلام.

ونص الجواب: الحمد لله، ليس لهم إحداث و لا إصلاح في شيء من بلاد المسلمين، قاله ابن القاسم عن مالك في كتاب الجعل و الإجارة من المدونة، و إذا فعلوا ذلك بعد النهي عنه كان نقضا للذمة التي لهم، وهو مجمع عليه أن بلاد المسلمين ليس لأحد منهم أن يحدث فيها متعبدا ولا يصلحه وإذا نھوا عنه ولم ينتهوا صار ذلك منهم نقضا للذمة التي لهم، و هو مجمع عليه أن بلاد المسلمين ليس لأحد منهم أن يحدث فيها متعبدا و لا يصلحه، وإذا نھوا عنه ولم ينتهوا صار ذلك منهم نقضا للعهد، فتكون أموالهم للمسلمين وتكون ذراريهم مستباحة على حكم الحريين في بلاد الحرب، وتكون أولادهم ونسأؤهم للمسلمين. وقد أفتى شيوخ المغرب قبل هذا أنهم لا ذمة لهم دون هذا، فما ظنك بهذا، ومن تسبب لهم في رد الكنيسة وأعانهم في ذلك أو نصرهم فيه معتقدا، حليته كافرة، وإلا ففاسق، لعنة الله ورسوله، إذ قال: «من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وقال: من رضي عمل قوم كان شريكا معهم». وقد قال مولانا جل جلاله: (لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) المجادلة:22؛ ويخشى عليه التبديل عند الخاتمة، والأحاديث والآثار في ذلك أكثر من أن تذكر هنا، كتب أبو القاسم العبدوسي لطف الله به¹.

¹ - الونشريسي، المعيار المغرب، ج:2، ص:249 و250

قال الونشريسي معلقاً: (فانظر إلى جواب هذا الإمام رضي الله عنه، فكأنه كوشف بأن ذلك لا يقع منهم إلا بمعين من المسلمين يتذرعون به إلى تحصيل مرادهم، فبين أن أمره في ذلك دائر بين الكفر و الفسق الموجب لعنة الله والملائكة و الناس أجمعين، و خوف تبديل الخاتمة نعوذ بالله من موجبات الضلال، ألا ترى أنه لم يذكر له هذا الفصل في السؤال، ولا أشير إليه فيه، لكنه لما منحه الله من نور البصيرة كوشف بأنه لا يكون ذلك إلا بذلك، ولو لم يكن في المذهب نص إلا ما وقع في جواب هذا الشيخ لكان قاطعا في مسألة السؤال كيف و نصوص المتقدمين والمتأخرين على ذلك؟)¹.

هـ - تأييد أبي عبد الله بن غازي لفتوى المغيلي²:

ذكر الشفشاوني أن شيخ الجماعة أبو عبد الله بن غازي ممن أنصف الشيخ المغيلي، وكتب على ظهر كتابه في جمل مسجوعة: (... هذا كتاب جليل، ظهر عن نص عليل، وعلم بصواب كفيل وصاحبه غريب في هذا الجليل، بيد أنه أطلق الكفر عن التضليل)، ثم قال: إن المغيلي بنى قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)

¹ - المرجع نفسه، ص: 250

² - هو محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي ثم الفاسي، أبو عبد الله، من فقهاء المالكية. ولد عام أحد وأربعين وثمانمائة (841 هـ / 1427م). كان إماماً مقررًا مجودًا صدرًا في القراءات متقنًا فيها، قائمًا بعلم التفسير والفقه العربية متقدمًا فيها عارفًا بوجوهها ومتقدمًا في الحديث حافظًا له. ولد بمكناسة الزيتون وأخذ العلم بها وبفاس عن مشايخ كثيرين. توفي بفاس بعض مرض يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة تسع عشرة وتسعمائة (919 هـ). (التنبكي، نبيل الابتهاج، ص: 581-583، رقم الترجمة: 709 -مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، ص: 5، ص: 330)

المائدة: 51 في حكم التكفير، وهو تضليل على رأي الشيخ ابن غازي، لأن الكفر ضد الإيمان، وهو التكذيب¹.

و-فتوى الشيخ أبي عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن عبد الجليل التنسي²:
والشيخ التنسي هو مؤلف كتاب "الطراز على ضبط الحراز" في القرآن الكريم. وقد كتب إلى المغيلي جوابا مطولا بخصوص مسألة كنائس اليهود المحدثه بالقصور التواتية، يستصوب رأيه ويبارك عمله³، أورده الونشريسي في المعيار فتواه كاملة في ثلاثة عشرة (13) صفحة لما اشتملت عليه والفوائد، كما أوردها غيرها.

وبدأ بمقدمه تؤيد ما ذهب اليه المغيلي من ضرورة هدم المعبد اليهودي الجديد الذي كانوا يصدد بنائه، كما ذكر دورهم في منطقة المغرب الأوسط والمغرب الأقصى وتدخلهم في الشأن السياسي بتوليهم بعض المناصب الوزارية في حكومة بني مرين بفاس وتواطؤهم مع التجار والصناع وأصحاب القرار أو من سماهم "بعض من تتقي شوكته". وكان اليهود يتمركزون في بعض المناطق كتلمسان وسجلماسة وتمنطيط وهي أكبر قصور (قرى أو بلدات) توات بالنسبة للمغرب الأوسط.

1 - الشفشاوي، محمد بن عسكر الحسني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، ص: 130 و131

2 - التلمساني الفقيه الجليل الحافظ الأديب المطلع، عُرف بالتنسي، من أكابر علمائها الجللة، أخذ عن الأئمة أبي الفضل بن مرزوق وقاسم العقباني وابن الإمام، والإمام الأصولي محمد الفخار والولي إبراهيم التازي والإمام ابن العباس وغيرهم، وجاء في وفيات الونشريسي: "توفي الفقيه الحافظ التاريخي الأديب الشاعر أبو عبد الله التنسي في جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وثمانمائة (899 هـ). (التبكي: أحمد بابا بن أحمد، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص: 572 و573)

3 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 54

ومما جاء في فتواه¹:

(الحمد لله الذي لا يستحق الحمد المطلق سواه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد مختاره من الخلق ومصطفاه، وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا منهاجه القويم واهتدوا بهداه، ومن تبعهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحفظ لحدود الله. من عبد الله تعالى المعترف بذنبه، الراجي غفران ربه، محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي لطف الله به إلى جماعة أهل تَمَنُّبَطْ وفتحهم الله وسددهم وهداهم لقبول الحق وأرشدهم. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد فقد ورد علينا من ناحيتكم سؤال نصه بعد الافتتاح: ما تقولون وفقكم الله في مسألة تمنطيط مدينة توات أحيى المسلمون أرضها بإخراج مياهها وغرس نخلها وبناء قصورها مدة، ثم قدم عليهم اليهود ونزلوا عليهم في المدينة المذكورة وأحدثوا فيها كنيسة لإقامة دينهم وأقاموا على ذلك مدة إلى الآن، فهل تھدم تلك الكنيسة وإن كانوا ملكوا أرضها قبل بنائها بشراء من المسلمين أو غيره؟ أو لا تھدم؟ أفتونا في ذلك بجواب صريح ولكم الأجر فإن المسلمين في حيرة من هذه المسألة، فإن كان الحق هدمها هدموها بلا فتنة ولا اختلاف، وإن كان الحق إبقاءها أبقوها بلا فتنة. والله الموفق، والسلام عليكم والرحمة والبركة.

فأعلموا، نور الله بصائرکم، وطهر من اتباع الهوى سرائرکم، أن الشريعة المحمدية نسخت كل ملة، وشفقت القلوب السقيمة من كل علة، إذ برزت شمسها ساطعة، وبدت براهنها قاطعة، وقام بحفظها العلماء الاعلام، مكلفين بحراستها على مرور الأيام، واعتنوا ببيان حكم

¹ - انظر نص الفتوى في: بوعيداد، تاريخ بني زيان، ص: 34 - الونشريسي، المعيار، ص: 235 إلى 249.

أو الصرصري واليزناسني والشوشاوي والطنجي والمغربي وكذا جماعة من الشافعية: إن الأراضي ثلاث:

1- أرض الإسلام: لا يجوز إحداث الكنائس فيها، وفي كلام بعضهم باتفاق وبعضهم بإجماع. ومراد من عبر بالاتفاق الإجماع.

2- أرض صلح يجوز الإحداث فيها على ما في الكتاب خلافاً لعبد الملك، ومن وافقه فيما إذا كانوا مع المسلمين.

3- أرض عنوة أحقها ابن القاسم بأرض المسلمين، وأحقها الغير إذا أقرُّوا فيها بأرض الصلح، وظاهر الغير أن العنوة إذا لم يقرُّوا فيها بل انفرد بها المسلمون ثم جاءها أهل الذمة، بعد ذلك أنه يوافق على أن ليس لهم الإحداث لاشتراطه ذلك أولاً والتعليل به ثانياً، إذ صارت بعد اقرارهم فيها أولاً في حكم بلد المسلمين فتكون محل وفاق، وجاء في فتواه أيضاً: (وبالجمله إن العلماء رضي الله عنهم تكلموا على المسألة قديماً وحديثاً، وليس عندهم في ذلك إلا ما قدمناه حتى شرح الرسالة مثل الزناتي، وابن عمر وغيرهما فليس عندهم إلا ما قلناه، وآخر من تكلم عليهما القاضي العقباني في كتابه تحفة الناظر في تغيير المناكر، جلب فيها نصوص المتقدمين والمتأخرين، وهي كلها غير خارجة عما ذكرنا، وذكر فيه أن الشيخ أبا الفضل قاسم بن سعيد العقباني، سئل عن يهود توات هل تسقط عنهم الضيافة والأرزاق التي كان عمر فرضها، وجاء عن مالك إسقاطها عن أهل الذمة لكونهم لم يوف لهم، فقال بما تجب على يهود الجزية والضيافة والأرزاق، لأنهم خرجوا عن حد ما وجب لهم من الإذلال، ولم يمنعهم من ذلك مؤاخذه عظيمة يوم الحشر و الجزاء (و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون). قال: وما يفعله اليهود في الأسفار من ركوب الخيل و السروج الثمينة ولبس فاخر اللباس والتحلي بحلية المسلمين في

لبس الخف والمهراز والتعمم بالعمائم فمحذور شنيع ومنكر فظيع، يتقدم في إزالته بما أمكن، وربما يجعلون لذلك محلا زعمهم أنهم يخافون على أنفسهم وأموالهم إن ظهر عليهم زيهم يعرفون به، وهم في ذلك كذابون، لما شاهدنا من حصول الأمن القوي لهم عند العرب والخطوة الكبيرة لما يرجون من حصول النفع منهم فيرضى العربي أن يستأصل هو وجميع أهله في نجات اليهودي الذي معه. إلا أنهم لما وجدوا السعة عند من لا ينكر عليهم من جفاة العرب وطغاتهم تزويوا بأفخر زي المسلمين إذ كانوا لا يفعلون ذلك في الخواطر أحمد الله ظهورهم وأعز الإسلام بذلتهم وصغارهم، بل هم اليوم على أعظم من ذلك، جبر الله صدع الإسلام، فإن قلوب الملوك بيده¹.

وهي فتوى مطولة احتوت على تأصيلات شرعية مهمة جدا، فحشد فيها من النصوص الشرعية وأقوال الصحابة وفعلهم وأقوال العلماء، وما حدث في الأمصار الإسلامية.

ز - دعم محمد بن يوسف السنوسي² لفتوى التنسي:

وهو من الفقهاء الذين انتصروا للمغيلي عن طريق تأييد فتوى التنسي، حيث هنا زميله المغيلي على شجاعته وقيامه بواجب الدين في وقت فسد فيه الزمان وضعفت فيه فريضة النهي عن المنكر وسادت فيه "مداهنة من يتقي شوكته"³.

1 - الونشريسي، المعيار المغرب، ج:2، ص:235-249

2 - محمد بن يوسف السنوسي، هو أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي، من كبار علماء تلمسان كان منشغلا بمطالعة قراءة القرآن، له عدة مؤلفات، توفي سنة 895 هـ. انظر: ابن مريم، بستان الأولياء في ذكر علماء تلمسان، ص:140. انظر أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، ص:95 و97

3 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، ص:54 - بوعياذ، تاريخ بني زيان، ص:30

وهذا نص جوابه: (الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد خاتم النبيين و سيد المرسلين و من ملته الشريعة السمحة باقية ظاهرة على جميع الملل إلى يوم الدين، من عبید الله تعالى محمد بن يوسف السنوسي، غفر الله تعالى له و لوالديه بلا محنة، إلى الأخ في الله الحبيب في ذات الله تعالى القائم بما اندرس في فاسد الزمان، من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي القيام بها لا سيما في هذا الوقت علم على الاتساع بالذكرورة العلمية والغيرة الإسلامية، و عمارة القلب بشريف الإيمان السيد أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي، حفظ الله تعالى حياته، و بارك في دينه و دنياه، و ختم لنا و له و لسائر المسلمين بالسعادة و المغفرة بلا محنة يوم نلقاه.

بعد السلام عليكم و الرحمة و البركة، فقد بلغنا أيها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية والشجاعة العلمية من تغيير إحداث اليهود أذلم الله تعالى و أحمد كفرهم للكنيسة في بلاد المسلمين، و أنكم حرضتم أهل تمطيطت على هدم الكنائس التي لليهود ببلادهم، فتوقفوا من جهة من عارضكم في ذلك من أهل الأهواء (لعله يقصد القاضي العصنوني¹)، فبعثتم لأجل ذلك إلى بلدنا أسئلة و مكتوبات تستنهضون بها هم أهل العلم لينظروا في المسألة نظر أهل العدل والإنصاف، و يبينوا الحق فيها بيانا شافيا قاطعا لكل تخليط و تشغيب يرد أهل الهوى والانحراف. فاعلم يا أخي أني لم أر من وُقِّق لإجابة هذا القصد، وبذل وسعة في تحقيق الحق وشففي غليل أهل الإيمان في هذه المسألة، ولم يلتفت لأجلا قوة إيمانه ونصوع إيقانه إلى ما يشير به الوهم الشيطاني من مداهنة بعض من تتقي شوكته، ويخشى أن يقع على يده إضرار أو حط في المنزلة سوى الشيخ الإمام القدوة على الأعلام الحافظ المحقق أبي

¹ - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، السلسلة الأولى، من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري، ج:2، ص:214 و215 - بوعياذ، تاريخ مني زيان، ص:32 و33.

عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي، بارك الله تعالى له و متعه و متع المسلمين ببقائه وأمدته بطول الصحة و العافية، وزاد دنيا وأخرى في علوه وارتقائه، فإنه جزاه الله خيرا قد مدَّ في إبانة الحق ونشر أعلامه النفس، وحقَّق نقلا وفهما، وبالغ في ذلك حتى أبدى من نور إيمانه الماحي لظلمات الكفر وآثاره أعظم قيس، على ما تقفون عليه في جوابه المكتوب هذا بآخره. فليعمل أهل تمنطيط وغيرهم من أهل الإسلام على ما أبداه من الحق في ذلك الجواب، ولا يبنذوا ما خالفه إن أرادوا الفوز بشرف الإسلام وإعزازة وإصابة وجه الصواب، والله سبحانه المسؤول أن يوفقنا وسائر المسلمين للتمسك بالحق، وإخماد الباطل وإعزاز دين الإسلام، وأن يمحو الكفر وآثاره من جميع بلاد محمد...، والسلام عليكم وعلى من يقف على هذا المكتوب ورحمة الله وبركاته¹.

الخاتمة:

من خلال ما تم عرضه حول جوانب من شخصية الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، يتبين عظمة هذه الشخصية العلمية التي احتلت مكانة عالية بين علماء عصره في القرنين التاسع والعاشر الهجري، وكانت محل اهتمام الباحثين من المسلمين والغربيين وإلى يومنا هذا؛ فقد جمعت بين العلم والعمل، والفقه والدعوة، وجهودها البارزة في خدمة العلم، وفي إصلاح الأوضاع في بعض الإمارات الإفريقية، والوقوف في وجه الفساد السياسي والاجتماعي

¹ -الونشريسي، المعيار المعرب، ج:2، ص:252 و253 - وعن فتوى قاضي تمنطيط عبد الله بن أبي بكر العصوني الذي عارض المغيلي وأفتى بعدم التعرض لليهود، انظر: يعقوب أوليل (J.OLEIL)، اليهود في الصحراء يعقوب أوليل، منشورات المركز الوطني للبحث العلمي، فرنسا، ط سنة 1994م، ص:106-108

والاقتصادي، ومناهضته لطغيان وتمرد بعض الأقليات الدينية من أهل الذمة في المجتمع الإسلامي.

كما يتبين أيضا الجهود الجبارة التي قام بها الإمام المغيلي في الصحراء الجزائرية وفي بعض دول الساحل الإفريقي وحتى أدغال إفريقيا، في الفتوى وبث العلم وتعليم أولاد المسلمين في المناطق النائية من الصحراء الكبرى، وفي نشر تعاليم الإسلام السمحة، وإصلاح الانحرافات، ومحاربة مظاهر الشرك والخرافات وتلقين مفاهيم العقيدة الإسلامية الصحيحة.

فلم يكن كباقي علماء عصره الذين رحلوا إلى المشرق، واستوطنوا في المدن والعواصم الكبرى كالقاهرة ودمشق ومجاورة الحرمين المكي والمدني، بل آثر أن ينتقل إلى الصحراء وإلى دول إفريقيا الغربية حيث الفقر والظروف القاسية يدعو وينصح ويعلم ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقف في وجه الفساد والاستبداد، ويقدم النصح للأمرء، لا يخاف في الله تعالى لومة لائم.

إننا يمكن أن نصف ما قام به المغيلي أنه مشروع إصلاحى متكامل كان يمكن أن تكون له أبعاد واسعة وامتدادات بعيدة في إفريقيا لو التف حوله أو أسهم معه فيه ثلة من علماء عصره.

وقد حاولنا من خلال هذا المقال أن نبين المكانة العلمية والفقهية للشيخ المغيلي، وعلاقاته ومراسلاته بعلماء عصره، ونماذج من فتاويه الإصلاحية وركّزنا على فتواه بخصوص نازلة توات وموقف علماء عصره منها، كما أشرت إلى جهوده الإصلاحية والدعوية في الصحراء وإفريقيا الغربية.

المصادر والمراجع

- محمد بن عبد الكريم المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تقديم وتحقيق عبد القادر زبايدية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط سنة 1974م.
- المغيلي محمد بن عبد الكريم التلمساني الجزائري (ت 909 هـ)، مصباح الأرواح في أصول الفلاح ومعها رسالة الإعلام بما أغفله العوام لابن عظوم القيرواني التونسي، تحقيق عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1421 هـ/2001م.
- التنبكتي: أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري، أبو العباس (ت 1036 هـ)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، ط 2، سنة 2000م.
- ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشريف الملقب بالديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، راجعه محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، سنة 1326 هـ/1908م.
- العقباني، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد التلمساني (ت 871 هـ/1467م)، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق علي الشنوفي، المعهد الثقافي الفرنسي-دمشق، سوريا، ط سنة 1967م.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، السلسلة الأولى، من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري، عالم المعرفة، الجزائر، ط 1، سنة 2015م.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر، الجزائر، ط 6، 2009م.

- عباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، سنة 1413 هـ/1993م.
- التنبكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقدم عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط2، سنة 2000م.
- الحفناوي، أبو القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، تحقيق خير الدين شترة، دار كردادة، الجزائر، ط1، سنة 1433 هـ/2012م.
- مخلوف، محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر.
- الزركلي: خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، سنة 1986م.
- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، دار الوعي، الجزائر، ط سنة 1438 هـ/2017م.
- عبد الرحمن البكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى الرابع عشر، دار الغرب، الجزائر، ط سنة 2007م.
- مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية في إفريقيا الغربية، خلال القرن التاسع للهجرة، الخامس عشر للميلاد، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط سنة 2006م.
- مهني فاطمة الزهراء، بستاني عائشة، عبد الكريم المغيلي ودوره في هدم الكيان اليهودي في توات (790- 909 هـ/ 1425 - 1504م)، مذكر تخرج مكملته لشهادة الماجستير، تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط، إشراف د. بلقاسم بن عودة، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت.

- السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (ت 902 هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، ط سنة 1412 هـ/1992م.

- الكتاني، محمد عبد الحي عبْد الحَيِّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسيني الإدريسي (ت 1372 هـ)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيكات والمسلسلات، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، سنة 1982م.

- ابن القاضي، أما أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي (960 هـ/1025 هـ)، ذيل وفيات الأعيان المعروف بـ درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد أحمددي أبو النور، مطبعة السنة المحمدية، عابدين، ط 1، سنة 1391 هـ/1971م.

- الشفشاوني، محمد بن عسكر الحسيني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب، الرباط، ط2، سنة 1397 هـ/1977م.

- مزى زينب، الصحراء الجزائرية بين امتداد العثماني والأطماع السعدية خلال القرن 16، مذكرة ماستر، مذكرة ماستر، تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية.

- عبد الله مقلاتي، موقف الشيخ المغيلي من يهود توات، مجلة الحقيقة، عدد6، ماي 2005م.

- الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت 914 هـ)، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق مجموعة من الباحثين بإشراف

محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط سنة 1401 هـ/1981م.

- نادية سالم شفشة، الشيخ المصلح ابن عبد الكريم المغيلي (831-909 هـ/1427-1503م)، مجلة كلية التربية، جامعة الزاوية، ليبيا، عدد22، جزء:2، جويلية 2021م.

- بن يحيى الطاهر ناعوس، سيرة محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني،
<https://www.alukah.net/culture/0/22525/>، نشر بتاريخ

2001/6/9م/1431/6/27هـ، واطلع عليه بتاريخ 2025/4/13م.

- علي يعقوب، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره في السودان الغربي،
<https://qiraatafrican.com/7972/>، نشر بتاريخ 2020/10/20، واطلع

عليه بتاريخ 2025/04/13

الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني داعية الغرب الإفريقي ومصلحه ومجده

أ.د. نورالدين بوكريدي، تخصص أصول الفقه
جامعة الشهيد أحمد زبانه غليزان

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: إن العلامة محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي عَلمٌ من أعلام الجزائر وواحد من أكبر علمائها وأشهر دعاة، ورمز من رموز الدعوة الإصلاحية، ليس في الجزائر فحسب بل تعدت شهرته في دول غرب إفريقيا بفعل رحلاته إليها، وترك مكانة وأثراً بالغاً فيها وذلك بشهادة أنصاره ومحبيه، وباعتراف أعدائه ومخالفيه، ومع كونه كذلك فإننا وجدناه قد أُخمد ذكره ولم يوجد من يهتم بآثاره فيجمعها وبأفكاره فيحليلها وينشرها إلا بعض الجهود المعترية عند بعض الباحثين، خاصة فيما تعلّق بدعوته الإصلاحية في السودان الغربي، في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجريين وأثر ذلك على مجتمعات المنطقة وانتعاش الحركة العلمية فيها، كما يعدُّ العلامة المغيلي من أهم الأقطاب العلمية والفكرية التي أنجبتها منطقة تلمسان عبر عصورها الذهبية، وهذا لما تميّزت به هذه الشخصية من تعدّد وثناء علمي وفكري وسياسي، قلّما تجتمع في شخص واحد، حيث استطاع بما حباه الله من مواهب فكرية وأزجيحية سياسية أن يهدي للأجيال الصاعدة طائفة من الكتب العلمية الأصيلة في الفقه والتفسير والتاريخ والأدب والفكر

السياسي، وأن يورثها تجاربه ومواقفه السياسية التي ما فتئت تفرض نفسها على التاريخ وعلى الواقع السياسي الذي نعيشه. وما سأقوم به في هذا البحث المتواضع ما هو إلا محاولة الإشارة إلى تأثير أهم مجهوداته الإصلاحية والتعليمية والدعوية خاصة في منطقة إفريقيا جنوب الصحراء وعلى أفراد شعوبها مما بوأته مكانة مجددتها بامتياز، فقد ترك وخلد فيها آثاراً وبصمات ما زالت شاهدة على فضله إلى اليوم.

أولاً: إشكالية البحث

إنّ هذا البحث المتواضع جاء ليحجب عن تساؤل رئيسي مفاده: إلى أي مدى أثرت مجهودات الشيخ محمد بن عبد الكريم الإصلاحية والتعليمية والدعوية في منطقة إفريقيا جنوب الصحراء عامة وعلى أفراد شعوبها خاصة؟ وما هي المعالم التجديدية التي جعلته مجدد السودان الغربي بامتياز؟

ثانياً: خطة البحث:

للكشف عن ماهية الموضوع وحقيقته لا بد لي من بيان موجز للخطة التي سلكتها، فالتراماً بالمنهج العلمي ارتأيت أن أقسم بحثي إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

- المبحث الأول: التعريف بالحياة الشخصية والعلمية للعلامة المغيلي.
- المبحث الثاني: تأثير المغيلي في الحركات الإصلاحية والدعوية في غرب إفريقيا.
- المبحث الثالث: العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي مجدد الغرب الأفريقي.

وأما بالنسبة للخاتمة فأبرزت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي هذا، وكذا التوصيات والمقترحات.

المبحث الأول: التعريف بالعلامة المغيلي

المطلب الأول: الحياة الشخصية

الفرع الأول: اسمه وكنيته ونسبه:

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني¹ التواتي² المالكي من أهل تلمسان، ينتسب إلى قبيلة مغيلة بفتح الميم وكسر الغين وسكون الياء من قبائل البرابرة، والمغيليون من الأسر العلمية القديمة بمنطقة الغرب الجزائري وتمتد إلى منطقة توات بأدوار حالياً.

الفرع الثاني: مولده ونشأته ووفاته

أولاً: مولده ونشأته:

أغفلت أغلب المصادر تحديد مولده، وإن كان القليل منها قد ذكر أنه كان حياً سنة 886هـ، ولد بمدينة تلمسان شمال غرب الجزائر، ولعل المغيلي لم يعتن كما اعتنى غيره بترجمة تاريخ حياته، بسبب جهاده المتواصل ونضاله المستمر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحمله في سبيل ذلك المشاق والصعاب ورحلاته في قلب القارة الأفريقية لنشر الإسلام،

1 تلمسان مدينة تقع حالياً في الجزائر، بينها وبين مدينة وهران حوالي 150 كم فيها آثار كثيرة، انظر نيل الابتهاج بتطريز الديقاج لأحمد بابا التمبكتي ص330، دار الكتب العلمية بيروت. وأيضاً محمد بن عبد الكريم المغيلي دراسة بيبلوجرافية، فراج عطا الله سالم، مجلة عالم الكتب، ص241، ع3، مج 11، محرم 1411هـ.

2 مدينة توات هي إقليم صحراوي واسع ينزل جنوباً مع وادي الساورة وتمنطيط أم القرى يطلق عليها اسم توات أدرار حالياً، انظر: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين لمحمد حجي، 2\231 مطبعة فضالة 1397-1977م

ومحاربة المنكرات والبدع والأباطيل الوثنية، هذا ما جعله ينسى أن يدون لنا شيئاً عن تاريخ حياته وخاصة طفولته وشبابه، ولقد عاش المغيلي شبابه بتوات -شمال وسط الصحراء الجزائرية في منطقة تمنطيط بمدينة أدرار حالياً- يعظ الناس، وسرعان ما اكتسب احترامهم ومحبتهم وذاع صيته بينهم، وقيل أنه كان أكبر داعية للإسلام بين الطوارق الذين لا يزالون يذكرونه بكل تقدير، وكان يلقب بالبغدادي مع أنه كان من أهل تلمسان¹.

لقد عاش المغيلي في مدينة توات التي شهدت سنوات جهاده الأولى، والتي استولى عليها المنصور الذهبي² زمن السعديين، فقد كانت تنطلق منها أكبر القوافل التي تقصد السودان من جهة بلدان المغرب العربي، وكان التواتيون في عهد الدولة السعدية يتوافدون بكثرة على بلاد السودان وخاصة سنغاي. وعندما زار العلامة المغيلي سنغاي سنة 1502م على أيام الأسقيا الحاج محمد الأول وجد أبناء وطنه التواتيون يشكلون نسبة كبيرة من التجار الأجانب والأئمة الفقهاء في تمبكتو وغاو³.

ثانياً: وفاته وآخر أيامه:

أثناء إقامة المغيلي عند سلطان سنغاي الحاج محمد أسكيا سمع بمقتل ابنه على يد يهود توات وهو في غاو عاصمة مملكة سنغاي الإسلامية فانزعج أشد الانزعاج لذلك الخطب

¹ الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، مرجع سابق، 1\268، وأيضاً العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي، ص 140 للأمين عوض الله، جدة، 1989م.

² صعد المنصور إلى الحكم سنة 1077م، وكان عهده من أزهى أيام السعديين بالمغرب، ولقب بالمنصور الذهبي لكثرة ما جمعه من ذهب من حملاته على بلدان غرب إفريقيا، أنظر: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر، 1\80.

³ تمبكتو وغاو مدينتان تقعان شمال مالي وكانتا تعتبران عاصمة لدولة سنغاي الإسلامية في القرن الخامس عشر الميلادي، أنظر: مملكة سانغاي الإسلامية، ص 216

الجلل الذي ألم به، لأن فيه عداوة الدين وقتل الولد، وفي ثورة من الغضب الجامح طلب من السلطان إلقاء القبض على أهل توات القاطنين بغاوا العاصمة، فقبض عليهم السلطان، ولكنه أفرج عنهم بعد أن أنكر عليه ذلك الفقيه القاضي محمد بن عمر أقيت، الذي أقتعه برأيه بأنه لا ذنب جنوه يكون سبباً في أن يرسفوا في الأغلال ولم يسع المغيلي بعد ذلك إلا أن يغادر غاوا إلى بلاده توات فأدركته المنية بها بعد قليل من وصوله إليها سنة 909 هـ -رحمه الله تعالى- وكان مقداماً على الأمور جسوراً جريء القلب فصيح اللسان محباً للسنة جدلياً نظاراً محققاً¹.

المطلب الثاني: الحياة العلمية

الفرع الأول: شيوخه وتلامذته

أولاً: شيوخه²:

لقد تتلمذ المغيلي على شيوخ كثير منهم الثعالبي، والسنوسي، ويحيى بن يدير... وغيرهم.

ثانياً: تلامذته³:

تتلمذ على الإمام العلامة المغيلي كثير من التلاميذ نذكر منهم: الونشريسي ومحمد بن عبد الجبار الفجيجي والعاقب الأنصمني.... وغيرهم.

¹ انظر سيرة محمد بن عبد الكريم المغيلي، بن يحيى الطاهر ناعوس، ص 11-12

² انظر ترجمته في كتاب: محمد بن عبد الكريم المغيلي، فراج عطا سالم، مرجع سابق، ص 341. نقلًا عن: نيل الابتهاج، ص 359.

³ أنظر المعيار المعرب، الونشريسي، تقديم، ص 1، ب، ج، الأعلام، الزركلي، 1/255-256، نيل الابتهاج، ص 359.

الفرع الثاني: أهم مؤلفاته¹:

لقد ترك العلامة المغيلي تراثاً ضخماً في مختلف الفنون، ومن أهم مؤلفاته ما يلي: البدر المنير في علوم التفسير- تفسير سورة الفاتحة -الفتح المبين في شرح القرآن الكريم-مصباح الأرواح في أصول الفلاح -المفروض في علم الفروض -منهج الوهاب في رد الفكر إلى الصواب-شرح على بيوع الآجال لابن الحاجب-مقدمة في العربية-تنبيه الغافلين-مفتاح النظر في علم الحديث-رسالة إلى كل مسلم ومسلمة-مقدمة في علم المنطق-ما يلزم أهل الذمة-أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي عليها-التعريف بما يجب على الملوك والأمراء-مختصر فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام.

كما ظهر كثير من المؤلفات عن المغيلي ودراسات مختلفة عن جوانب من حياته الشخصية والعلمية ليس في الجزائر فحسب، بل تعدى ذلك إل دول غرب إفريقيا وخاصة نيجيريا ومالي والنيجر التي ما تزال مراكز مخطوطاتها ومكتبات جامعاتها تزخر بتراث العلامة المغيلي.

الفرع الثالث: مكانته وأثره وآراء العلماء فيه

أولاً: مكانته:

لقد كان العلامة المغيلي أكبر داعية للإسلام في عصره ووقته، في شبابه وشيخوخته، في وطنه، وخارج وطنه، وامتدت دعوته إلى مناطق بعيدة، وصلت إلى قلب القارة الإفريقية في

¹ انظر هذه المراجع في كتاب: الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي، أبوبكر ميغا، ص173-174، وانظر مجلة عالم الكتب، محمد بن عبد الكريم المغيلي، فراج عطا سالم، ص350. وانظر أيضاً الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقيا الغربية من خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر للهجرة، أ.مبروك مقدم، ص303 وما بعدها.

وقت كان الترحال فيه والتجوال أشد وأقسى على النفوس والأبدان لما في ذلك من مصاعب ومشاق لا نستطيع حصرها هنا¹.

ثانياً: أثره:

أما أثره في بلاد السودان الغربي فإن الدور الذي قام به الإمام المغيلي لا يدانيه أي دور قام به عالم جزائري آخر، فقد ترك أثراً إسلامياً كبيراً فقام بتصحيح مفاهيم كثيرة كانت مغلوطة في أذهان العامة والسايطين في السودان الغربي².

ثالثاً: أقوال العلماء فيه³:

قال أحمد بابا التمبكتي رحمه الله عنه: "المغيلي خاتمة المحققين، الإمام العلامة الفهامة، القدوة، الصالح السني، أحد الأذكياء ممن كان له بسطة في الفهم والتقدم، متمكن المحبة في السنة وبغض أعداء الدين"⁴.

المبحث الثاني: تأثير المغيلي في الحركات الإصلاحية والدعوية

في غرب إفريقيا

كان المغيلي من دعاة عصره المصلحين النشطين، وله شخصية قوية استطاع بها التأثير على الناس، وكان مهتماً كل الاهتمام بإصلاح الأوضاع الدينية والسياسية للمسلمين في

¹ انظر: محمد بن عبد الكريم المغيلي، فراج عطا سالم، مج 11، ص 49. نقلاً عن: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، محمد حجي، 315/2.

² العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي: الأمين عوض الله، ص 191

³ انظر هذه الأقوال في مجلة عالم الكتب، بحث بعنوان، محمد بن عبد الكريم المغيلي، فراج عطا سالم، مج 11، ع 3، ص 349.

⁴ نيل الابتهاج بتطريز الديباج: ص 330.

أيامه. فهو ليس من طبقة الفقهاء الذين اکتفوا بالاهتمام بالمسائل الفقهية والتعمق فيها دون النظر إلى الأوضاع السياسية الفاسدة المخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية، بل هو من العلماء القلائل في زمانه الذين حاولوا إصلاح أوضاع المسلمين والرجوع بهم إلى المنهج الإسلامي الصحيح، لذلك لما عجز عن إصلاح الحكام في الجزائر ارتحل إلى الصحراء وغادر بلده وفي نفسه غيض وحنق على الانحراف في سيرة الحكام. ولما انتقل إلى كانو وجد تقبلاً لأرائه الإصلاحية، فباشر الإصلاح على طريقته، فاكتسب مكانة عظيمة في السودان وذاع صيته كأحد المصلحين اللامعين في دنيا الدعوة والإصلاح¹.

إن المتفق عليه بين جميع الدارسين الذين تناولوا شخصية المغيلي من القدامى والمحدثين ومن العرب والغربيين، هو أن الرجل كان له تأثير قوي وملموس جداً، ظل صداه يتردد بعده قروناً طويلة. فالدور الذي قام به العالم الجليل المغيلي لا يدانيه أي دور قام به عالم مغربي في السودان الغربي، فقد ترك أثراً إسلامياً كبيراً وقام بتصحيح مفاهيم كثيرة مغلوطة في أذهان العامة والسلاطين².

يقول الدكتور شيخوا أحمد سعيد غلادنشي، وهو أحد أبرز المثقفين والمهتمين بالتراث الإسلامي في نيجيريا، ومن أبناء مدينة كانو بالذات، متحدثاً عن زيارة المغيلي لمدينته في كتابه: "حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا" ويذكر هذا المؤلف أن أحفاد المغيلي في كانو ما يزالون إلى اليوم يحضرون مجلس أمير كانو ويكونون في حاشيته، ولقد كان لهذه الزيارة التي قام بها المغيلي إلى كانو صدی كبير، ونتائج عظيمة تركت أثراً واضحاً لا في كانو فحسب، ولكن في ولايات الهوسا جميعاً، لأن انتشار الإسلام في كانو أدّى إلى انتشاره في الولايات

¹ دعوة الإمام المغيلي العلمية والإصلاحية في السودان الغربي، أبوبكر ميغا، ص 249.

² انظر العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي، الأمين محمد عوض الله، ص 188-190.

الأخرى من نيجيريا، ومن ذلك الوقت نستطيع أن نقول: إن ولاية كانو أصبحت ولاية إسلامية حقاً، وبدأت بعدئذ تلعب دوراً هائلاً في خدمة الثقافة الإسلامية في نيجيريا¹.
ويذكر هذا المؤلف إضافة إلى ذلك بأن أحفاد المغيلي في كانو ما يزالون إلى اليوم يحضرون مجلس أمير كانو، ويكونون في حاشيته².

ولما أرخ المرحوم الشيخ آدم الإلوري لحركة الأدب واللغة العربيين في نيجيريا في كتابه الذي سماه "مصباح الدراسات الأدبية في نيجيريا"، أشاد بدور المغيلي الفعال في ترقية العلوم العربية والثقافية الإسلامية، واعترف بتأثيره الكبير في هذه الناحية، مما جعله يسمي قسماً من الخمسة أدوار التي عرفتها عصور الأدب العربي في نيجيريا منذ قيام هذا الأدب فيها إلى العصر الحاضر، قلت: يسميه بعصر المغيلي³، وهذه الأدوار رتبها كالاتي:

1-العصر البرناوي: عصر ظهور الإسلام في نيجيريا، من القرن الخامس إلى السابع الهجري.

2-العصر الونغري: من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري.

3-عصر المغيلي: من القرن التاسع إلى القرن الحادي عشر.

4-العصر الفلاني: يبدأ بظهور ابن فودي وقيام دولته إلى سقوطها في بداية القرن الحالي.

5-العصر الإنجليزي: في القرن العشرين.

ثم يجعل من نص بعض فتاوى المغيلي الواردة في أجوبته لأسئلة أسكيا، نموذجاً لأسلوب الكتابة العربية في هذا العصر الأدبي الذي سماه بالعصر المغيلي. وأخيراً يختم المرحوم الألوري

¹ انظر حركة اللغة العربية وآدابها بنيجيريا، الدكتور شيخو أحمد سعيد غلادنتي، ص45.

² المرجع نفسه، ص48.

³ انظر مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، آدم الإلوري، ص23.

في كتابه المشار إليه شهادته في حق المغيلي بالقول: "فقد استفادت البلاد منه كثيراً، وآثاره كثيرة في ميادين عديدة واضحة ملموسة لكل صغير وكبير، في الحكم والسياسة والعلم والأدب... ولقد تعلم منه الكثير والكثيرون من علماء هذه البلاد، واتصل بسلاطين كانوا وكثينة وأغدس وتكد، ووضع لهم وصايا على القواعد الشرعية، وهي محفوظة في الدوائر الحكومية، ومعمول بها في الأوساط الرسمية"¹.

لقد أنجزت أبحاث تاريخية عن تأثير هذا الإمام في الحركات الإصلاحية والدعوية في السودان الغربي، خاصة بعد إنشاء مركز أحمد بابا بمالي سنة 1973م، وهو يحتوي على الكثير من آثاره ومخطوطاته، وكانت هذه المخطوطات والرسائل موضوع رسالة دكتوراه قدمها في جامعة لندن النيجري حسن إبراهيم كوارزو سنة 1972م بلندن² تحت إشراف البروفيسور الإنجليزي جوهن هوناك الذي أصبح رئيساً لمركز الدراسات الإفريقية في مدينة وسترن الجديدة بالولايات المتحدة الأمريكية تحت عنوان: "الحياة العلمية عند المغيلي"³.

لقد ترك العلامة المغيلي مكانة عظيمة وأثراً بالغاً في الأمة وأصبح اسمه عندهم مقروناً بالإمام وظلت آثاره قائمة بعد موته قرناً طويلاً. وألف كثيراً من الرسائل والكتب أضاءت الحياة العلمية في قلب السودان وأوضحت لهم منهج الإسلام الصحيح في الحياة العلمية، وأصبحت كتبه مدرسة روحية تربت عليها العلماء والحكام والعامة، وظهر أثرها بارزاً على الأمة في عهده، وعلى الأجيال التي أتت من بعده فالذين أتوا بعده من المصلحين السودانيين

¹ المرجع نفسه، ص 48.

² هو دكتور وأستاذ كرسي حالياً بجامعة غانا.

³ و انظر سيرة محمد بن عبد NIGERIA PERSPECTIVE, AN ISTORICAL ANTHOLOGY, LONDON, 1960

الكريم المغيلي التلمساني، بن يحيى الطاهر ناعوس، ص 7.

تأثروا بآرائه ومنهجه في تصنيف من يجب جهاده وقتاله من الكفار والمرتدين عن الإسلام، ومن يدعي الإسلام ويخلط بينه وبين عبادة الأوثان أو يعتقد فيها النفع والضرر، وقد أخذ بمنهجه هذا الشيخ عثمان بن فوديو¹ وأتباعه وخلفاؤه من بعده.

لقد ظل تأثير المغيلي هذا الذي تحدثنا عنه محفوظاً في ذاكرة الأجيال من أبناء السودان الغربي عموماً ونيجيريا على الخصوص، وظلت أعماله وآثاره المكتوبة والروايات الشفوية المنقولة عنه يحفظها العلماء ويتداولها أهل الإصلاح والسياسة ورجال الدعوة جيلاً بعد آخر، إلى أن وصلت مرحلة قيام الحركة التي قادها عثمان بن فودي، فاستثمرتها أحسن استثمار، واعتمدت عليها أشد الاعتماد حتى إننا لا نكاد نجد مؤلفاً من مؤلفات الشيخ عثمان أو غيره من منظري حركته والقائمين بدعوته والمؤرخين لها، يخلو من الإشارة للمغيلي والنقل عنه والرجوع إلى وصاياه وفتاواه ورسائله، والاحتجاج بأقواله وآرائه في تدعيم دعوتهم وإسناد الأفكار التي تضمنتها حركتهم الجهادية والإصلاحية والدعوية، ولا سيما أن هذه الحركة قد واجهت كثيراً من الخصوم لا من العوام فقط ولكن من بعض العلماء والأمراء أيضاً²، نذكر منها تلك المناظرات والمناقشات والمطارحات السياسية والدينية التي دارت بين ابن فودي وبين الأمير محمد الكامي، وقامت في وجهها حملات من التشكيك والتشويش في العديد

¹ هو المجاهد والمصلح ومجدد ومفتي الديار النيجيرية، ولد في يوم آخر صفر 1168 للهجرة الموافق ل 15 ديسمبر 1754م بمنطقة غوير بشمال نيجيريا، أفنى حياته في العلم والدعوة والإصلاح، توفي سنة 1817م تقريباً، انظر عثمان بن فودي المصلح والمجاهد، آدم الإلوري، ص12.

² إنفاق الميسور، محمد بللو، ص34.

من القضايا الدينية والدينية. فكانت فتاوى المغيلي وكتاباتهما بما لها في نفوس الجميع من الإجلال والإكبار هي الحجة الدامغة من بين الحجج التي اتكأ عليها بن فودي وأنصاره¹.

لم يكن ابن فودي ورجال دعوته هم وحدهم الذين يستندون إلى كتابات المغيلي ووصاياه في إسناد آرائهم وتدعيم مذهبهم، بل كان كثير من رجال الدعوة والسياسة أيضاً يفعلون مثل ذلك. ومن الأمثلة عليه كتاب "تيسير الفتاح في الدب عن أهل الصلاح" الذي ألفه محمد أكنا السوقي الطارقي المالبي الكنهاني في 121 صفحة كبيرة. فقد ألفه صاحبه في الرد على رجل عاب عليه وعلى قومه أنهم ساكنوا الكفار ولم يهاجروا، محتجاً بنصوص المغيلي من أجوبته لأسكيا ومن رسالته المسماة "مصباح الأرواح"، فكان المؤلف يتتبع عبارات المغيلي ويحللها ويشرحها ويرد على خصمه بما فهمه منها، والكتاب مخطوط بالنيجر².

وإذا كان المغيلي قد ألف كتباً عديدة في مسائل من العلوم المختلفة كالفقه والحديث والتفسير والتوحيد والوعظ والمنطق والبلاغة واللغة والأدب والسياسة الشرعية وأنظمة الحكم³، فإن أربعة من هذه الآثار العلمية هي التي استأثرت أكثر من غيرها باهتمام منظري الدعوة الفتوية، وهي تلك الرسائل الثلاث التي ألفها خلال إقامته بالسودان الغربي استجابة لطلب سلطاني كانو وسنغاي، بالإضافة إلى رسالته الرابعة التي كان قد ألفها في نازلة يهود

¹ انظر الإمام المغيلي وتأثيره في حركة عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب إفريقيا، أحمد الطراني ص 8.

² انظر الإمام المغيلي وتأثيره في حركة عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب إفريقيا، أحمد الطراني ص 9.

³ وصل عدد مؤلفاته حسب مقالة دائرة المعارف الإسلامية إلى 26 عنواناً، وتجاوزت الثلاثين عند بعض الباحثين.

توات، وعرفت في بعض المصادر باسم "تأليف فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار"، وفي بعضهما باسم: "مصباح الأرواح في أصول الفلاح"¹.

وهكذا، فإننا إذا عدنا مثلاً إلى كتاب: "سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان"² لعثمان بن فودي، فنسجد أنه قد قسمه إلى عشرة فصول قصيرة اعتمد فيها المؤلف اعتماداً كلياً على المغيلي، ونقل في تسعة فصول منها أكثر كلامه في أجوبته لأسكيا، من الفصل الثاني إلى نهاية الفصل التاسع، أي من صفحة 10 حتى صفحة 42 ... حتى إننا لو حذفنا منه هذه النقول والنصوص المغيلية لما بقي فيه شيء يذكر سوى فقرات قليلة، وجمل لا تعدو أن تكون تعليقاً أو وسيلة ربط بين هذا الكلام أو ذاك.

وفي رسالة أخرى لعثمان بن فودي بعنوان "تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان"³، نجد المؤلف قد خصص فصلاً منها وهو السادس لذكر وصية الشيخ المغيلي لمحمد بن يعقوب سلطان كانوا بالإضافة إلى نقول منه وإشارات إليه في مواضع أخرى. وفي رسالته المسماة: "مسائل مهمة يحتاج إلى معرفتها أهل السودان"⁴، ينقل أيضاً عن أجوبة المغيلي لإسكيا في مواضع متفرقة ويحتج بأقواله وآرائه.

وكذلك الأمر في كتب أخرى له مثل "وثيقة الإخوان لتبيين دليلات وجوب اتباع الكتاب والسنة والإجماع"، ومثل "نجم الإخوان يهتدون به بإذن الله في أمور الزمان"، ومثل

¹ نشرها رابح بونار بهذا العنوان سنة 1968م، بالجزائر.

² مطبوع بطريق التصوير في نيجيريا.

³ مخطوط مصور بالمركز الأفريقي لإحياء التراث الإسلامي بالجامعة الإسلامية بالنيجر.

⁴ مخطوط مصور بالمركز الإفريقي لإحياء التراث الإسلامي بالجامعة الإسلامية بالنيجر.

"سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان"، ومثل "بيان وجوب الهجرة على العباد"¹ و"نصيحة أهل الزمان"² و"مصباح الزمان"³، وغيرها.

أما في رسالته المسماة: "حسن الأفهام من جيوش الأوهام"⁴، فقد نقل فيه عن المغيلي في مواضع ثم قال: "وسئل شيخنا محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني عن تحليل المطلقة ثلاثاً قبل زوج، فقال... "وقد علق الألوري-رحمه الله-على كلمة "شيخنا" هذه، فقال: انظر قول ابن فودي: وسئل شيخنا... لقد عزا النقل إلى المغيلي ونسب نفسه إليه كالتلميذ الذي سمع أو أخذ عن المغيلي مباشرة، مع ما بينهما من بعد العهد الذي لا يقل عن ثلاثة قرون. وإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على غاية التأثير وشدة التعلق بهذا الشيخ"⁵.

وللشيخ عثمان كتاب بعنوان "كتاب تعليم الإخوان بالأموال التي كفرنا بها ملوك السودان"⁶، ينقل فيه عن المغيلي في أجوبته لأسكيا، وعنه في "مصباح الأرواح"⁷ في مواضع مختلفة، ثم يختم الكتاب بنقل الترجمة التي خصه بها أحمد بابا في "نيل الابتهاج" و"كفاية المحتاج"، فيقول: "هذا كلام المغيلي في "مصباح الأرواح في أصول الفلاح"⁸ رضي الله تعالى

¹ مطبوعة بطريق التصوير في نيجيريا.

² مطبوعة بطريق التصوير في نيجيريا.

³ مطبوعة بطريق التصوير في نيجيريا.

⁴ حصن الأفهام مطبوع بمطبعة الزاوية بالقاهرة، ثم طبع بطريقة التصوير في كانو بنيجيريا، سنة 1986 م، بتحقيق د ز فضل الوحمن الصديقي.

⁵ الإمام المغيلي وتأثيره في حركة عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب إفريقية، أحمد الطراني ص34.

⁶ مخطوط مصور بالمركز الإفريقي لإحياء التراث الإسلامي بالجامعة الإسلامية بالنيجر.

⁷ طبعة رابع بونار كما تقدم في هامش سابق.

⁸ مطبوع بطريقة التصوير في نيجيريا بدون تاريخ.

عنه، ونريد أن نورد ترجمته التي أوردها أحمد بابا في كتابه "نيل الابتهاج" وكتابه "كفاية المحتاج" ليعلم أنه عالم سنيّ قدوة...".

وفي نهاية الترجمة التي يوردها يعقّب بقوله: قلت: وقفنا-بحمد الله تعالى-على بعض تأليفه وانتفعنا بها، منها كتاب "المسائل" الذي ألفه لأبي عبد الله محمد بن يعقوب سلطان كانو وغيرها، جزاه الله عنا كل خير وجمعنا معه في علالي جنة الفردوس آمين.

ونريد أيضاً أن نختّم هذا الكتاب بذكر سندنا المتصل إليه رضي الله تعالى عنه الذي جاءنا من سيدي محمد المختار بن أبي بكر الكنتي الأموي، وهو سند ورد السلسلة القادرية، أجازني به الشيخ العالم نوح، وهو عن شيخه سيدي محمد المختار المذكور، وهو عن شيخه سيدي الشريف علي بن أحمد، وهو عن شيخه سيدي أبي النقاب السيد الأمير لقّب به لكونه يتلثم، وهو عن شيخه أخيه سيدي أحمد، وهو عن شيخه سيدي علي بن أحمد، وهو عن شيخه أبيه سيدي أحمد، وهو عن شيخه الرقاد، وهو عن شيخه أحمد الفيرم، وهو عن شيخه عمر بن سيدي أحمد البكاء، وهو عن شيخه سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي رضي الله تعالى عنه، وقدر اتصالنا به الاتصال الحسن في البرزخ وفي الآخرة كما قدر اتصالنا به في الدنيا الاتصال المعنوي الذي هو هذا السند.

وأخيراً، لقد ألف الشيخ عثمان كتاباً سماه "أصول العدل لولاية الأمور وأهل الفضل" ¹، اقتدى فيه اقتداءً تاماً بكتاب المغيلي لأمير كانو محمد بن يعقوب، المطبوع باسم "تاج الدين..."، بل لم يزد شيئاً على أن لخص كلام الغزالي في بعض تأليفه في شأن الإمارة والنصح للسلطين والأمراء، وهي عشرة أمور أوردها "على وجه التلخيص والاختصار مخافة

¹ مطبوع بطريقة التصوير في نيجيريا بدون تاريخ.

التطويل المؤدي إلى الملل " ¹ ثم أتبعه مباشرة بتلخيص كلام المغيلي في الكتاب المذكور، فقال: فهذه أصول العدل التي ذكرها الغزالي في بعض تأليفه²، ولم يسم الشيخ عثمان كتاب الغزالي الذي لخص منه هذه العشرة الأول ولم يذكر عنوانه، بالرجوع إلى مؤلفات الغزالي، اتضح أن النقل وقع من كتابه المسمى "التبر المسبوك في نصيحة الملوك"، ثم إن الشيخ عثمان خلط بين ما سماه الغزالي بأصول العدل والإنصاف وهي عشرة، وبسم ما سماه بأصول شجرة الإيمان، وهي عشرة أيضاً. فالأصلان التاسع والعاشر المذكوران هنا على أنهما من تمام أصول العدل المذكوران عند الغزالي بين أصول شجرة الإيمان أما التاسع من أصول العدل فهو قول الغزالي: "إن تجتهد أن ترضى عنك جميع رعيتك بموافقة الشرع" والأصل العاشر: "الألّا يطلب السلطان رضا أحد من الناس بمخالفة الشرع..."³

ينبغي لكل أمير أن يعتني بفهمها واستعمالها، وينبغي له أيضاً أن يعتني بثمانية أمور ذكرها محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني في بعض تأليفه، وأورد كلامه على وجه التلخيص والاختصار مخافة التطويل المؤدي إلى الملل: الأمر الأول: فيما يجب على الأمير من حسن النية...⁴، ثم أتى على تلخيص الأبواب الثمانية التي تتألف منها رسالة المغيلي في نصح الأمراء المشهورة، وبالانتهاء منها ينتهي كتاب الشيخ عثمان بلا زيادة ولا نقصان.

إن تأثير العلامة المغيلي في الشيخ عثمان لا يمكن حصره في مجرد النقول الكثيرة التي نجدتها تتردد في جل كتاباته، بل لقد تجاوز ذلك إلى الاقتداء بسيرته وطريقته في ردع البدع

¹ أصول الولاية، ص 1

² المرجع نفسه.

³ الإمام المغيلي وتأثيره في حركة عثمان بن فوديو الإصلاحية في غرب إفريقيا، أحمد الظراي، ص 9.

⁴ التبر المسبوك في نصيحة الملوك، الغزالي، ص 23.

ومنهج الدعوة، وإلى العمل بأرائه والاقتداء بأفكاره، واستعمالها في تدعيم مواقفه، وكثير من الفصول والرسائل التي كتبها الشيخ عثمان ما هو إلا تكرار أو شرح أو تلخيص أو تعليق أو إعادة إنتاج لأفكار المغيلي وكتابات وترداد لمقولاته وآرائه.

وعلى نحو ما كان المغيلي يختم كل فصل من رسالته "تاج الدين... " بعبارة يكررها وهي قوله: "رأس البلية احتجاج السلطان عن الرعية"، وكان ابن فودي أيضاً يختم كل فصل من فصول كتابه "إحياء السنة... بعبارة "اللهم وفقنا لإتباع سنة نبيك محمد صل الله عليه وسلم بجاهه عندك".

أما رسالته "المسائل المهمة"...، فكان أيضاً يختم كل فصل منها بالدعاء المأثور: "اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه" ومثل هذا فعله اليوسي من قبل في كتاب "المحاضرات" حين يختم كل فصل منه بالآية الكريمة: {لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ} ¹.

فإذا أضفنا إلى كل هذا ما سبق قوله عن صوفية المغيلي وريادته في نشر الطريقة القادرية بالسودان جنوب الصحراء، وما أوردناه من اتصال سند الشيخ عثمان بسند المغيلي، وعرفنا ما كان عليه ابن فودي من اتباع لهذه الطريقة حتى أصبح له ورد خاص به، وله في ذلك كتابات منها رسالته عن "السلاسل القادرية" ²، وقصائد في التسؤل بالشيخ الجليلي ³، اتضح لنا جانب آخر من جوانب تأثر هذا الشيخ بالإمام المغيلي.

¹ سورة الروم، الآية 3.

² مطبوع بطريقة التصوير في نيجيريا.

³ منها القصيدة الرائية التي كتبها بالفلانية ثم عرّبها أخوه عبد الله وضمنها كتابه "تزيين الورقات" وختم كل بيت منها باسم عبد القادر.

وخلاصة القول أنّ الشيخ الألوّري أشار إلى بعض الشخصيات من علماء السودان وبعض الحركات الإسلامية التي كان لها أثر في تكوين شخصية ابن فودي، ولا سيما حركة الموحدين والمرابطين وحركة أبي بكر التوري <أسكيا الحاج محمد>، ثم خلص بعدها إلى القول: "وقد تنورت أفكار بن فودي على تلك الحركات من خلال آثار المغيلي وفتاواه ورسائله ووصاياه التي ورثها من علماء بلاده، وتأثر بسيرة المغيلي في غيرته على الإسلام والدفاع عن بيضته باللسان ثم باليد ثم بشهر السلاح... تأثر به حتى صار ينقل من كتبه كأنما ينقل منه مشافهة¹.

هذا عن مؤسس الدولة وقائد تلك الحركة الشيخ عثمان أما أخوه عبد الله الذي يعتبر بحق أكبر منظر ومؤرخ للدعوة الفودية، وأكبر عالم إسلامي عرفته بلاد نيجيريا وبلاد السودان الغربي، في القرن الثالث عشر الهجري، فضلاً عن تضلعه الكبير من اللغة العربية وعلومها وآدابها حتى لقبه بعضهم بـعربي الهوسا-، فلم يكن أقل تأثراً من أخيه بالإمام المغيلي، وكتابات وآرائه، ولم يكن أقل منه اهتماماً بآرائه وحفظ لآرائه، وإذ لا يمكن في هذه العجالة تتبع سائر النقول الواردة في مؤلفات عبد الله بن فودي، فلا أقل من ذكر ثلاثة أمثلة للاستشهاد على ما نقول:

أما كتابه المسمى "ضياء السلطان وغيره من الإخوان"²، فما هو في الحقيقة سوى مجموعة تتضمن أربع رسائل: اثنتان منها للمغيلي، وهما:

-رسالته في أمور السلطنة (تاج الدين)

-أجوبة المغيلي لأسئلة أسكيا.

¹ الإمام المغيلي، مرجع سابق، ص34.

² مطبوع في نيجيريا بطريقة التصوير، دون تاريخ.

واثنان لأخيه عثمان، هما:

- "سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان"،

- "مصباح أهل الزمان"

وقد صدره بمقدمة قصيرة قال فيها: "جمعت فيه حاصل ما في أربعة كتب: كتابين لمفتي الزمان محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، وكتابين لأمير المؤمنين الشيخ عثمان لنستضيء بما قالوا في أمور، مع تفسير بعض الجملات من كلامهما وتبنيه على ما يخفى على الجهالمن فحوى عبارتهما بحسب ما فهمته".

وأما كتابه "ضياء الحكم فيما لهم وعليهم من الأحكام"¹، فقد خصص فصلاً منه لوصية المغيلي التي كتبها لأمير كانوا مع شيء من الاختصار والتلخيص، وختتم بالقول: "واعلم أن جميع ما ذكرته في هذا الفصل، فهو ملخص من كتاب محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني"².

وفي كتاب ثالث له بعنوان "ضياء السياسات وفتاوى النوازل"³، نجده بالإضافة إلى ما نقول عن المغيلي متفرقة هنا وهناك، يخصص مرة أخرى فصلاً منه لهذه الوصية نفسها التي كتبها محمد ابن عبد الكريم المغيلي إلى أمير كانوا، ويقدم لها بقوله: "فإذا فهمت ما قدمنا لم تشكل عليك رسالة المغيلي إلى سلطان كانوا" ثم أتى على نص الرسالة⁴.

¹ مطبوع في دار العربية، بيروت لبنان، دون تاريخ.

² ضياء الحكم، ص 18.

³ حقيقه وقدم له ونشره، د. أحمد كاني، الزهراء للإعلام، القاهرة، ط 1، سنة، 1989.

⁴ ضياء السياسات، عبد الله بن فودي، ص 81.

هذه أمثلة ما اقتصرنا عليها من نقول عبد الله بن فودي من المغيلي. وما على المستزيد إلا أن يرجع إلى سائر كتبه الأخرى، وهي بالعشرات ما بين مخطوط ومطبوع.

هذا عن الشيخين عثمان وأخيه عبد الله، أما عن الأمير محمد بللو، فقد نقل عنه بدوره في مواضع كثيرة من مؤلفاته منها: "إنفاق الميسور" وغيره، وكان ينعته "بالحجة". وفي هذا النعت ما فيه من الدلالة التي لا تخفى على من عرف قيمة فتاوى المغيلي وآرائه في تثبيت دعائم الدولة الناشئة وتوطيد أركانها.

فالمغيلي إذن من العلماء القلائل الجهابذة الذين بقي لهم آثار قائمة في غرب إفريقيا وحفظت مؤلفاتهم. لقد أصبحت ذكره عالقة في أذهان الإفريقيين وأصبحت مؤلفاته ورسائله مصدراً هاماً من مصادر العلوم الإسلامية والتاريخ الإسلامي ومراحل تطور التعليم الإسلامي في غرب إفريقيا في القرنين التاسع والعاشر الهجريين ونظام الحكم في الدول الإسلامية التي كانت قائمة في القرنين المذكورين.

وعلى هذا؛ فإن تأثير المغيلي في علماء وفقهاء ودعاة إفريقيا الغربية والشرقية لا يمكن حصره في مجرد النقول الكثيرة التي نجدتها تتردد في جل كتاباتهم، بل لقد تجاوز ذلك إلى اقتدائهم بسيرته وطريقته في ردع البدع ومنهجه في الدعوة، وإلى العمل بآرائه، والاقتداء بأفكاره، واستعمالها في تدعيم مواقفهم ومجادلة خصومهم، وكثير من الفصول والرسائل التي كتبها هؤلاء العلماء والدعاة ما هي إلا تكرار أو شرح أو تلخيص أو تعليق أو إعادة إنتاج لأفكار المغيلي وكتاباته، وترداد لمقولاته وآرائه¹.

¹ انظر سيرة محمد بن عبد الكريم المغيلي، بن يحيى الطاهر ناعوس، ص 5.

ويمكن أن نجزم بأن تأثير الإمام المغيلي تعدى إلى الحركات الإصلاحية والدعوية حتى أواسط إفريقيا، تشاد والكاميرون وإفريقيا الوسطى، من خلال أثاره وفتاواه ورسائله، ووصاياه التي ورثها من ملوك وعلماء السودان، ومن خلال غيرته على الإسلام والدفاع عن بيضته باللسان، ثم باليد، ثم يشهر السلاح¹.

ولم يقتصر تأثير المغيلي على السودان الغربي وعلى العلماء والفقهاء في تلك البلاد، بل كان له أثر واضح في بلاد المغرب أيضاً. فقد ظل كثير من العلماء والفقهاء في المغرب يدينون له بالفضل ويرون رأيه في مسألة اليهود وأهل الذمة وفي كثير من المسائل. فقد وقع تضيق على اليهود بسبب آراء المغيلي فيهم ومنعوا من الإقامة في كثير من الجهات في المغرب والسودان² وبقيت أفكاره وآراؤه سائدة مدة عهد الدولة السعدية³.

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أثر بلدان المغرب العربي بصفة عامة، والجزائر بصفة خاصة على بلدان غرب إفريقيا أو السودان الغربي كما كان يسمى وقتذاك، وما صاحب هذا الأثر من تغير ثقافي واجتماعي وسياسي كان نشر الإسلام والدعوة الإسلامية ونبذ الكفر الوثنية، هي حجر الزاوية والأساس المتين الذي قام عليه الإسلام في تلك البقاع.

المبحث الثالث: العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي مجدد الغرب الأفريقي

برزت في السودان الغربي سلسلة من الممالك الإسلامية، التي قامت على قاعدة من حركة روحية فكرية علمية قادها رجال فكر ودعوة، تم تصنيفهم في ذاكرة المنطقة كمجددين

¹ المرجع نفسه، ص 8.

² انظر وصف إفريقيا، حسن الوزان، ص 541. وانظر نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا، ص 331.

نقلاً عن دعوة الإمام المغيلي العلمية والإصلاحية في السودان الغربي، أبو بكر ميغا، ص 245.

³ المراجع نفسها بنفس الصفحات.

ومصلحين، ومنهم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني من خلال رحلاته إلى منطقة السودان الغربي وحواراته مع ملوكها، حيث أن التجديد من منطلق هؤلاء الأعلام دافعة روحية فكرية مستقلة نابعة من حركة الثقافة الإسلامية وليس فقط رد فعل للتغريب والاستعمار حسب معطيات التاريخ الأوروبي ومحدداته المتعلقة بصراع القوة والطبقات والمصالح الاقتصادية والسلطوية، ومع ذلك فإن الدوافع التجديدية تتكيف مع التحدي المطروح سواء أكان انحطاطاً نابعاً من داخل المجتمع المسلم أو بعداً عن تعاليم الدين أو فساداً فكرياً ناتجاً من التخليط والشعوذة والخرافة والدجل أو شيوعاً للفساد بين الإداري والمالي أو استباحة للحرمات أو استجابة لتحدي الاستعمار كما لامسه عن قرب العلامة المغيلي هناك، ويمكن القول إن معظم حركات الإصلاح والتجديد في السودان الغرب، تأثرت بالحركة الفكرية للمرابطين حتى عام 1146م وخلفهم الموحدون بعد صراع استمر خمسة عشر <15> عاماً ولكن مع ذلك فإن التأثير الفكري للموحدين على حركات الإصلاح والتجديد كان ضعيفاً، ربما لتمسك المرابطين بالمذهب المالكي ورؤية المرابطين بالوقوف على ظاهر مفهوم النص، كما أنهم سياسياً ناصرُوا الدولة العباسية بينما غلب على الموحدين التحرر والجدل في النص على ضوء مفهوم العقل وعلم الكلام بالإضافة إلى تشييعهم لأهل البيت واعتقادهم في المهدي المنتظر. ولكن يلاحظ أن عقيدة المهدي المنتظر كذلك راجت في الفكر الإصلاحي في السودان الغربي، ومهما يكن فإن للعلماء المغاربة عامة فضلاً كبيراً في إنعاش الحياة العلمية في السودان الغربي¹.

¹ جذور التجديد والجهاد في السودان الغربي والشرقي، حسن مكّي محمد، ص1، موقع السودان الإسلامي.

أما في المغرب الأوسط فنجد العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي يبرز كأحد أعلام حركة التجديد في السودان الغربي، والذي نشأ في توات بالجزائر في بدايات القرن الخامس عشر الميلادي، كما عرفنا سابقاً، فهو جزائري النشأة ولكنه إفريقي الوجهة، بمعنى أنه أعطى أخصب سنوات عمره لحركة الدعوة في السودان الغربي بين أعاديس في النيجر حالياً وكانو بنيجيريا وسنغاي بمالي، وقد لمع اسم محمد بن عبد الكريم المغيلي نتيجة لمناطحته اليهود الذين كثروا في المغرب بعد طردهم من الأندلس، والذين اتخذهم السلطان عبد الحق آخر سلاطين الماريندي في المغرب وزراء وحلفاء، ولم يقبل العلماء هذا العلو اليهودي أرض المغرب، وكان أبرز العلماء صوتاً المغيلي، الذي قاد ثورة ضد سيطرة اليهود وأفتى بجواز قتلهم، كما ساهم في قتل عدد منهم وذلك في عام 1464م، ونتيجة لذلك هاجر إلى بلاد السودان الغربي، حيث أخذ يدرس في نواحي أعاديس النيجرية على الحدود الجزائرية النيجرية، ثم ارتحل إلى نيجيريا مستقراً في كانو التي مكث فيها عشرين سنة وأنشأ مدرسة في كاتسينا وأصبح مستشاراً لحاكمها، ثم من هناك إلى غاو بمالي، أين نزل في ضيافة السلطان أسقيا محمد في عاصمته غاو في عام 1498م، وأبرز هناك مقدرته الاجتهادية حيث تجلّى نبوغه في فتاويه للسلطان، وقد أجاز المغيلي في ذلك الوقت المبكر الجهاد ضد الحاكم الظالم الذي أصبح حكمه حكم الكافر والمخلط، ورأي المغيلي في الجهاد ضد هؤلاء أولوية على مجاهدة لكفار، وقسم المغيلي العلماء إلى قسمين: أهل الذكر وعلماء السوء، كما أنه ألحق بصفات الجدد القيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يستوجب التجديد فعلاً نافذاً، وليس فقط المقدرة على التنظيم. وقسم المغيلي الكفار إلى أقسام: يهود ومسيحيين ووثنيين وملاحدة ومن شايعهم ومن دخل في حكمهم، وبهذه النظرة النافذة الثاقبة تجاوز الفقه السني التقليدي، الذي ربط الثورة بالفتنة وأثر الطاعة للحاكم، وأتبع

المغيلي فتواه بالعمل بالجهاد ضد السلطان عبد الحق وتحريضه وثورته على اليهود، حيث لم يكتف بالتحريض وإنما كان في قيادة الصف المقاتل، ومع ذلك فإن المغيلي كان يستخدم العقل والمصلحة في ترجيح أمر على آخر، حيث إذا كانت الثورة على الحاكم الظالم تترتب عليها فتنة أشد ضرراً من الإبقاء على الحاكم لا تجوز الثورة، وكان المغيلي ملمماً بأوضاع الحركة الفكرية في العالم الإسلامي، وراسل الإمام جلال الدين السيوطي وجادله في علم المنطق شعراً وهذا يكفي لإبراز مقدراته العلمية والأدبية.

وأثر المغيلي كما يبدو بشدة على حاكم سنغاي، أسقيا محمد، وبرز هذا الأخير في دولة سنغاي وهي أطول دول السودان الغربي عمراً فقد عاصرت غانا ومالي وورثت مجدها وحفظ التاريخ الإسلامي صفحات بيضاء لأسقيا محمد في حجته الشهيرة عام 1493م، حيث حج عبر مصر وتعرف على حركتها العلمية وعقد صداقة مع الإمام السيوطي واستهدى بالتنظيمات الإدارية المصرية، حيث وصف بحسن السياسة والرفق بالرعية والتلطف مع المساكين وإقامة الدين أتم قيام، وفي حجه تصدق في الحرمين بالأموال الوفيرة واشترى بساتين في المدينة حبسها على أهل تكرور... ولم يقتصر تأثير المغيلي على من عاصروه من الحكام وإنما امتد عبر الزمن مؤثراً على مجمل الحركة الفكرية في السودان الغربي، حيث تأثر معظم العلماء الذين جاءوا من بعده وبمنهجه وطائق تفكيره وكذلك بفتاويه، وتمثل ذلك في المجدد أحمد بابا التمبكتي الذي ترجع جذوره إلى المغرب، حيث ينحدر من صلب قائد عسكري مرابطي يسمى أبوبكر بن عمر وكذا الشيخ أحمد بن فوديو¹.

¹ المرجع نفسه، ص3.

بفضل كتابات وجهود الشيخ عبد الكريم المغيلي أصبحت هناك مدرسة تجديدية إسلامية قائمة على خصوصيات السودان الغربي، ولكن هذه المدرسة، استندت إلى فكر مستمد من التراث الإسلامي، وأساس هذا الفكر العناية بالقرآن استظهاراً وحفظاً وتلاوةً ونسخاً، ولذلك شاعت في هذه المنطقة المخطوطات القرآنية على رواية ورش، وظل القرآن أساس حياة الحركة العلمية، ثم كتب الصحاح في الحديث النبوي بالإضافة إلى سيرة ابن هشام، وكتاب الشفا للقاضي عياض، السبتي المالكي المتوفى سنة 1149م، وفي التفسير تم الاعتماد على تفسير الجلالين وهما الجلال المحلي المتوفى سنة 1459م والجلال السيوطي المتوفى سنة 1505م، وربما تم تفضيل تفسير الجلالين لارتباطه باسم السيوطي الذي ذاع صيته في السودان الغربي، وفي علوم القرآن راج كذلك الإتيان في علوم القرآن للإمام السيوطي وكتابه الأحر الجامع الصغير، و في الفقه رسالة ابن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة 966م وكتبها أصلاً ككتاب لتعليم الصبيان ولكنها ناسبت عقل متعلمي السودان الغربي... ورسالة مختصر خليل للشيخ خليل ابن إسحاق المصري المتوفى بالمدينة سنة 1415م، بالإضافة إلى مدونة سحنون في الفقه المالكي، أما في النحو والأدب فقد شاعت ألفية ابن مالك الأندلسي المتوفى سنة 1273م، وكذلك ألفية السيوطي والأجرومية لأبي عبد الله الصنهاجي المتوفى سنة 1323م، ومقامات الحريري للحريري البصري المتوفى سنة 1122م وقصيدة البردة للإمام البوصيري وعقائد الإمام السنوسي الجزائري¹.

¹ الحركة العلمية والثقافية في السودان الغربي، أبو بكر ميغا، ص 103.

الخاتمة:

وبعد فقد وصل البحث إلى نهايته ووصل السيل عند غايته، لكنني رأيت مفيداً ألا أدع القلم قبل أن أسجل ما انتهيت إليه من نتائج وتوصيات واقتراحات يمكن عدّها عصارة هذا البحث ومن أهمّها ما يلي:

أولاً: النتائج:

1- يعتبر الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي واحداً من أبرز الشخصيات خلال القرن التاسع والعاشر الهجريين، وذلك لما عرف عنه من ثورة فكرية، وإصلاحية، امتدّ صداها ليصل أدغال إفريقيا، مروراً بمنطقة توات التاريخية محل إقامته النهائية ومثواه الأخير.

2- يعدُّ الإمام المغيلي من أهمّ الأقطاب العلمية والفكرية التي أنجبتها منطقة تلمسان في عصورها الذهبية، وهذا لما تميزت به هذه الشخصية من تعدد وثراء علمي وفكري وسياسي قلماً يجتمع في شخص واحد حيث استطاع بما حباه الله من مواهب فكرية وأريحية سياسية أن يهدي للأجيال طائفة من الكتب العلمية الأصيلة في الفقه، والتاريخ، والأدب والفكر السياسي، وأن يورثها تجاربه ومواقفه السياسية التي ما فتئت تفرض نفسها على التاريخ، وعلى الواقع السياسي الذي نعيشه، خاصة قضية الصراع العربي الإسرائيلي، وفساد الحكام.

ونحسب أن مدينة تلمسان وهي تحتفي بمآثرها العلمية والحضارية في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، لجدير بها أن تعطي لهذا الرجل التقدير العلمي الذي يستحقه، وهذا بالكشف عن الجوانب العلمية التي لم تنل حقها من البحث والاستقصاء، وإبراز المقومات والمكونات التي مكنته من أن يكون عالماً جليلاً وقائداً فذاً، وسياسياً محنكاً.

3- لقد شكلت حياة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي المملوءة بالكد والنشاط والغيرة على واقع الإسلام والمسلمين في العالم نواة حركة حوارية وإصلاحية حقيقية في حياة كثير من الشعوب والأفراد وامتد صداها داخل وخارج حدود وطنه تلمسان عربياً وإفريقياً: عربياً حيث حواراته الداخلية بشأن نازلة اليهود بتواتر بالجزائر مع علماء عصره في تواتر وتلمسان بالجزائر وفي تونس والمغرب وغيرهما، وهو ما تحدثت عنه كثير من المصادر والمراجع الإسلامية، وإفريقياً - وهو المقصود- حيث حواراته مع الكثير من ملوك وأمراء الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا > مملكة غانا، ومالي وسنغاي، والنيجر ونيجيريا < وما أفضت إليه من نتائج ملموسة أسهمت وبشكل جلي في اتساع حركة المد الإسلامي في إفريقيا من جهة وفي توطيد أواصر المحبة والتعايش بين بقية الأجناس والأديان من جهة أخرى، كما افتك المغيلي بمنهجته في الحوار مكانة عظيمة أصبح معها اسمه -عند الأفارقة خصوصاً إلى اليوم- مقروناً بلقب الإمام، وباتت كتبه مدرسة روحية يترى عليها العديد من علماء القارة، فكان بذلك من أوائل الذين أحضعوا المعارف الإسلامية في إفريقيا لمحك الحوار والنقاش.

4- يعتبر الحوار مفتاح الشخصية المغيلية غير تاريخها الطويل أشهره منذ بداية دعوته وهو في أرض توات أولاً مع علماء الجزائر والمغرب زنونس فيما بات يعرف بنازلة اليهود وكلفه التنقل أحياناً بعيداً عن موطنه ولم يكتف في ذلك بإرسال الرسائل وإيفاد الرسل بل كان يذهب بنفسه لمناظرة غيره إذا استدعت الضرورة كما فعل مع علماء فاس بالمغرب في النازلة السابقة، وسلاح الحوار أيضاً هو نفسه السلاح الذي ارتكز عليه في رحلته الدعوية إلى دول غرب إفريقيا وكان مفتاح دعوته الأول، به ملك قلوب الحكام والمحكومين على السواء، وبه استطاع أيضاً أن يؤسس إمارة العدل والمساواة والعيش الكريم تحت ظلال شجرة الإسلام الوارفة، وأصبحت ذكراه من بعده عالقة في أذهان الإفريقيين، كما أصبحت مؤلفاته ورسائله مصدراً

هاماً من مصادر العلوم الإنسانية والإسلامية في شتى مراحل التعليم بهذه المنطقة من إفريقيا، فالحوار بكل أبعاده يعدّ إذاً عنصراً أساسياً في حياة الإمام المغيلي العلمية والجهادية والإصلاحية والدعوية.

5- إن تأثير العلامة المغيلي في علماء وفقهاء ودعاة إفريقيا الغربية والشرقية لا يمكن حصره في مجرد النقول الكثيرة التي نجدها تتردد في جلّ كتاباتهم، بل لقد تجاوز ذلك إلى اقتدائهم بسيرته وطريقته في ردع البدع ومنهجه في الدعوة، وإلى العمل بأرائه ولاقتداء بأفكاره، واستعمالها في تدعيم مواقفهم ومجادلة خصومهم وكثير من الفصول والرسائل التي كتبها هؤلاء العلماء والدعاة ما هي إلا تكرار أو شرح أو تلخيص أو تعليق أو إعادة إنتاج لأفكار المغيلي وكتاباته، وتردّد لمقولاته وآرائه. ويمكن أن نجزم بأن تأثير الإمام المغيلي تعدى إلى الحركات الإصلاحية والدعوية حتى أواسط إفريقيا، من خلال أثاره وفتاواه ورسائله، ووصاياها التي ورثها ملوك وعلماء غرب إفريقيا، ومن خلال غيرته على الإسلام والدفاع عن بيضته باللسان ثم باليد ثم يشهر السلاح.

6- لقد كان للعلامة المغيلي يد السبق في دفع العلماء والحكام في السودان الغربي إلى الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صل الله عليه وسلم، وأخضع المعارف الإسلامية في السودان الغربي لمحك النقاش والأخذ والرد والعطاء، ووسّع دائرة النقاش العلمي بحيث أصبح يشمل مناطق لم تكن العلوم الدينية قد وصلتها على الشكل المنهجي، ولقد قام بدور عظيم هناك، فقد ترك أثراً إسلامياً بارزاً في جميع الممالك الإسلامية في بلاد السودان الغربي، وقام بتصحيح مفاهيم كثيرة كانت مغلوطة في أذهان العامة والسلطين، ودعّم مفاهيم الدعوة الإسلامية،

ووجه الحكام للعمل بها لطبع المجتمع بطابع إسلامي صحيح، فهو يعتبر مجدد السودان الغربي بلا منازع.

7- لقد تميّز المنهج الإصلاحى والدعوى والتعليمى للعلامة المغيلى بسمات هامة تظهر للباحث فى تراثه وشخصيته ورحلاته، تتمثل فيما يلى: التيسير وعدم التشديد، التبشير لا التنفير، الوسطية، الوضوح، التجميع لا التفريق، التحرر من التعصب والمذهبية، الدعوة إلى الأمل والعمل لا اليأس والكسل، العدل والإنصاف مع مخالفيه، التّجديد لا الجمود، الاجتهاد لا التقليد، الواقعية، الشمول، العالمية والجمع بين النقل والعقل.

8- إن العلامة محمد بن عبد الكرىم المغيلى التلمسانى يعتبر بحق أحسن سفير للجزائر فى غرب إفريقيا فى نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الهجرى، مثل الجزائر أحسن تمثيل، حيث كان له الفضل فى التعريف بالجزائر وبتراثها وثقافتها وتاريخها بهذه المنطقة من قارة إفريقيا، كما كان له الفضل فى نشر الإسلام والدعوة إلى الله وإصلاح المجتمع وتعليمه فيها، وما زالت ذكراه وآثاره باقية فى أذهان أبناء تلك المنطقة إلى اليوم.

ثانيا: التوصيات:

تتمة لهذه النتائج أرى أن هناك توصيات واقتراحات جديرة بالذكر تتمثل فيما يلى:

1- أقترح ضرورة إدراج تراث وشخصية العلامة المغيلى ضمن مناهج المنظومة التربوية والجامعية الجزائرية فى جميع المراحل التعليمية، خاصة فى مواد: العلوم الشرعية، التاريخ، الفلسفة، النصوص الأدبية، لأنه يعتبر بحق نموذجاً ومرجعاً هاماً فى مختلف العلوم للأجيال الصاعدة.

2-ينبغي للقائمين على وسائل الإعلام في الجزائر بمختلف أنواعها أن يعرّفوا بشخصية وتراث هذا العلامة الذي قدّم الكثير لوطنه وأمّته، وهذا لإيجاد حلقات التواصل بين ماضي الأمة وحاضرها وبينها وبين العالم الخارجي.

3-يقع على عاتق قطاعات التعليم العالي والبحث العلمي والشؤون الدينية والأوقاف والثقافة بالجزائر تنشيط حقل البحث والدراسات، وتنظيم الملتقيات العلمية وتحفيز الباحثين والدارسين لهذه الشخصية وأمثالها، وخاصة تحقيق تراثها وإبراز الجوانب العلمية فيها التي لم تنل حقها من البحث والاستقصاء كعلم الكلام والتفسير والحديث والفقّه والمنطق والسياسة والتنظيم الإداري والقيادة العسكرية وتنظيم الجيش والإصلاح الاجتماعي، وطبع كل كتبها.

4-وفي الأخير أعتقد أن أحسن تكريم للعلامة المغيلي هو تسمية إحدى الجامعات أو المساجد الكبرى أو المراكز الثقافية أو المؤسسات التربوية أو قاعات المحاضرات باسمه.

قائمة المصادر والمراجع :

- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط2، 1959م، القاهرة.
- الإمام المغيلي وتأثيره في حركة عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب إفريقيا، أحمد الظرفي، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم.
- إنفاق الميسور، محمد بللو، جامعة سكتو، نيجيريا.
- التبر المسبوك في نصيحة الملوك، الغزالي، دار العلم للملايين.
- تحفة الزائر في تاريخ الجزائر، أبو القاسم سعد الله، ط1، 1981م الجزائر.
- جذور التجديد والجهاد في السودان الغربي والشرقي، حسن مكّي محمد، موقع السودان الإسلامي.

- جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، باري عثمان بريما، ط1، 1421هـ/2000م، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة.
- حركة الجهاد الإسلامي في إفريقيا، أحمد محمد كاني، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، السودان.
- الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من 400هـ إلى 1100هـ، في عهد الممالك الإسلامية، غانا، مالي، سنغاي، التي قامت في غرب إفريقيا بين القرن الرابع الهجري والحادى عشر الهجريين، أبو بكر إسماعيل ميغا، مكتبة دار التوبة، ط1، 1417هـ/1997م، المملكة العربية السعودية.
- الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، محمد حجي، مطبعة فضالة، 1397هـ/1977م.
- حركة اللغة العربية وآدابها بنيجيريا، شيخوا أحمد سعيد غلادثني، جامعة سكتو، نيجيريا.
- حصن الأفهام مطبوع بمطبعة الزاوية بالقاهرة، ثم طبع بطريقة التصوير في كانو بنيجيريا، سنة 1986 م، بتحقيق د. فضل الوحن الصديقي.
- دراسة بيبلوجرافية، محمد بن عبد الكريم المغيلي، فراج عطا الله سالم، مجلة عالم الكتب، ع3، مج11، محرم 1411هـ.
- سيرة محمد بن عبد الكريم المغيلي، بن يحيى الطاهر ناعوس، دار الغرب الإسلامي.
- الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقيا الغربية خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر للهجرة، أ.مبروك مقدم، ط1، 2002م، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر.
- ضياء السياسات، عبد الله بن فودي، جامعة سكتو، ط1982م.

- عثمان بن فودي المصلح والمجاهد، آدم الإلوري، جامعة سكتو، نيجيريا.
- العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي، الأمين عوض الله، ط1989م، جدة، المملكة العربية السعودية.
- فهرس المخطوطات العربية بالخزانة العامة بالمغرب، ج1، ق3، الرباط، 1977م.
- فهرس المخطوطات بجامعة سكتو، نيجيريا، 1989م.
- فهرس المخطوطات لمركز أحمد باب للتوثيق والبحوث، تمبكتو، مالي، ج2، 1985م.
- فهرس المخطوطات لمركز المخطوطات بالنيجر، مج4، 1989م.
- مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، آدم الإلوري، جامعة سكتو، نيجيريا.
- المعيار العرب والجامع المقرب من فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، الونشريسي، تحقيق محمد حجي، ط1981م، دار الغرب الإسلامي.
- مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الأسقيين 1493هـ / 1591م، عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1981م، الجزائر.
- الميسور في تاريخ بلاد التكرور، محمد بللو بن عثمان بن فودي، الناشر، محمد طن آغي ط، ابروسكتو، نيجيريا.
- الميسور في تاريخ بلاد التكرور، محمد بللو بن عثمان بن فودي، الناشر، محمد طن آغي ط، ابروسكتو، نيجيريا.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
- وصف إفريقيا، الفاسي الحسن بن محمد الوازان، ط1983، دار الغرب الإسلامي.
- Nigeria perspective, an historical Antholgy, London 1960.

الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وجهوده في نشر الإسلام والتصوف في إفريقيا

الدكتورة حفيظة بن داود، أستاذة محاضرة قسم ب

تخصص التاريخ الوسيط

المركز الجامعي أحمد صالحى - النعامة -

مقدمة:

يُعدُّ التصوف واحداً من معالم الحضارة الإسلامية، وعاملاً من عوامل انتشارها، حيث يعتمد على تركية النفس والرقى بها في درجات القرب من الله عزوجل عن طريق الزهد والبعد عن ملذات الحياة الدنيا.

لا يسعنا إنكار دور المتصوفة في نشر تعاليم الإسلام في جميع الأقطار، حيث ساهم إمامهم الغزير بالعلوم الشرعية إضافة إلى سلوكهم الزهدي في التأثير على جميع الطبقات الاجتماعية، ولهذا نرى تغلغل التصوف في الأوساط الشعبية، ومع هذا فلا يمكن أن نجزم بأن الفقراء وحدهم من مالوا إلى التصوف بل إنه مسلك قد يتبعه حتى أصحاب المال والسلطة، وفي هذا الإطار جاء موضوع بحثنا بعنوان "جهود محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني في نشر الإسلام والتصوف في إفريقيا"، نتيجة لمجموعة من العوامل منها رغبتنا في التعمق أكثر بخصوص جهود المغيلي في إفريقيا جنوب الصحراء، إضافة إلى حرصنا على معرفة المسلك الصوفي له.

كانت انطلاقة بحثنا هذا من إشكالية مفادها: "كيف ساهم التكوين الصوفي للإمام المغيلي في جهوده الدعوية؟ وما هي الأسباب التي حذت به إلى الاتجاه جنوبا نحو أغوار إفريقيا ومفاوزها؟ وما هي المكاسب التي حققها هنالك؟ للإجابة على هذه التساؤلات وأخرى اخترنا المنهج التاريخي والوصفي حيث اعتمدنا على المصادر التاريخية التي وصفت الشيخ وطريقته ومناقبه، إذ سمح لنا هذا بتشكيل صورة متكاملة الملامح عنه.

1-تعريف التصوف والطريقة القادرية:

1-1-تعريف التصوف:

اختلفت المصادر التاريخية في إعطاء تعريف متفق عليه بخصوص التصوف، لذلك نجد العديد من المفاهيم التي ضمَّنها المؤرخون في مؤلفاتهم، إذ أن عبد الرحمن بن خلدون يقول في مقدمته: "التصوف علم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة"، ويعتقد أن "أصله العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الحياة الدنيا وزينتها"¹، أما صبري المقدسي فيعتقد أن التصوف ما هو إلا طريقة يتبعها الإنسان للوصول إلى الله تعالى عن طريق التقشف والزهد عن ملذات الحياة²، ومن ضمن التعريفات التي استخدمها الباحثون المحدثون أن التصوف هو حركة سيطرت على قلوب وعقول المسلمين³، أو أنه علم لمعرفة

¹ عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تح: أحمد جاد، ط1، دار الغد الجديد، القاهرة، 2007، ص449.

² صبري المقدسي، الموجز في المذاهب والأديان، ج1، ط1، مكتبة المديرية العامة للثقافة والفنون، أبريل، 2007، ص340.

³ إسماعيل راجي الفاروقي، لوس لمياء الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية، تر: عبد الواحد لؤلؤة، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998، ص428.

الطريقة التي يترقى بها النوع الإنساني في مدارج السعادة بقدر الطاقة البشرية¹، وهي تعريفات ذات طابع فلسفي.

أما بخصوص الاشتقاقات اللفظية لكلمة التصوف فقد كانت كثيرة ومتشعبة هي الأخرى، حيث أن الإمام ابن تيمية ينسبها لغويا إلى لُبس الصوف²، ويعتقد المؤيدون له في فكرته هذه أن المتصوفة لبسوا الصوف أسوةً بالأنبياء والرهبان والمتسكّين³، ويرى جورجي زيدان أن الأصل يعود إلى الكلمة اليونانية "صوفيا" التي تعني الحكمة والفلسفة⁴، وهو رأي يعتمده المستشرقون بقوة حيث يعتقدون أن الصوفية اكتسبوا هذا اللقب لحكمتهم⁵، ومع ذلك يوجد اشتقاقات لغوية أخرى على غرار "الصفاء الروحي"، "الصف الأول"⁶، "أهل الصفة"⁷، وكل رأي له ما يدعمه.

لكن العلامة القشيري في رسالته القشيرية ينفي جملة الاشتقاقات اللغوية بقوله: "ليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياسٌ ولا اشتقاق، والأظهر فيه أنه كاللقب فأما قول من قال إنه من الصوف فذلك وجه، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف، ومن قال إنهم

¹ صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم، ج2، دار الكتب العلم أية، بيروت، ص152.

² ابن تيمية، الصوفية والفقراء، تق: م حمد جميل غازي، دار المدني، جدة، ص15.

³ صبري المقدسي، المرجع السابق، ص340.

⁴ جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، مج2، دار الفكر، بيروت، 2005، ص364.

⁵ رينولد نيكلسون، الصوفية في الإسلام، تر: نور الدين شريفة، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2002، ص11.

⁶ صبري المقدسي، المرجع السابق، ص340.

⁷ محمد بن اسحاق الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، تح: آرثر جون آربري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص6.

منسوبون إلى صُفَّة مسجِد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو صوفي¹، وبالرغم من كل التفاسير والاشتقاقات السالفة الذكر إلا أن الاقتران بين الصوفية ولبس الصوف ظلَّ طاغيا في الأذهان.

1-2-التصوف ببلاد المغرب الأوسط:

اختلفت الآراء حول نشأة التصوف وصلته بالإسلام، حيث يرى البعض أنّ وجود التصوف لدى العرب يعود إلى فترة الجاهلية، فيما يرى آخرون أن المصطلح يعود إلى القرن الثاني الهجري باعتبار أن من عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ممن شملهم لقب "الصحابي"، ثم عرف من جاء بعدهم بالتابعين ثم تابعي التابعين².

أما عن التصوف كمذهب بمفاهيمه وكتبه ورجاله فقد ظهر في القرن الثالث الهجري³ الذي يصادف ظهور شخصيات لها ثقلها في المجال كأبي نصر بن بشر الحافي والمحاسبي وذي النون المصري⁴، وتعتبر رحلات الحج وطلب العلم والرحلات التجارية من العوامل التي أدّت إلى انتقال التصوف من المشرق إلى المغرب الأوسط شأنه في ذلك شأن بقية العلوم التي

¹ أبي القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، تح: زكريا بن محمد الأنصاري، دار جوامع الكلم، القاهرة، ص311-312.

² ابن خلدون، المصدر السابق، ص449. ينظر أيضا: الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6-7هـ/12-13م، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2004، ص36.

³ إحسان إلهي ظهير، التصوف: المنشأ والمصدر، ط1، إدارة ترجمان السنة، لاهور، 1986، ص45.

⁴ نفسه، ص94.

انتقلت بالطريقة ذاتها¹، وهنالك رأي مفاده أن أبو الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي والذي ينحدر من قلعة بني حماد هو أول متصوف تعرفه بلاد المغرب الإسلامي².

1-3- الطريقة القادرية:

تطور التصوف تدريجياً إلى أن ظهرت بالمغرب الإسلامي طرق ومدارس صوفية عديدة اقترن وجودها بوجود الزوايا والرباطات، ومن أبرز هذه الطرق _والتي لها علاقة ببحثنا هذا_ الطريقة القادرية التي تُنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت561هـ)، والذي يعرفه الذهبي بقوله: "الإمام والعالم الزاهد، العارف القدوة شيخ الإسلام عالم الأولياء محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست الجيلي الحنبلي شيخ بغداد"³، فيما يقول آخرون بانتمائه إلى النسب الشريف على المنوال التالي: عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم⁴، وهو النسب الذي يعتمد عليه الجيلاني نفسه.

نشأ عبد القادر في كنف أسرة علمية باعتبار أن والده من كبار علماء جيلان فيما كانت أمه ابنة عبد الله الصوامعي أشهر زهاد زمانه، تتلمذ بمسقط رأسه وأخذ العلوم الشرعية فيها

¹ عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الخليل القاسمي، المسيلة، 1427هـ، ص24.

² أمينة بوتشيش، بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين 6هـ و7هـ، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2008، ص ص75.

³ شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج20، تح: شعيب أرنؤوط وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، 1985، ص439.

⁴ نور الدين الشنطوني، بحجة الأسرار ومعدن الأنوار، تح: جمال الدين فالخ الكيلاني، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 2010، ص119.

ثم وطلباً للاستزادة هاجر إلى بغداد سنة 488هـ¹، حيث تلقى العلم على يد شيوخ كثر منهم محمد بن الحسن الباقلاني²، المبارك بن علي بن حسين أبو سعيد المخرمي³ وغيرهم، ونتيجة لاجتهاده وإجازاته العلمية العديدة أصبح من أشهر المُفتين وفق المذهبين الحنبلي والشافعي⁴، كما كانت له مؤلفات ذات صبغة صوفية نذكر منها: الغنية لطلاب طريق الحق، الفتح الرباني والفيوض الرحماني، فتوح الغيب، الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية⁵.

انتشرت الطريقة القادرية ببلاد المغرب الإسلامي على يد طلاب ومريدي عبد القادر الجيلاني، حيث تشير المصادر التاريخية إلى أن أول من أدخل هذه الطريقة إلى بلاد المغرب هو الشيخ أبو مدين شعيب⁶ بعدما تتلمذ على يده ولبس الخرقة عقب لقائهما في الحج¹،

¹ محمد أحمد درنيقة، الطريقة القادرية وأعلامها، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2009، ص 17.

² هو المحدث المعروف بأبي غالب محمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن خدادادا الباقلاني البغدادي، سمع عن ابن شاذان وأبي بكر البرقاني وروى عنه كثيرون على غرار أبي بكر السمعي. ينظر: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، تح: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، الأردن، ص 235.

³ هو من شيوخ الحنابلة، درس على يد القاضي أبو يعلى ويعقوب بن سطورا البرزيني، بنى مدرسة بباب الأزعج، كان مزها عفيفاً، ت(513هـ). ينظر: أبو الفرج ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج17، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.

⁴ عبد العزيز بن عبد الله، معلمة التصوف الإسلامي، ج2، ط1، دار نشر المعرفة، الرباط، 2001، ص 214.

⁵ هارون الهادي، التأثير السياسي للطريقة القادرية في إفريقيا جنوب الصحراء خلال العصر الحديث، مجلة روافد للبحوث والدراسات، ع2، جامعة غرداية، 2017، ص 70.

⁶ هو شيخ المشايخ وسيد العارفين أندلسي الأصل والمولد، من زهاد عصره، حافظ للحديث، تتلمذ على يد الجيلاني في رحلته إلى المشرق، سكن بجايو ودرس بها، وهو دفين تلمسان بمنطقة العباد، ت(594هـ).

وإثر ذلك عزم أبو مدين شعيب أثناء تواجده ببجاية على نشر الطريقة في أوساط العامة والخاصة²، وهكذا تغلغت في بلاد المغرب وبلاد السودان وغيرها.

2- التعريف بالمغيلي:

2-1- نسبه:

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، ينتمي إلى قبيلة مغيلة البربرية، ولد سنة 831هـ³، وأما نسبه فمختلف فيه، ولكن بعضاً من المصادر ترجعه إلى النسب الشريف على المنوال التالي: "محمد بن عبدالكريم بن محمد بن مخلوف بن علي بن الحسن بن يحيى بن علي ابن أحمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية بن مناذ بن السري بن قيس بن غالب بن أبي بكر بن أبي بكر-مكررة- بن عبد الله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى السبط ابن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت النبي الأكرم محمد عليه وآله أفضل الصلاة و التسليم"⁴.

يزعم الباحثون المحدثون بهذا الرأي القائل بالنسب الشريف لمحمد بن عبد الكريم المغيلي ومن ضمنهم حسين زيغمي في رسالته الموسومة ب: "ما يجب على المسلمين من اجتناب

ينظر: ابن الزيات التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، تح: أحمد التوفيق، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997، ص319-325.

¹ الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص543.

² هارون الهادي، المرجع السابق، ص71.

³ مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية خلال القرن 9هـ/15م، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2006، ص27.

⁴ عبد القادر باجي، الإمام المغيلي عصره وحياته، دراسة تاريخية، تحليلية وتوثيقية، ج1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م، صص103-127.

الكفار وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار: دراسة وتحقيق وتعليق"، والتي استند فيها على مخطوط يدعى "شجرة الأنساب" لابن فقيه أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الحبيب والمتواجد بجزانة كوسام، إضافة إلى المحاضرة التي ألقاها الشيخ محمد مصطفى بن عمر الرقادي الكنتي بمناسبة المهرجان الثقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار، إضافة إلى قولٍ نسبه إلى الشيخ محمد الكنتي نصُّه: "أخبرني الشيخ محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي أنه طالع هذا النسب بنفسه في الكتاب المعروف بالكواكب الوقادة في أخبار مشايخ الرقادة لمؤلفه محمد مصطفى بن عبد المؤمن بن علي بن أحمد أحد أعلام الزاوية الكنتية"¹، ونجد كذلك أن حاج أحمد نور الدين في رسالة الماجستير الخاصة به والموسومة بالمنهج الدعوي للإمام المغيلي يذكر صحة النسب استنادا إلى مخطوط وهو شجرة بجزانة الشيخ عبد القادر سيدي سالم المغيلي مفادها "اعلم أيها الواقف على عمود نسب القطب الرباني والهيكل الصمداني العلامة شيخ المشايخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الشريف الحساني فلا شك ولا ريب أنه شريف وأبناءه شرفاء وهذا النسب زاد فيه الجد الثامن للشيخ وهو أسنادور"².

¹ حسين زغمي، ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار: دراسة وتحقيق وتعليق، رسالة ماجستير، قسم الشريعة والقانون، جامعة الجزائر 1، 2013، ص 58.

² حاج أحمد نور الدين، المنهج الدعوي للإمام المغيلي، رسالة ماجستير، قسم أصول الدين، جامعة باتنة، 2011، ص 26. ينظر أيضا: عبد الكامل عطية، دعوة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (1503-1427) في الجنوب الجزائري وحواضر غرب إفريقيا، مجلة مدارات تاريخية، مج 2، ع 4، 2020، ص 151-152.

2-2-تعليمه:

أخذ القرآن الكريم والفقہ علی يد الشيخ محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي المعروف بالجلاب¹ الذي اعتمد في تدريسه على كُبريات كتب الفقہ مثل الرسالة، مختصر خليل، وكتب ابن الحاجب، وابن يونس²؛ ودرس الحديث في حلقات الإمام سعيد المقرئ والعربية عن الشيخ يحيى بن ايدر إضافة إلى كونه أحد تلامذة الشيخ أبو العباس الوغليسي كما كان تلميذ الشيخ محمد التلمساني³.

انتقل المغيلي إلى بجاية طلبا للمزيد من العلم حيث درس التفسير والحديث والفقہ والأصول والعربية، ومن هناك غادرها نحو مدينة الجزائر للقاء الشيخ عبد الرحمن الثعالبي ليأخذ منه علم التفسير والقراءات والتصوف والطريقة القادرية على وجه الخصوص وتطورت علاقته بالثعالبي إلى الدرجة التي جعلت هذا الأخير يختاره زوجا لابنته زينب التي أنجب منها ثلاث أبناء هم: علي، عبد الجبار، وعبد الله⁴؛ وبعد قرار المغيلي العودة إلى تلمسان موطنه الأصلي أوصاه شيخه الثعالبي بأن لا يعاشر أهل سفاهة ولا يستوطن مكان إهانة⁵.

¹ عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، دار الطباعة العصرية، الجزائر، 2010، ص78.

² مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية، ط1، مؤسسة الجزائر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص41.

³ عبد القادر رباحي، الإمام المغيلي عصره وحياته: دراسة تاريخية تحليلية توثيقية، ج1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011، ص116.

⁴ نفسه، ص42، ص114. ينظر أيضا: عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص77-78.

⁵ مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية، ص42. ينظر أيضا: إدريس بن حويبا، فاطمة برماتي، الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي من المهدي إلى اللحد، مجلة الذاكرة، ع7، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، 2016، ص13.

2-3- شيوخه:

- الإمام عبد الرحمن الثعالبي الذي صاهره سنة 875هـ.
 - يحيى بن يدير.
 - الإمام السيوطي: كانت له مراسلات معه في علم المنطق¹.
- لم تذكر لنا المصادر التي اعتمدنا عليها أكثر من هؤلاء، إلا أن الباحث مقدم مبروك الذي عُني بدراسة سيرة الشيخ المغيلي وألف عنه مؤلفات عدة، يذكر شخصيات أخرى منها والده عبد الكريم الذي يعتقد أنه حفظه القرآن الكريم وتعليمه موطن الإمام مالك وغيره².

2-4- تلامذته:

- ♦ الفقيه أيد أحمد.
- ♦ العاقب الأنصمني.
- ♦ محمد بن عبد الجبار الفيحي³.
- ♦ عمر بن أحمد البكاي بن محمد الكنتي⁴.
- ♦ أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي⁵.

¹ ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص256. ينظر أيضا: أحمد بابا التنبكي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط2، منشورات دار الكاتب، طرابلس، 2000، ص578.

² مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية، ص27.

³ التنبكي، المصدر السابق، ص578. ينظر أيضا: ابن مريم، المصدر السابق، ص256.

⁴ مطير سعد غيث أحمد، الثافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، ط1، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2005، ص267.

⁵ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، 1980، ص345.

2-5- مؤلفاته:

ترك الإمام المغيلي مؤلفات كثيرة نذكر منها: تنبه الغافلين عن مكر المبلسين بدعوى مقامات العارفين، شرح خطبة المختصر، مقدمة في العربية، كتاب الفتح المبين، فهرسة مروياته، قصائد عدة منها الميمية التي كانت على وزن البردة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم¹، البدر المنير في علوم التفسير، تفسير الفاتحة في ورقة، مصباح الأرواح في أصول الفلاح الذي يقول ابن مريم عنه: "كتاب عجيب في كراسين أرسله إلى الإمام السنوسي والشيخ ابن غازي فأثنيا عليه غاية وقرضاه"، شرح مختصر خليل سماه "مغني النبيل"، حاشية مغني النبيل، إيضاح السبيل في بيوع آجال خليل، شرح بيوع الآجال، تأليف في المنهيات، مختصر تلخيص المفتاح وشرحه، مفتاح النظر في علم الحديث، شرح جمل الخزنجي في المنطق، منح الوهاب وهي منظومة في المنطق وثلاثة شروح عليها².

2-6- أوصاف المغيلي في كتب التراجم:

وصفه ابن مريم في بُستانه بقوله: "أحد أذكى العالم وأفراد العلماء الذين أُوتوا بسطةً في العلم والتقدم والنسبة في الفهم"³، أما بابا التنبكتي في نيل الإبتهاج فقال عنه: "خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة الفهامة القدوة الصالح السني أحد الأذكى ممن له بسطة في الفهم والتقدم مُتمكن الحجة في السنة وُبعض أعداء الدين"⁴، وقال ابن عسكر: "كان شديد

¹ التنبكتي، المصدر السابق، ص578.

² ابن مريم، المصدر السابق، ص255.

³ نفسه، ص253.

⁴ التنبكتي، المصدر السابق، ص576.

الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"¹، أما ابن مخلوف فقال: "خاتمة الأئمة المحققين والعلماء العاملين مع البراعة والتفنن في العلوم والصلاح والدين المتين"²، وفي تعريف الخلف يقول نقلا عن الشيخ السنوسي: "الأخ الحبيب القائم بمن درس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"³.

3- جهود المغيلي الدعوية والصوفية بإفريقيا:

3-1- انتقاله الى منطقة توات:

سبق وأن أشرنا إلى أن المغيلي عندما غادر مدينة الجزائر أوصاه شيخه الثعالبي بأن لا يبقى في بلاد الظلم والسفاهة، وامتثالاً لنصيحته ولاستفحال الفساد السياسي بتلمسان حسب اعتقاده فقد غادرها غاضباً⁴ باتجاه واحة تمنطيط⁵ ضيقاً عند أولاد يعقوب عازماً على نشر

¹ محمد ابن عساكر، دوحه الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح: محمد حجي، ط2، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977، ص130.

² محمد ابن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349، ص395.

³ أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج1، مطبعة بيبير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ص197.

⁴ عبد القادر رباحي، المرجع السابق، ص117.

⁵ خير الدين شترة، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصلح الثائر وفكره الإسلامي في توات والسودان الغربي، ج2، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011، ص349.

الدعوة الإسلامية هنالك وإقامة شرع الله¹، ثمّ انتقل إلى واحة بوعلي حيث أسس زاويته التي تحمل اسمه² ومن المرجح أنّ رحيله إلى توات كان سنة 882 هـ³.

لم تطل مدّة مُكوّث المغيلي بواحات تمنظيط نظرًا للصراع الفقهي الذي عاشه ضد علماء المنطقة وعلى رأسهم الإمام عبد الله العصوني، والذي كان موضوعه الأساسي مسألة اليهود ومدى اعتبارهم ذميين⁴، وغيرها من المسائل وقد أخذ الصراع صدًى كبيرًا حيث راسل المغيلي علماء عصره طلبًا للتأييد ولكنه لم يجد تجاوبًا كبيرًا وانقسم المجتمع نتيجة ذلك الصراع ما بين مؤيد ومعارض ما حدا بالمغيلي إلى مغادرة المنطقة.

3-2- انتقاله الى افريقيا:

تواجد الإمام المغيلي بمنطقة توات جعلته يدرك الوضعية السياسية والدينية بمنطقة السودان الغربي وما وراءها من البلاد والتي تشمل شرق ووسط إفريقيا وذلك عن طريق الأنباء التي وصلته عبر الطلبة والحجاج والتجار حيث قرّر إثر ذلك السفر إلى لاهير التي تقع في شمال

¹ مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية، ص42.

² يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص144.

³ سيدي محمد بن عبد الكريم البكري، مخطوطة درة الأقلام في أخبار المغرب، خزنة كوسام، خزنة بن الوليد، أدرار، أدرار. نقلًا عن: أحمد جعفري، حوار الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي مع ملوك وأمراء غرب إفريقيا وأثره في حركة الفتح الإسلامي لإفريقيا، الفضاء المغاربي، مج4، ع1، 2020، ص6.

⁴ يقول ابن عساكر شارحًا الأمر باختصار: "كان يرى أن اليهود لعنهم الله لا ذمة لهم لانتقاضها لتعلقهم بأرباب الشوكة من المسلمين المنافي للذل والصغار المشروط في أداء الجزية وأن نقض بعضهم لازم لكلهم وأباح دماءهم وأموالهم وجعل الاعتناء بهم من الاعتناء بغيرهم من الكفار". ينظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ص130.

نيجيريا ثم غادرها إلى بلاد الهووسة حيث استقر بمدينة تيغزة واشتغل بالتعليم والوعظ¹ ثم بعدها قرر السفر إلى إماره كانوا سنة 1492 / 897م وكاتسينا في شمال نيجيريا وامتنع وقتئذ عن السفر إلى بلاد صنغاي بسبب حاكمها "سني علي"² الذي كان يعادي العلماء والمصلحين ولكنه تمكن من التوجه إليها أيام الأمير اسكيا محمد لمساعدته في الحكم وفق الشرع الإسلامي³.

تواصلت جهود المغيلي السياسية ذات الطابع الديني حيث ألف رسالة للأمير كانو محمد رونفا بعنوان تاج الدين فيما يجب على الملوك وهي رسالة حول كيفية الملك والحكم من الناحية الدينية والمادية، وللقيمة التي اكتسبها المغيلي فقد طلب منه ذات الأمير أن يضع له مؤلفا حول فقه الأسواق ومعاملة الرعية والعدل، وفي هذا الصدد يقول التنبكتي: "اجتمع بصاحب كنو واستفاد عليه وكتب رسالة في أمر السلطنة يحضه على اتباع الشرع وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وقرر لهم أحكام الشرع وقواعده"⁴.

أثناء إقامته ببلدة كاجو أو "غاو" ببلاد التكرور التقى بسلطانها ساسكي محمد الحاج المعروف ب: "محمد الأسكيا" الذي نصحه هو الآخر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

¹ مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن 9هـ/15م، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2006، ص30.

² كان ظالما فاسقا متعديا متسلطا سفاكا للدماء قتل من الخلق ما لا يحصيه إلا الله تعالى وتسلط على العلماء والصالحين بالقتل والإهانة والإذلال. ينظر: عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، المكتبة الأمريكية، باريس، 1981، ص64.

³ مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية، ص28.

⁴ التنبكتي، المصدر السابق، ص577.

وألف له مؤلفاً يُجيبه فيه عن مسائل فقهية عديدة¹ تتمحور حول مجموعة من النقط أهمها أن السلطان راعٍ وليس مالك، إبعاد علماء السوء عن السلطان ومصالح الناس، ضرورة محاربة من يجب محاربتهم، ووجوب محاربة المفسدين والسحرة²، وتعتبر هذه الرسائل والمؤلفات واحدة من أهم مصادر التشريع الإسلامي في تلك البلاد والتي استمر تأثيرها طويلاً ويمكن اعتبارها واحدة من أهم مساهمات المغيلي في نشر الإسلام والشريعة الإسلامية في إفريقيا عموماً باعتبار أن تلك المناطق كانت لا تزال خاضعة لكثيرٍ من العادات الوثنية بالرغم من الفتح الإسلامي السابق.

3-3-3- نشر الطريقة القادرية الصوفية:

من أجل الحديث عن جهود المغيلي في نشر الطريقة القادرية والتصوف عموماً نحن بحاجة إلى الحديث عن توجهه الصوفي، وفي هذا الإطار فلا بد من الإشارة إلى أن أغلب المصادر التي تطرقت إلى سيرته لم تلقِ الضوء على الجانب الصوفي من شخصيته، ولكن مصادر ومراجع أخرى تناولت سيرته من هذا الجانب ومن بينها ما نقله السملالي عن الكنتي فيما أورده في كتابه التوحيد حيث يقول عن المغيلي: "الشيخ القطب الكامل"، ويذكر الكنتي أن جده الشيخ عمر كان تلميذ المغيلي ونقل عنه بعضاً من كراماته التي شهدها لما رافقه لأداء مناسك الحج³، ومن الكرامات التي قال عنها الشيخ عمر (ت 960هـ) أن المغيلي لما أشرف على المدينة المنورة أنشد قصيدته التي يقول فيها:

¹ نفسه، ص 577.

² عبد الكامل عطية، المرجع السابق، ص 164.

³ العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حلّ بمراكش وأغمات من الأعلام، ج 5، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993، ص 110.

بُشْرَاكَ يَا قَلْبُ هَذَا سَيِّدُ الْأُمَمِ وَهَذِهِ حَضْرَةُ الْمُخْتَارِ فِي الْحَرَمِ

ولما بلغ الروضة الشريفة وهمَّ بالدخول إليها منعه الموكلون بحراستها من الدخول فقال:

يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ خُذْ بِيَدِي فَالْعَبْدُ ضَيْفٌ وَضَيْفُ اللَّهِ لَمْ يُضْم

ويزعم الشيخ عمر الكنتي أن الروضة اهتزت بعد مقاله ذلك وانفتح بابها وفرَّ الجمع الذين منعوا الشيخ المغيلي من الدخول ونتيجةً لذلك فقد أتاه أناس كثيرون ينتظرون خروجه من الروضة للتبرك به لكنه لم يرضَ بذلك وحاطبهم قائلاً: "لست هنالك فلا تشغلوني عمَّا أنا بصدده فمن كان منكم يريد البركة فعليه بالروضة الشريفة فإنها عين الرحمة ومنبع الحكمة وأصل الهداية"¹.

في القصيدة السالفة الذكر ما يدل على تصوفه من مصطلحات وعبارات تنم عن فقر العبد لخالقه وعن استعطاف النبي صلى الله عليه وسلم والتوسل إلى الله بجرمة نبيه صلى الله عليه وسلم²، وما يدفَعنا إلى التأكد من كون المغيلي قادري الطريقة أن المختار الكنتي حفيد الشيخ عمر الكنتي رفيق المغيلي كان قادري الطريقة هو الآخر وراثَةً عن عائلته التي ساهمت في نشرها في السودان الغربي³.

¹ نفسه، ص 110.

² من العبارات "يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي" ما يدل على التوسل، "إني فقير" لتبيان ضعف العبد أمام قوة خالقه وغناه، "البركة وعين الرحمة" حيث الاعتقاد لدى المتصوفة بأن الأنبياء خُلِقوا من الرحمة وعين الرحمة هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ينظر: مصطفى الحكيم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي: معالم من رؤيته الدينية والسياسية، مجلة المناهل، ع4، مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، 2017، ص 182.

³ مصطفى الحكيم، المرجع السابق، ص 182.

إضافة إلى أن السملالي صاحب الإعلام، فإن عبد الكبير الفاسي هو الآخر يصفه بصاحب الخوارق المتواترة والحقائق المتوافرة¹، وهي من الأوصاف التي تُستخدم للحديث عن المتصوفة أو من لهم ميول صوفية، ومما يدل على جهود المغيلي في نشر وخدمة الطريقة القادرية أنه كان يُعتبر عالم توات بلا منازع وشيخ الزاوية القادرية بها²، كما أن بعض المراجع أشارت أن الشيخ محمد بن عبد الكريم وبعد لقائه بالشيخ عمر البكاي الكنتي الذي ينتمي لقبيلة كنتة ذات النفوذ الواسع في الصحراء الكبرى، عملاً بشكل مشترك على نشر الطريقة القادرية بالمنطقة، بل إن عمر البكاي خَلَفَ المغيلي في قيادة الزاوية القادرية بعد وفاته³.

من جهود المغيلي في نشر الإسلام في إفريقيا بناءه لمسجد الكرامة بمنطقه أقدز بالنيجر والذي لا يزال منقوشا على صومعته عبارة تقول "هذا مسجد الكرامة الذي بناه الشيخ المبارك محمد بن عبد الكريم المغيلي من صلاة العشاء إلى صلاة الفجر"، بل إن بعض المراجع تُفيد بأن المغيلي نجح في دعوة أمير أقدز وأمير نقزة إلى الإسلام حيث استجاب هذين الأخيرين وأسلم جميع أقوامهما وجنودهما⁴، وإن صحت هذه المعلومة فإن الشيخ المغيلي يُعد فاتحا عظيما وليس فقط شيخا واعظا.

¹ عبد الكبير بن المخبوذ الفاسي القادري، تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين، ج2، تح: محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص816.

² سامي سعيد، مساهمة في دراسة تاريخ الحياة الدينية في السودان الغربي خلال العصر الوسيط: الدين والعلم في عصر الأسكيين (1493-1591)، رسالة الدراسات العليا، كلية الآداب، جامعة فاس، 1992، ص198.

³ نفسه، ص198.

⁴ عبد القادر زبايدية، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص58. ينظر أيضا: محمد مصطفى الكنتي، نبذة عن حياة الشيخ العلامة

استمر تأثير المغيلي في عموم أتباع ومريدي الطريقة القادرية حيث يقول الشيخ مختار الكنتي في قصيدته التي يذكر فيها سلسلة شيوخه:

وَبِهِ إِلَى الشَّيْخِ المَغِيلِيِّ شَيْخُهُ سَيْفُ الإِلَهِ عَلَى دَوِي الطُّغْيَانِ
مُحِبِّي رُسُومِ الدِّينِ بَعْدَ دُنُورِهَا وَمُمِيتُ سَائِرِ خَارِجِ الأَدْيَانِ¹

وفي نهاية ورقتنا هذه نوّد لفت الانتباه أنّ الآثار الدعوية والصوفية لشيخنا محمد المغيلي لم تندثر بوفاته وإنما لا تزال قائمة إلى يومنا هذا، حيث أن سفير نيجيريا السابق صرّح بقوله: "إنّ المرحوم الشيخ محمد المغيلي كان رجلاً إفريقيًا حقيقيًا ومُخلصًا، وكان رجل الشعب وعالمًا مجددًا وفقهها وفيلسوفًا ورجل رؤية نافذة تجاوزت عصره، قام بخدمات إنسانية في إفريقيا جنوب الصحراء، وبقيت أعماله بنيجيريا وبلغت درجة الأسطورة في الأذهان، مبادئه في الفقه الإسلامي والإدارة باقية في نيجيريا، وهي تُدرّس ويُرجع إليها في مؤسسات التعليم العالي"²، أما تأثيره في مالي فلا يختلف كثيرًا حيث ازداد اهتمام الماليين بالشيخ المغيلي بعد إنشاء مركز أحمد بابا للتوثيق في تنبكتو³.

محمد بن عبد الكريم المغيلي، المهرجان الثقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار 1985، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988، ص 12-13.

¹ ابن مخلوف، المرجع السابق، ص 274.

² نقلًا عن: حسين زيغمي، المرجع السابق، ص 75.

³ الوفد المالي المشارك في المهرجان للتعرف عن منطقة أدرار. نقلًا عن: حسين زيغمي، المرجع السابق، ص 55.

خاتمة:

لا يسعنا في الأخير إلا التمعن في قوة وصلابة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وأسلوبه الدعوي الذي جمع فيه ما بين الترغيب والترهيب امتثالاً لتعاليم ديننا الإسلامي، حيث وبالرغم من صلابته في الدفاع عن ثوابت الإسلام في حادثة مقارنته لليهود بتمنيط، إلا أنه أبرز جانباً من اللين في معاملته لأمرء إفريقيا الذين قابلهم ونتج رفقه بهم وبرعاياهم أن تجدد الإسلام ببلادهم وكثر معتقوه.

لم يكتف المغيلي بالدعوة والجهاد وإنما كذلك استخدم العلوم التي حصلها لبناء نموذج شرعي للحكم السياسي والتنظيم الاقتصادي للممالك التي عاش بها وهو بذلك لم يجعل الفقه الذي درسه حبيس الكتب وإنما استعمله لخدمة أمته، ليس هذا فحسب إذ أن المغيلي وإدراكاً منه بأن زكاة العلم نشره فقد مارس مهنة التعليم فعمل على تحفيظ القرآن وإقراءه، وعقد مجالس علمية لتدارس العلوم النقلية التي برع فيها على غرار الحديث، العربية، القراءات والتصوف وغيرها، وفي هذا الإطار قام ببناء عدة منشآت علمية ودعوية كمسجد الكرامة بالنيجر والزاوية القادرية التي عُرفت باسمه في تمنيط بتوات وكل هذا خدمة لدينه وحرصاً على نقل الإسلام إلى البلاد التي لم يصلها الفاتحون من قبله أو تلك التي أسلمت ولم تتخلى عن عاداتها الوثنية جهلاً منها.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

- ابن الجوزي أبو الفرج، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج 17، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.
- التادلي ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، تح: أحمد التوفيق، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997.
- التلمساني ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.
- التنبكي أحمد بابا، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط2، منشورات دار الكاتب، طرابلس، 2000.
- ابن تيمية، الصوفية والفقراء، تقديم: محمد جميل غازي، دار المدني، جدة.
- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، تح: أحمد جاد، ط1، دار الغد الجديد، القاهرة، 2007.
- الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، ج20، تح: شعيب أرناؤوط وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، 1985.
- الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، ج3، تح: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، الأردن.
- الشنطوفي نور الدين، بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، تح: جمال الدين فالح الكيلاني، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 2010.

- ابن عساكر محمد، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح: محمد حجي، ط2، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977.
- القادري عبد الكبير بن المجذوب الفاسي، تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين، ج2، تح: محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996.
- القشيري أبي القاسم، الرسالة القشيرية، تح: زكريا بن محمد الأنصاري، دار جوامع الكلم، القاهرة.
- الكلاباذي محمد بن اسحاق، التعرف لمذهب أهل التصوف، تح: آرثر جون أربري، مكتبة الخانجي، القاهرة.

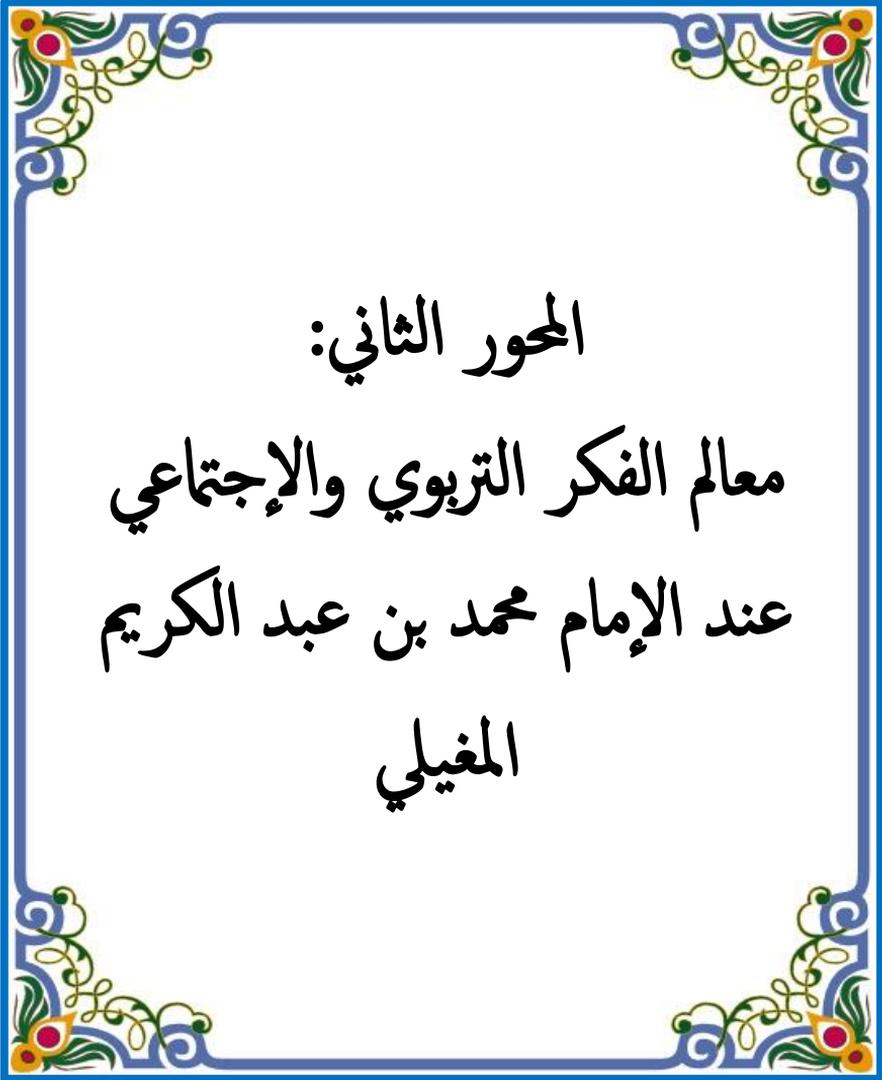
ثانيا: المراجع

- إلهي ظهير إحسان، التصوف: المنشأ والمصدر، ط1، إدارة ترجمان السنة، لاهور، 1986.
- باجي عبد القادر، الإمام المغيلي عصره وحياته، دراسة تاريخية، تحليلية وتوثيقية، ج1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م.
- بكري عبد الحميد، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، دار الطباعة العصرية، الجزائر، 2010.
- بن خويا إدريس، فاطمة برماتي، الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي من المهدي إلى اللحد، مجلة الذاكرة، ع7، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، 2016.
- بنعبد الله عبد العزيز، معلمة التصوف الإسلامي، ج2، ط1، دار نشر المعرفة، الرباط، 2001.

- بوتشيش أمينة، بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين 6هـ و7هـ، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان.
- بوعزيز يحيى، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.
- بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6-7هـ/12-13م، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2004.
- جعفري أحمد، حوار الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي مع ملوك وأمراء غرب إفريقيا وأثره في حركة الفتح الإسلامي لإفريقيا، الفضاء المغربي، مج4، ع1، 2020.
- حاج أحمد نور الدين، المنهج الدعوي للإمام المغيلي، رسالة ماجستير، قسم أصول الدين، جامعة باتنة، 2011.
- الحسيني عبد المنعم القاسمي، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الخليل القاسمي، المسيلة، 1427هـ.
- الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، ج1، مطبعة بيبير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906.
- الحكيم مصطفى، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي: معالم من رؤيته الدينية والسياسية، مجلة المناهل، ع4، مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، 2017.
- درنيقة محمد أحمد، الطريقة القادرية وأعلامها، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2009.
- رباحي عبد القادر، الإمام المغيلي عصره وحياته: دراسة تاريخية تحليلية توثيقية، ج1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011.

- زبايدية عبد القادر، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
- زيدان جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، مج2، دار الفكر، بيروت، 2005.
- زيغمي حسين، ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار: دراسة وتحقيق وتعليق، رسالة ماجستير، قسم الشريعة والقانون، جامعة الجزائر1، 2013.
- سامي سعيد، مساهمة في دراسة تاريخ الحياة الدينية في السودان الغربي خلال العصر الوسيط: الدين والعلم في عصر الأسكيين (1493-1591)، رسالة الدراسات العليا، كلية الآداب، جامعة فاس، 1992.
- السعدي عبد الرحمن، تاريخ السودان، المكتبة الأمريكية، باريس، 1981.
- السمالي العباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حلّ بمراكش وأغمات من الأعلام، ج5، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993.
- شترة خير الدين، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصلح الناصر وفكره الإسلامي في توات والسودان الغربي، ج2، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011.
- عطية عبد الكامل، دعوة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (1503-1427) في الجنوب الجزائري وحواضر غرب إفريقيا، مجلة مدارات تاريخية، مج2، ع4، 2020.
- الفاروقي إسماعيل راجي، لمياء الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية، تر: عبد الواحد لؤلؤة، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998.
- القنوجي صديق بن حسن، أجد العلوم، ج2، دار الكتب العلم آية، بيروت.

- الكنتي محمد مصطفى، نبذة عن حياة الشيخ العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي، مهرجان الثقافي الأول للتعريف بأردار 1985، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988.
- مخلوف محمد ابن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ.
- مطير سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، ط1، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2005.
- المقدسي صبري، الموجز في المذاهب والأديان، ج1، ط1، مكتبة المديرية العامة للثقافة والفنون، أبريل، 2007.
- مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية خلال القرن 9هـ/15م، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2006.
- مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية، ط1، مؤسسة الجزائر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
- مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن 9هـ/15م، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2006.
- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، 1980.
- نيكلسون رينولد، الصوفية في الإسلام، ترجمة: نور الدين شريعة، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2002.
- الهادي هارون، التأثير السياسي للطريقة القادرية في إفريقيا جنوب الصحراء خلال العصر الحديث، مجلة روافد للبحوث والدراسات، ع2، جامعة غرداية، 2017.



المحور الثاني:

معالم الفكر التربوي والإجتماعي
عند الإمام محمد بن عبد الكريم
المغيلي

الفكر التربوي والتعليمي عند الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي

أ.د. راجح طبجون

المدرسة العليا للأساتذة، آسيا جبار، قسنطينة

مقدمة:

فتح الملتقى الدولي المنعقد بالجزائر عام 2023 حول شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي: (الحوكمة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدها) شهية الباحثين والطلبة لمعرفة أسرار هذه الشخصية العلمية الفريدة التي غيبتها التاريخ، رغم شموخه العلمي وامتداداته في العمق المعرفي العربي والإفريقي وفي دول الساحل إلا أنه لم يحض ببحوث جادة للكشف عن جهوده في المجالات التي خاض فيها، وحقق فيها السمو والتميز.

لقد سجل حضور الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في ممالك إفريقيا "حيث سلب بعلمه وأسلوبه الدعوي وتواضعه فكر الملوك ومحبة الشعوب"¹. لقد توجه إلى شمال نيجيريا، واستقر بمدينة تيقدا، ومنها انتقل إلى كانو ثم إلى كاتسنا واتصل بأبيها عبد الله محمد بن يعقوب، وبعد إقامة في بلاد الهوسا انتقل إلى فولتا العليا في شمال السينغال، ثم التحق بمدينة كاغو واجتمع بسلطانها ساسكي محمد الحاج، وكان ينتقل إلى كل هذه المدن

¹ خير الدين بن شترة: الفكر الإصلاحى والدعوى عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، (الجزائر، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، 2013)، ص341.

والعواصم في كل السودان الغربي بصفته واعظا، ومعلما ومدرسا للقرآن الكريم، وقاضيا، ومفتيا عارفا بمصادر التشريع ومقاصد الأحكام، ومصلحا بين القبائل وحكما لفض النزاعات وإخماد الفتن الداخلية، وخبيرا بقضايا الأحوال الشخصية والإصلاح الاجتماعي، ومتمرسا بالفقه السياسي والأحكام السلطانية، وكان رحمه الله سبّاقا إلى لفت الانتباه إلى أهمية علاقة الجزائر مع جيرانها في جنوب الصحراء.

وتخليدا لتراثنا الوطني المجيد، الحادي لقوافل النهضة الجزائرية الحديثة، فإن من واجب الوفاء لجهود الإصلاح التربوي والتعليمي في الجزائر الحديث عن الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره الريادي ومساهماته في هذا الميدان. لنؤكد أننا نملك نموذجا غنيا وطرارزا نادرا ومنطقة بحثية تتسم بالثراء لم يرتدها أحد بعد كما يجب.

تمهيد:

شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي شخصية متعدد الجوانب، تعتبر من المعالم الهادية في تاريخ الفكر والثقافة الجزائرية، وفي عالم الدعوة والإصلاح. كان تأثيره واضحا كلّ الوضوح في علماء عصره والعلماء الذين جاءوا من بعده، وفي طلبته الذين كانوا يسألونه في شتى المسائل ويتنفعون بمعارفه الواسعة، وفي أتباعه الذين يعدون بالآلاف، إضافة إلى استقطاب عدد كبير من الجنسيات الإفريقية من المريدين والأتباع، كما دانت له بالولاء الكثير من القبائل في الجنوب والجنوب الغربي من الصحراء.

وبما أنّ هذه الشخصية حديرة بالحياة الخالدة كنموذج رائد من رواد الثقافة الجزائرية في عالم التواصل الحضاري واسع النطاق، وفي مجال تعميق الامتداد الروحي ونشر أنوار الصوفية الماجدة واستثمار ما أنتجته من خطاب، فإنه من الواجب التعريف بفكره ووضعه في مكانه

الحقيقي بين حركات الدعوة والتربية والإصلاح في العالم العربي والإسلامي التي أعطت مفاهيم جديدة كتعبير عن رفض الواقع الاستعماري وسياسته في تجهيل الشعب وحرمانه من التعليم.

هذا العالم الذي خط مسارا متميزا باجتهاده وتجديده، وطرقه التربوية التي قادت أمم وشعوب إفريقيا لرفع درجة الوعي والخروج من رقعة الاستعباد والجهل وفق استراتيجية التواصل بين شمال الصحراء وجنوبها ومن خلال تدعيم المشترك الروحي الرمزي، "ولذلك يمكن اعتبار أعماله نواة طيبة للوحدة والتحرر الإفريقية"¹.

لقد سجل الإمام المغيلي صفحات مشرقة من النضال المتعدد الجوانب بإخلاصه الشديد المتفاني واللامتناهي، فقد كان مستنيرا في تحليلاته ومتطورا بمتابعته للمستجدات، وله في ذلك أمثلة وشواهد، "فأيقظ النائم، ونبّه الغافل، ورسم معالم الطريق"². وقد مكنته هذه الخبرة من إدراك طبيعة الأزمات التي تعاني منها الأمة الإسلامية والشعوب الإفريقية فقدم مساهمته ودخل في "تجربة كالتّي خاضها أبو حامد الغزالي فأنتج خطابا جديدا تمثل في المنقذ

¹ عبد الرحمن شيبان: "من مآثر محمد بن عبد الكريم المغيلي جهاد من أجل الوحدة الإفريقية والوحدة الإسلامية"، (الجزائر، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، السنة الخامسة عشرة، عدد 88، يوليو/أغسطس، 1995)، ص70.

² محمد الطاهر فضلاء: دعائم النهضة الوطنية الجزائرية، (الجزائر، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1983)، ص10.

من الظلال وإحياء علوم الدين، أو كالتالي خاضها الشافعي فأنتج منطقاً جديداً هو دليل العقول، أو كالتالي دخل فيها ابن تيمية فأنتج فيها منطق الميزان¹.

أولاً: حياته وثقافته:

ولد الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي²، بمغيلة نواحي تلمسان حاضرة الفكر والثقافة، هو عالم ومتكلم له بسطة في الفهم والتقدم "مقداما على الأمور جسورا جديداً محققاً

¹ عمار قاسمي: "الخطاب الصوفي بين العبارة والإشارة"، مقال ضمن أشغال الملتقى الوطني الخطاب الصوفي الإسلامي، قسنطينة 13/12 ديسمبر 2018، (الجزائر، مخبر الدراسات العقدية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، مطبعة ميهوبي، 2018)، ص 37.

² توجد ترجمة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (1425-1504) في كتاب، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، (لبنان، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط 02، 1980)، ص 308. وأبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول، (لبنان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 01، 1998)، ص 53. ومبروك مقدم: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامسة عشر للميلاد، (الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2006). وأبو عمران الشيخ ومجموعة من الباحثين: معجم مشاهير المغاربة، (الجزائر، منشورات دحلب، 2007)، ص 443. وعبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، الجزء الثالث، (الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 08 2007)، ص 72. ومحمد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان: إرشاد الحائر إلى آثار الأدياء الجزائريين، ج 1، 2، (الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2011)، ص 626. وبلخير هانم: "الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني التعريف والإشعاع"، (الهند، مجلة المدونة، مجمع الفقه الإسلامي، عدد 03، كانون الثاني 2015)، ص 96. وعبد العزيز فيلالي: الصلات الثقافية بين قسنطينة وتلمسان من ابن خميس إلى ابن باديس، (الجزائر، منشورات مؤسسة عبد الحميد بن باديس، دار الهدى عين مليلة، 2020).

نظراً¹، وقد أدرك الإمام المغيلي حقيقة الأبعاد التاريخية والحضارية لرسالته، وحمل الهاجس الإصلاحية والهمّ النهضوي، وهو "من المثقفين وأولي الفكر في عصره"²، عاصر دولة بني زيان، وكان له امتدادات في إفريقيا وممالكها، هو شخصية متعددة المواهب، فقيه وعالم مشهور في التفسير والحديث والمنطق ورجل دولة وديبلوماسي من الطراز الرفيع.

نشأ المغيلي في بيئة علمية ودينية محافظة، وتلقى تعليمه على يد علماء بارعين في علوم الشريعة والتصوف، بداية من الإمام يحيى بن يدير التدلسي³، والإمام محمد بن يوسف السنوسي التلمساني⁴.

كما تأثر بالمدارس الفكرية المنتشرة في المدن التي زارها، حيث حلّ بمدينة بجاية حاضرة العلم وقبلة العلماء، ودرس فيها على يد العلامة أحمد بن إبراهيم البجائي¹، والشيخ محمد بن أحمد المغيلي الشهير بالجلّاب التلمساني².

¹ محمد بن عبد الكريم المغيلي: رسالتان في أهل الذمة الرسالة الأولى مصباح الأرواح في أصول الفلاح، دراسة وتحقيق: عبد المجيد الخيالي، (لبنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 2001)، ص47.

² محمد بن عبد الكريم المغيلي: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تقديم وتحقيق، (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974)، ص08.

³ يحيى بن يدير بن عتيق التدلسي التلمساني: الفقيه العلامة قاضي توات أخذ عن الإمام ابن زاغو وغيره، وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي توفي رحمه الله يوم الجمعة قبل الزوال عام 1473م. دُفن بمقبرة سيدي علي بن موسى بتمنيط، وقبره مشهور ومعروف بها، للتوسع يُنظر،

<https://binbadis.net>

⁴ محمد بن يحيى أو إبراهيم بن عبد الرحمن، التلمساني: مالكي المذهب المعروف بابن الإمام؛ وهو بكنيته أشهر، عالم بالتفسير والفقه، مشارك في علوم الأدب والطب والتصوف. للتوسع يُنظر،

<https://binbadis.net>

ومن أساتذته في العاصمة، عبد الرحمن الثعالبي³، أبرز العلماء والقضاة في الجزائر، وقد درس عنده علم التصوف والقراءات وعلم التفسير، وأخذ منه الطريقة (القادرية)⁴، وزادت المصاهرة بينهما أواصر المودة والقرابة، حيث زوّجه ابنته الشريفة السيدة فاطمة الملقبة بـ (لالا زينب)، وكان من تلاميذه: إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي⁵، والعاقب الأصمني¹، والفقير

¹ أحمد بن إبراهيم البحائي: إمام جليل حافظ، اشتهر بالتفسير والفقهاء، تتلمذ له الشيخ الثعالبي. كما تتلمذ عليه المغيلي عند سفره إلى بجاية، وأخذ عنه التفسير والفقهاء. توفي سنة 1434م. للتوسع يُنظر،

<https://binbadis.net>

² محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي: الشهير بالجلاب التلمساني، فقيه مالكي، حافظ للحديث، من أهل تلمسان، أخذ عنه الإمام السنوسي والونشريسي وأتيا عليه، له فتاوى في "المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب"، للتوسع يُنظر، عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، (لبنان، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط02، 1980)، ص76. ويُنظر، خير الدين بن شترة: **الفكر الإصلاحي والدعوي عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني**، (الجزائر، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، 2013)، ص300.

³ عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي (1384-1470): تعلم في بجاية وتونس ومصر، وولي القضاء من أولياء الله المعرضين عن الدنيا وأهلها، اختصر تفسير ابن عطية في جزأين وشرح ابن الحاجب الفرعي في جزأين، وعمل في الوعظ والرقائق وغيرها، من آثاره: "تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، "روضة الأنوار ونزهة الأخيار"، للتوسع يُنظر، عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، (لبنان، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط02، 1980)، ص90.

⁴ الطريقة القادرية: طريقة صوفية، لعبت دورا مهما في المحافظة على الكيان الديني الجزائري زمن المسخ الاستعماري، وبقية وفية لإلتزاماتها الوطنية على غرار الزاوية الرحمانية ومجموعة كبيرة من الزاوايا المنتشرة في ربوع الوطن. للتوسع يُنظر، أبو القاسم سعد الله: **أفكار جامحة**، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكاتب، 1988)، ص25.

⁵ محمد بن عبد الجبار، أبو عبد الله، الفجيجي. كان فقيها عارفا أديبا شاعرا ماجدا فاضلا نزيها خيرا، صاحب كرامات، محبا للفقراء، مكثرا للصدقات. توفي رحمه الله في أوائل الرابعة ببلاد فجيج. أخذ عن

أيذا أحمد محمد بن أحمد التازحني²، والعارف عمر الشيخ الكنتي³، وفي مدينة تميمون استقر به المقام مدة 26 سنة من الزمن، وفي أدرار سطرَّ آخر اللمسات في مشروعه الإصلاحية الكبير، وختم فيها أنفاسه.

عاش الإمام المغيلي حياة الزهد والتقشف بعيدا عن الأهواء والمصالح الذاتية، وحلَّ في قلوب العامة محلا جليلا، فقد كان ذكيا قوي الذاكرة صاحب سميت ووقار وأخلاق رفيعة، وهي العيشة التي تتوافق مع منهج الصوفية وتطبيقاتها سار فيها على نهج أستاذه عبد الرحمن الثعالبي، "بعيدا عن حياة الدروشة والشعوذة وغيرها من التقاليد المخالفة التي كانت سائدة

أحمد بن يوسف الراشدي ومحمد بن عبد الرحمن الكفيف والشيخ المغيلي. وأخذ عنه أحمد الغماري التلمساني وغيره. توفي سنة 950هـ/1543م. للتوسع يُنظر، خير الدين بن شترة: **الفكر الإصلاحية والدعوي عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني**، (الجزائر، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، 2013)، ص306.

¹ العقاب بن عبد الله الأنصمي، المسوفي - نسبة لقرية بالسودان-. الإمام، الفقيه، الذكي، واحد الزمان وفريد العصر والأوان. أخذ عن المغيلي والسيوطي، وغيرهما. كان بالحياة قريبا من سنة 950هـ/1543م. للتوسع يُنظر، <https://binbadis.net>

² محمد أيد أحمد: هو محمد بن أحمد بن أبي محمد، التازحني والمشهور بلقب أيد أحمد. كان شيخا فقيها عالما علامة، محققا فهامة، رحلة، شهيرا محصلا لكثير من العلوم. رحل إلى تكدة، فلقى فيها المغيلي، وحضر دروسه، ثم رحل إلى المشرق وأخذ عن نفر من العلماء في مصر ومكة. للتوسع يُنظر، <https://binbadis.net>

³ عمر الشيخ الكنتي: هو سيدي عمر بن محمد بن علي، الكنتي. المشهور بالعلم والولاية، الحافظ لكثير من فنون العلم. رحل إلى بعض بلدان المغرب وأخذ العلم منها. توفي في حدود سنة 960هـ/1553م، ودفن على رأس جبل من جبال سوسن، وله ضريح مشهور يزار. للتوسع يُنظر، خير الدين بن شترة: **الفكر الإصلاحية والدعوي عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني**، (الجزائر، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، 2013)، ص305.

في محيطه الاجتماعي¹. كان رحمه الله "رجلا مقداما على الأمور جسورا جريء القلب فصيح اللسان جدليا نظارا محققا متصلبا في الدين متمسكا بالسنة مبغضا لأعداء الدين"². ترك الإمام المغيلي آثارا علمية قيّمة استفاد منها علماء عصره ومن تبعهم إلى يومنا هذا، وهي عبارة عن عدة مصنفات في شتى فنون العلم والأدب والسياسة، فكتب في الفقه وأصوله وعلم الحديث واللغة والبلاغة وبعض الشروح والمختصرات، وقد زحرت مؤلفاته بالتوحيد والتصوف ومجاهدة النفس، نذكر من أهمها: في العقيدة "مصباح الأرواح وأصول الفلاح"، وفي علم المنطق "لب اللباب في رد الفكر إلى الصواب"، و"شرح الجمل في المنطق"، و"منظومة في علم المنطق"، وفي علوم البلاغة "شرح التبيان في علم البيان"، و"مقدمة في العربية"، وفي التفسير "البدر المنير في علوم التفسير"، و"تفسير سورة الفاتحة"، وفي الحديث "مفتاح النظر في علم الحديث"، و"منح الوهاب"، وبعض الشروح مثل: "شرح المختصر"، و"شرح خطبة المختصر"، و"مختصر تلخيص المفتاح"، و"مختصران في الفرائض"، و"شرح بيوع الآجال"، و"مغني النبيل في شرح مختصر خليل"، وهو إلى جانب تأليفه شاعر له عدة قصائد منها (الميمية) على وزن بردة البصري ورويها، و"فهرسة" ذكر فيها مروياته، وله منسوخات وتقييدات وأبحاث كما أنّ له ردود مفحمة على علماء عصره أظهر فيها تفوقا كبيرا على أقرانه ومعاصريه مثل رده على الإمام جلال الدين السيوطي في مغالطاته

¹ عمر بغدادي: "إسهامات الخطاب الصوفي في تفعيل القيم الإنسانية في المغرب الأوسط عبد الرحمن الثعالبي أنموذجا"، مقال ضمن أشغال الملتقى الوطني الخطاب الصوفي الإسلامي، قسنطينة 13/12 ديسمبر 2018، (الجزائر، مخبر الدراسات العقديّة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، مطبعة ميهوبي، 2018)، ص 170.

² عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، الجزء الثالث، (الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 08، 2007)، ص 73.

المعرفية المتعلقة بتحريم علم المنطق، فأشار إلى أصول المنطق ومسائله ومقاصده، وكذلك في رده على المعتزلة في اعتقاداتهم الفاسدة، وفي حروبه على أهل البدع والشعوذة ودمغ أفكارهم بالحجة والبينة.

ثانيا: مكانته ومنجزاته:

يعد الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من رواد الإصلاح في القرن الخامس عشر الميلادي، بالإضافة إلى وعيه السياسي والحضاري، كان صاحب فضل كبير على عدد من الدول والشعوب التي زارها مثل السودان الغربي التي اجتمع بسلطاتها (كانو) وكتب له رسالة في أمور السلطنة، وزار إمارتي سنغاي والهوسا وبعض الدول الإفريقية مثل مالي والنيجر ونيجيريا وبوركينا فاسو، وكان نموذجا ناجحا في حلّ النزعات ومدّ جسور التواصل مع العمق الإفريقي.

كانت له زيارات وعلاقات حيث زار إمارة كشاننا، وإمارة كانو وهذا بطلب من أميرها محمد بن يعقوب زنقا، والإمارات السبعة لمملكة السنغاي بطلب من ملكها محمد أسكيا الكبير، "وكان كثير المراسلات مع علماء عصره في القضايا التي تهمه"¹، كما كان قاضيا ومستشارا لعدد من الملوك والأمراء ومصلحا بين القبائل، وواعظا ومربيا حكيما، "وكان أثناء سفره يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحض على العمل بأحكام الشرع"². "حيث جمع بين

¹ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثاني، (لبنان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 1998)، ص69.

² محمد بن شاوش رمضان والغوثي شقرون: إرشاد الحائرين إلى آثار الأدباء الجزائريين، المجلد الأول، (الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2011)، ص626.

الفهم العميق للقرآن الكريم، والعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبين فصاحة اللسان، وجسارة القلب العامر بالإيمان"¹.

سمحت له ظروف الاستقرار في تميمون، فبنى بها مسجدا جامعاً لا يزال قائماً إلى اليوم، ومدرسة وزاوية، وتمكن من تنظيم حركة التجارة والقوافل، وفرض نظام الحسبة على التجار في السوق، "وكان يتدخل في الشؤون السياسية والاجتماعية ليس في المغرب فحسب بل في إفريقية جنوب الصحراء أيضاً"²، ومن هنا بدأ صراعه مع اللوبي اليهودي أو كما سماه "الطائفة الملعونة"³، التي استغلت طيبة السكان وتمكنت من السيطرة على كل منافذ الاقتصاد وطرق القوافل التجارية واحتكار قوت السكان ورهن مصيرهم، مع "نشرهم للدسائس للتفريق بين المسلمين ونشر العداوة بينهم"⁴، فقرر إجلائهم، ودخل معهم في

¹ عبد الرحمن شبان: "من مآثر محمد بن عبد الكريم المغيلي جهاد من أجل الوحدة الإفريقية والوحدة الإسلامية"، (الجزائر، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، السنة الخامسة عشرة، عدد 88، يوليو/أغسطس 1995)، ص70.

² أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثاني، (لبنان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 1998)، ص69.

³ عبد الرحمن حمادو الكتيبي: العلامة المغيلي وسياسته مع اليهود، الوثائق الكاملة، (الجزائر، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، 2013)، ص35.

⁴ خير الدين بن شرتة: الفكر الإصلاحي والوعوي عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، (الجزائر، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، 2013)، ص344.

خصوصة عنيفة "فهدم بيعهم بعد أن استفتى علماء تلمسان وفاس وتونس في ذلك الأمر"¹، وله في هذا (مخاورات ومساجلات)² مع من عارضه وما تولّد عنها من مواقف وردود أفعال.

ثالثا: الفكر التربوي عند الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي:

يقترن اسم العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي بكبار علماء التربية والتكوين في العالم العربي والإسلامي، وله باع طويل في هذا المجال الذي أدرك خلفياته وأبعاده الإستيمولوجية، وهو يُعد مدرسة في الفقه والتصوف وتزكية النفس، نشر أفكاره بالموعظة الحسنة والمجادلة والتي هي أحسن عن طريق التربية والتعليم على أسس صحيحة فمنحه ذلك مشروعية الانتشار والسيادة في إفريقيا وفي دول الجوار. وكان يؤمن "أنّ أول ما يتقرب به العبد إلى الله طلب العلم لوجه الله على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإتّما يطلب العلم بالنظر، وليس النظر بمصيب أبدا ولا بمخطئ أبدا، بل بعض النظر مصيب وبعضه مخطئ"³.

¹ محمد بن شاوش رمضان والغوثي شقرون: إرشاد الحائرين إلى آثار الأدباء الجزائريين، المجلد الأول، (الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2011)، ص 626.

² جرت مساجلات بين الإمام محمد عبد الكريم المغيلي وقاضي توات الشيخ عبد الله بن أبي بكر الغصنوني في قضية هدم كنائس يهود توات، وبالضبط تمنطيط، وشارك فيها بعض علماء تلمسان وفاس وتونس، فكان البعض إلى جانب المغيلي والبعض إلى جانب الغصنوني. للتوسع يُنظر، عبد الرحمن حمادو الكتي: العلامة المغيلي وسياسته مع اليهود، الوثائق الكاملة، (الجزائر، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، 2013). ويُنظر، محمد باي بلعالم: الرحلة العلية إلى منطقة توات، الجزء الثاني، (الجزائر، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، 2015)، ص 78.

³ محمد بن عبد الكريم المغيلي: مختصران في الفرائض، تحقيق: محمد شايب الشريف، (لبنان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 01، 2012)، ص 34.

كان الإمام المغيلي مساهماً مؤثراً في تطوير التعليم الديني وكل ما له علاقة بالعلوم الشرعية، واعتبره من الأولويات وهو الإطار العام لبناء مجتمع صالح. في هذا السياق، قام بتأسيس كتاتيب ومدارس ودور تعليمية تهتم بتعليم القرآن الكريم والفقه، وكان يرى أن التعليم لا بد أن يتبع المنهج التقليدي المستند إلى خبرة وكفاءة الأجداد. وفيما يلي بعض معالمه الفكرية التي يمكن إيجازها في النقاط التالية:

1. التعليم والتربية الأخلاقية:

ركز الإمام المغيلي على تربية النفس وتهذيب الأخلاق، حيث كان يعتقد أن العلم لا قيمة له إذا لم يصاحبه سلوك حسن وأخلاق نبيلة. ولذلك، كان يؤكد على أهمية تربية الطلاب على الفضائل الإسلامية، مثل: الصدق، المحبة، الأمانة، التواضع، والتعاون. كما كان يرى أن التعليم يجب أن يكون أداة لتغيير البنية المعرفية للمجتمع بشكل إيجابي وفتح مسالك جديدة وقنوات للتواصل، وكانت الكتاتيب القرآنية على رأس الأولويات في مشروعه الكبير، كما كانت المساجد في عهده ميداناً للحلقات الدينية والعلمية واللغوية ومجالاً للتنافس والاجتهاد.

2. الاهتمام بالعقل والتفكير:

كان الإمام المغيلي مهتماً بتطوير الطاقة العقلية لدى الطلاب، حيث شجع على التفكير النقدي والنقاش العلمي الذي يقتضي اكتساح الحقول المعرفية المختلفة دون استثناء، مما جعله يولي أهمية لدراسة العلوم العقلية والفلسفية وجعلها ركناً مكيناً في التكوين، مثل: الفلسفة والمنطق والرياضيات بصفاتها أكثر نجاعة وجدوى باعتبارها حقولاً معرفية مهمة ومترابطة، جنباً إلى جنب مع العلوم الدينية ولعل تلك إحدى إضافات الإمام المغيلي. وكان

يعتقد أن العقل يجب أن يُنمى من خلال دراسة هذه العلوم بالتوازي مع العلوم الشرعية،
"لاسيما أنها وسيلة ضرورية لإدراك الحق"¹.

وكان يرى أن المسلم يجب أن يكون ذا عقل مستقل يقدر على فهم مسائل الدين
ويتفاعل معها بذكاء ووعي، حتى "أنه اعتمد على الجانب العقلي في ردوده على الأسئلة
التي تُطرح عليه، فدعا إلى استعمال المنطق لصقل وتهذيب الذهن واعتبر المنطق علم التعبير
عن الحق وتحقيقه، والاستدلال على الأفكار والبرهنة على الاستدلال"². وكان يرى أن
"النظر هو إعمال العقل والمدارك في موضوع ما، وينجر عنه إما نظر مصيب إما نظر مخطئ،
فهو لا يصيب أبدا كما أنه لا يخطئ أبدا"³.

3. التربية على الاجتهاد:

كان الإمام المغيلي يُؤمن بضرورة تطوير النظرة إلى مسألة الاجتهاد، وقد تدرج في ترسيخ
هذا المفهوم شيئا فشيئا حتى أصبح واضح الأبعاد، فكان يشجع الطلاب على التفكير في
المسائل الدينية والاجتماعية بشكل مستقل لمواجهة النوازل والقضايا الجديدة والبحث عن

¹ محمد باي بلعالم: الرحلة العلية إلى منطقة توات، الجزء الثاني، (الجزائر، دار المعرفة الدولية للنشر
والتوزيع، 2015)، ص 81.

² محفوظ بن الصغير: "منهج الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في الفقه والفتوى"، ضمن كتاب الإمام
محمد بن عبد الكريم المغيلي فقه السياسة والحوار الديني"، أعمال ملتقى دولي بتلمسان يومي
06/05 فيفري 2012، (الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية، 2012)، ص 200.

³ عبد القادر بوعرفة: "مكانة المنطق في مؤلفات عبد الكريم المغيلي"، ضمن كتاب أعمال الملتقى
الدولي للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي الحوكمة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدها، ملتقى دولي
بالجزائر العاصمة يومي 13/12 ديسمبر 2022، الجزء الأول، (الجزائر، منشورات وزارة الثقافة والفنون،
ديسمبر 2023)، ص 199.

قوالب مختلفة لإحداث النقلة النوعية للنفوذ إلى أنساق الثقافة الحديثة المفتوحة على الإنسانية، وهذا يعكس مدى اهتمامه بتطوير الفكر المستقل والتفكير النقدي.

وله من خلال بعض ممارساته اجتهاداته الخاصة التي عارض فيها الإمام جلال الدين السيوطي¹ فيما يخص الاشتغال بالمنطق وناصر الاشتغال به، وردّ عليه بكتابه (مختصر لب الألباب في ردّ الفكر إلى الصواب)، "واعتبر المنطق الطريق المؤدي إلى الحق، وأن أخذ الحق يجوز من غير المسلمين لأن معرفة الناس بالحق هي المبدأ المعتمد وليس معرفة الحق بالناس"²، وكذلك اجتهاد المغيلي في إخراج اليهود من توات وهدم بيعهم بعد الفساد والاحتكار الذي مارسه على أهل الصحراء. كما كان له اجتهاده في رسالة إلى أمير (كانو) في جملة مختصرة فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام، وفي إجاباته الشافية حول المسائل السبعة التي وجهها له سلطان سنغاي فيما يعرف بـ (أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي).

¹ السيوطي (1445-1505): هو جلال الدين السيوطي، إمام حافظ، ومفسر، ومؤرخ، وأديب وفقه شافعي من العصر المملوكي في مصر، نشأ في القاهرة، تفرغ للتأليف، وله نحو 600 مصنف. من أهمها: "الإتقان في علوم القرآن"، "الأشباه والنظائر في النحو"، "الخواص للفتاوي"، "لباب النقول في أسباب النزول"، "المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، "القول المشرق في تحريم الاشتغال بالمنطق". للتوسع يُنظر، بديع سيد اللحام: الإمام جلال الدين السيوطي العالم الموسوعي، عدد خاص، (سوريا، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، عدد 04، أكتوبر 1992)، ص735. ويُنظر، عبد الله النبهان: الإمام جلال الدين السيوطي سيرة مختصرة، عدد خاص، (سوريا، مجلة مجمع اللغة العربي، دمشق، عدد 04، أكتوبر 1992)، ص584.

² أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول، (لبنان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 1998)، ص119.

4. إصلاح التعليم:

سعى الإمام المغيلي إلى إصلاح النظام التعليمي في زمانه وذلك بمراجعة مفاهيمية لبعض مصطلحاته وأدواره، والانفتاح على آفاق واسعة من البحث والتقصي، وكان يرى ضرورة تطوير المناهج وتبني أساليب تعليمية تتناغم مع احتياجات المجتمع. فكان يُشجع على استخدام أسلوب الحوار والنقاش بين المعلم وطلّبه، بدلاً من الأسلوب التقليدي الذي يعتمد على الحفظ والتلقين. بل كان يعمد إلى نزع التبسيط والتسهيل التي يؤكدّها في مقدمات كتبه المتخصصة.

وبهذا يتميز الفكر التربوي عند الإمام المغيلي بالشمول "بسيطا في عباراته عميقا في إشارات¹"، حيث اهتم بالجانب الديني والأخلاقي والعقلي لطلّبة العلم. وقد أبرز أهمية التعليم كأداة لبناء شخصية ناضجة تكون في خدمة المجتمع.

رابعا: المنهج التربوي عند الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي:

يعكس المنهج التربوي عند الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي أفكاره العميقة في التربية والتعليم، فقد كان يتسم بالاهتمام بالجوانب الدينية والأخلاقية والعقلية لطلّبة العلم، بالإضافة إلى السعي لإصلاح النظام التعليمي بما يتناسب مع القيم الإسلامية ومقتضيات العصر، التي "قاومت بصمودها كل وسائل الدس والمسخ، وكلّ أسباب انخيار الشخصية

¹ عمار قاسمي: "الخطاب الصوفي بين العبارة والإشارة"، مقال ضمن أشغال الملتقى الوطني الخطاب الصوفي الإسلامي، قسنطينة 13/12 ديسمبر 2018، (الجزائر، مخبر الدراسات العقدية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، مطبعة ميهوبي، 2018)، ص51.

تحت تأثير الانبهار بالحضارة الغربية، وبمرجة الثقافة الغربية"¹، وبناء عليه حاور المناهج فأخذ منها ما أخذ، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يعلن قصورها عن الإحاطة بالآثار والمعاني البعيدة. تصدر الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي العديد من المنابر العلمية في فاس وتلمسان وأدرار وفي عواصم إفريقية مختلفة، وكان له دور بارز في تدريس اللغة العربية والبلاغة والفقه والتصوف، بالإضافة إلى كونه مرشدًا وموجهًا للعديد من الطلاب الذين تتلمذوا على يديه، وكان له دور كبير في إصلاح التعليم الديني، "وبذل جهودا إصلاحية جبارة في ميادين التعليم، وتصحيح الأفكار والعقائد، وتهذيب المجتمع"².

ويمكن تلخيص المنهج التربوي عند الإمام المغيلي في عدة جوانب أساسية، منها:

1. المنحى الديني:

دأب الإمام المغيلي على التذكير بالالتزام الديني "هذه الأصالة الدينية العريقة تهيأ لها في كل جيل من يعمقها ويرسخها، ويجيي قيمها وآدابها في السلوك والمعاملات، سواء بين أبناء المجتمع الواحد، أو فيما بينهم وبين الشعوب الشقيقة، خاصة، وبينهم وبين بني الإنسان، عامة"³، وقد برزت عند الإمام المغيلي من خلال:

¹ محمد الطاهر فضلاء: دعائم النهضة الوطنية الجزائرية، (الجزائر، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة 1983)، ص30.

² خير الدين بن شترة: الفكر الإصلاحي والدعوي عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، (الجزائر، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، 2013)، ص341.

³ عبد الرحمن شيبان: "من مآثر محمد بن عبد الكريم المغيلي جهاد من أجل الوحدة الإفريقية والوحدة الإسلامية"، (الجزائر، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، السنة الخامسة عشرة، عدد 88، يوليو/أغسطس 1995)، ص70.

- التركيز على القرآن والسنة:

كان الإمام المغيلي يولي أهمية كبيرة لدراسة القرآن الكريم والسنة النبوية، ويعتبرهما الأساس الذي يجب أن يبني عليه أي تعليم. "وقد كان يؤمن، أشد الإيمان، أن التمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هو وحده، الكفيل بتحقيق وحدة المسلمين، وضمان قوتهم"¹. كان يرى أن تربية المسلم تبدأ بتعليم الكتاب والسنة، باعتبارها مرجعية أساسية للمسلم في حياته اليومية. "فقد أقام رحمه الله منهجه في الدعوة على العلم المستنير بالقرآن والسنة، المعتمد على الإقناع، بالحجة والبرهان، وحارب الابتداع في الدين، واستنكر على أهل زمانه الإعراض عن العلم، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والانحراف عن السنة"².

- تدريس العلوم الشرعية:

كان الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي يهتم بتعليم الفقه، وأصول الدين، والتفسير، والحديث، وكانت هذه العلوم تشكل الجوهر الأساسي للمناهج التعليمية التي وضعها. ولم يكتف بذلك بل حرص على إتقان وتجويد اللغة العربية وعلومها ودراسة المنطق والإحاطة بمعارف العصر وبالمصادر والمراجع القديمة.

2. الجانب السلوكي الأخلاقي:

- تربية النفس:

كان الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي يعظّم من أهمية تربية النفس وتهذيبها ويعتبرها إطارا مرجعيا، حيث كان يعتبر أن العلم لا يفيد إذا لم يُصاحبه تهذيب للروح والأخلاق.

¹ المرجع نفسه، ص70.

² المرجع نفسه، ص71.

ولذلك، كان يركز على تدريب الطلاب على الفضائل الأخلاقية مثل: الصدق، الأمانة، التواضع، والعدل.

- التزكية:

من خلال عمله على نشر التصوف وتصفية القلب، كان الإمام المغيلي يشجع على تزكية النفس بوصفها مشروعاً يؤسس لرؤية فكرية شاملة من خلال التأمل والعمل على تصحيح العلاقات الإنسانية بما يتفق مع المبادئ الإسلامية، حيث حاول الجمع بين التعاليم الصوفية من جهة والالتزام بالشرعية من جهة أخرى. ففي كتابه "الشفاء في علوم الإسلام" تناول العديد من الموضوعات في الفقه الإسلامي، والحديث، والتصوف، وقد حقق شهرة واسعة بسبب دقته وشموليته ومصادقية توجهاته. وتدرج في السير على درب العاشقين في المحبة الإلهية والخوض في بحر المتصوفة.

3. المنهج العقلي والفكري: التفكير النقدي والاجتهاد:

كان الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي يشجع على التفكير النقدي، ويدعو إلى الاجتهاد في فهم النصوص الدينية والعلمية بدلاً من التقليد الأعمى. "وكان يرفع شعار: إن السلامة موجودة ما كانت العقائد سالمة"¹، إضافة إلى ذلك كان يرى أن العقل يجب أن يُفَعَّل في فهم النصوص الشرعية ويسعى لاستخراج المعاني العميق، ويُفَعَّل أكثر في نقاش القضايا الراهنة.

¹ علال بوبريق: شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتراثه العلمي، دراسة وتحقيق، (الجزائر، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، 2013)، ص 246.

4. الجانب الاجتماعي:

- التعليم للجميع:

كان الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي يرى أن التعليم يجب أن يكون متاحاً لجميع فئات المجتمع وخاصة في مرحلة الطفولة والصبا، يشمل في ذلك أبناء المعوزين والفقراء والطبقات المهمشة والمقصيين في السلم الاجتماعي. فكان يعزز فكرة أن العلم حق لجميع الناس. "هذا ما جعل شهرته تخرق الآفاق، ودفع الناس إلى احتضان دعوته، راضين مقتنعين، في كل منطقة حلَّ بها، داعياً إلى الله، مجاهداً في سبيله"¹. وبهذه المقاربة تشكلت حوافز التعليم، "وأخذ الناس يقبلون عليه ويمجدون طريقته في العلم والفهم والتعلم"².

- تعليم الفقراء والمحرومين:

كان الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي يهتم بشكل خاص بتعليم الفقراء والمحرومين، حيث كان يعتبر أن العلم يجب أن يكون في متناول الجميع، دون النظر إلى الوضع الاجتماعي أو الاقتصادي للفرد. وبالتالي، كان يولي اهتماماً خاصاً للأطفال من الأسر الفقيرة التي تكابد الصعاب، ويروج لفكرة أن التعليم هو حق للجميع، فقد عالج شؤون تربية الصغار السلوكية والأخلاقية والاجتماعية مؤكداً على تنمية العادات الفاضلة منذ الصغر، وأن

¹ عبد الرحمن شيبان: "من مآثر محمد بن عبد الكريم المغيلي جهاد من أجل الوحدة الإفريقية والوحدة الإسلامية"، (الجزائر، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، السنة الخامسة عشرة، عدد 88، يوليو/أغسطس 1995)، ص70.

² عبد القادر زبادة: "التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي بعض آثاره وأعماله في الجنوب الجزائري وبلاد السودان"، (الجزائر، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية، عدد 26، نوفمبر 1975)، ص204.

يتم تدريبهم وتعويدهم على الخصال الحسنة، وكم من طالب فقير تعلم من شيخه وأخذ مكانه بعد وفاته.

5. المنهج التربوي المتكامل: - التعليم والتزكية معا:

كان المنهج التربوي للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي يربط بين التعليم والتزكية الروحية. لا يكفي أن يتعلم الطلاب العلوم فقط، بل يجب أن يكون ذلك مصحوبًا بتربية على القيم والمبادئ الإسلامية التي تهدف إلى تحسين سلوكهم وأخلاقهم، "حتى لا تتحكم فيهم الأهواء وتجذبهم المغريات الدنيوية إلى الانزلاق في متاهة أنفسهم"¹. ومن خلال التجربة التي ترفع السالك في مدارجها، "وتطهير النفس من أردانها ومطباتها، ومحاربة آفاتها وشهواتها"². وكان يقول لطلبته "ألم تعلموا أنه لا فساد إلا بالجهل والعناد، وأنه لا صلاح إلا بالعلم والجهاد، ولذلك اجتهد شياطين الإنس والجن في صرف الناس عنها غاية الاجتهاد في كل البلاد"³.

¹ عادل خزام: الحياة بعين ثالثة، (الإمارات العربية المتحدة، كتاب مجلة دبي، دار الصدى، الإصدار 104، ط01، أبريل 2014)، ص330.

² شيماء بولفاني: "المقصد الإنساني للمحبة عند الصوفية ودورها في تفعيل التواصل الحضاري"، مقال ضمن أشغال الملتقى الوطني الخطاب الصوفي الإسلامي، قسنطينة 13/12 ديسمبر 2018، (الجزائر، مخبر الدراسات العقدية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، مطبعة ميهوبي، 2018)، ص11.

³ محمد بن عبد الكريم المغيلي: رسالتان في أهل الذمة الرسالة الأولى مصباح الأرواح في أصول الفلاح، دراسة وتحقيق: عبد المجيد الخيالي، (لبنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 2001)، ص101.

- إصلاح النظام التعليمي:

كان الإمام محمد بن عبد الكريم يسعى إلى تطوير النظام التعليمي وفق نظرة عميقة من المعرفة والإتقان كما أكدتها الأصول التربوية الحديثة، وكان يفضل الأساليب التفاعلية واكتساب أدوات النقد والتحليل والمقارنة والسعي للإقناع والاختناع ونجد ذلك بصورة واعية ومباشرة عنده بدلاً من أسلوب التلقين والحفظ والمعرفة النقلية، "فكان بذلك من أوائل الذين أحضروا المعارف الإسلامية في إفريقيا لمحك الحوار والنقاش، كما قام بتصحيح كثير من المفاهيم المغلوطة في أذهان العامة"¹.

6. المنهج العملي: التعليم بالممارسة

كان الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي يولي اهتمامًا خاصًا بالجانب التطبيقي في التعليم، حيث كان يعتقد أن العلم يجب أن يُطبق عمليًا في حياة المسلم اليومية ويتحول إلى سلوكيات. وكان يشجع الطلاب على العمل بالقيم والمفاهيم التي يتعلمونها في دراستهم. "ومن ثمَّ فإنه يعتبر من العلماء الذين يوظفون العلم في الواقع... وهذا هو الهدف الأسمى الذي كان يصبوا إليه، ومن ثمَّ لا يكون الانفصال الشكك بين القول والعمل"².

¹ محفوظ بن الصغير: "منهج الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في الفقه والفتوى"، ضمن كتاب الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي فقه السياسة والحوار الديني، أعمال ملتقى دولي بتلمسان يومي 06/05 فيفري 2012، (الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية، 2012)، ص203.

² مصطفى أحمد قنبر: "التكامل المعرفي وأثره في بناء شخصية المصلحين وصلقلها الإمام المغيلي نموذجاً"، ضمن كتاب أعمال الملتقى الدولي الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي الحوكمة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدها، ملتقى دولي بالجزائر العاصمة يومي 13/12 ديسمبر 2022، (الجزائر، منشورات وزارة الثقافة والفنون، ديسمبر 2023)، ص194.

7. التربية على التوازن: الاعتدال بين الجانب الروحي والمادي:

كان الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي يدعو إلى التوازن بين الاهتمام بالعلم الشرعي والعقلاني والتفاعل مع الحياة الاجتماعية بشكل إيجابي. وكان يرى أن المسلم يجب أن يعيش حياة متوازنة بين عبادة الله وتحقيق مصالح الدنيا.

وبهذه المفاهيم يكون المنهج التربوي عند الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي جامعاً بين الجوانب الدينية والأخلاقية والعقلية والاجتماعية. هدفه الأساسي هو تربية الأفراد ليكونوا صالحين في دينهم وأخلاقهم متعلقين بأهداب الصلاح كقيمة أخلاقية تدرج تحتها جميع القيم الأخلاقية الأخرى، وفي الوقت نفسه قادرين على التأثير إيجابياً في مجتمعهم. "وهو عمل فيه كل معاني المساهمة في دفع عجلة النهضة الوطنية إلى الأمام، وفي طريقها المستقيم نحو الاستقلال الذاتي عن كل تبعة للأجنبي مهما كانت هذه التبعية في مختلف أنواعها وأشكالها"¹.

خاتمة:

يمثل الإمام المغيلي قيمة مضافة في الثقافة الجزائرية وعلامة بارزة بين رواد الجزائر ورجالها من خلال الأبعاد المتعددة لفكره في الجوانب التربوية الإصلاحية وفي منازل الفلسفة ومدارج التصوف، وفي مقارنته للوحدة والسلام في إفريقيا في امتداته الإقليمية والدولية، وفي وساطته وإصلاحه بين الخصوم، ومن هنا يمكن حصر بعض جوانب فكره التربوي والتعليمي فيما يلي:

¹ محمد الطاهر فضلاء: دعائم النهضة الوطنية الجزائرية، (الجزائر، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة 1983)، ص 33.

- التركيز على التعليم الديني والعلمي: كان الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي يؤمن بأهمية التعليم، يمارسه بنشاط وحيوية ويراها عبادة، وخصوصاً تعليم القرآن الكريم. إضافة إلى ذلك، كان يُولي اهتماماً بالغاً لتعليم العلوم الشرعية من مصادرها ومظاهرها التي تساعد طلبة العلم على فهم شؤون حياتهم الدينية والاجتماعية.

- أهمية تكامل المناهج: أدرك الإمام المغيلي أن التعليم لا يقتصر على المواد الدينية فقط، بل يجب أن يشمل أيضاً العلوم الدنيوية مثل الرياضيات والفلسفة والمنطق مع ضرورة الاستثمار في هذه الحقول المعرفية. وكان يؤمن بأن طلبة العلم بحاجة إلى تطوير معرفتهم في مختلف المجالات لتعزيز قدراتهم العقلية والذاتية.

- الاهتمام بالمعلم: كان الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي يولي اهتماماً خاصاً بالمعلم بوصفه الفضاء المعرفي الأساسي الذي تتمركز عليه العملية التعليمية، معتبراً إياه حجر الزاوية بل راح يستثمر في طاقاته ويطورها ويذهب به إلى آفاق بعيدة. وكان يرى أن المعلم يجب أن يتحلى بالأخلاق الحميدة والقدرة على التأثير المنتج والممتد في طلابه بشكل إيجابي، بالإضافة إلى وجوب تمتعه بالمعرفة العميقة في المادة التي يقوم بتدريسها.

- التربية على الأخلاق والآداب: كانت التربية الأخلاقية جزءاً أساسياً من الفكر التربوي عند الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي. فهو يعتقد أن التعليم يجب أن يرتبط بتشكيل شخصية المتعلم الأخلاقية وتنمية الحس الاجتماعي لديه. وكان يشجع على غرس القيم الإسلامية في نفوس الطلبة. وأن يجمعوا بين الإدراك والوعي الذاتي والموضوعي.

- التعليم الجماعي والنهج التفاعلي: كان الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي يفضل التعليم الجماعي حيث يشجع على تبادل المعرفة بين الطلاب، مما يساعد على خلق

مساحات من التجاوب وإثراء النقاشات الفكرية والعلمية التي تقوي أواصر العلاقات الاجتماعية وتدعمها.

وعليه يعتبر الفكر التربوي والتعليمي عند الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من الفكر العميق الذي سعى إلى تأسيس جيل متوازن في دينه وعلمه وأخلاقه، آمنا في عيشه ومعيشته. فقد سعى إلى تحقيق تعليم شامل يعزز من قدرات طلبة العلم الفكرية والاجتماعية مما يعكس التفاعل المستمر بين التوجهات الدينية والاجتماعية في العصر الذي عاش فيه. كما قال "فلكل مقام مقال، ولكل خطة رجال، ولا قوة للسلاح إلا في أيدي الأبطال، وعلى ذلك فمقام النظر في التوحيد ثلاثة مقامات: مقام التعلم والتعليم، ومقام دفع نزغات الشيطان الرجيم، ومقام ردع المبتدعة على إفساد الصراط المستقيم"¹.

فإذا كانت هذه الصفحات قد رسمت خطوطا عريضة في تجربة تاريخية متميزة، فهي خلاصة للمكانة العلمية التي احتلها الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وللرصيد المعرفي الكبير الذي تركه رحمه الله.

¹ علال بوبريق: شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتراثه العلمي، (الجزائر، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، 2013)، ص315.

قائمة التوثيق البيبليوغرافي:

– المصادر:

- محمد بن عبد الكريم المغيلي: "أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي"، تقديم وتحقيق: عبد القادر زبادية، (الجزائر، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية، عدد 26، نوفمبر 1975).
- محمد بن عبد الكريم المغيلي: تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، (لبنان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1994).
- محمد بن عبد الكريم المغيلي: رسالتان في أهل الذمة الرسالة الأولى مصباح الأرواح في أصول الفلاح، دراسة وتحقيق: عبد المجيد الخيالي، (لبنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001).
- محمد بن عبد الكريم المغيلي: لب اللباب في رد الفكر إلى الصواب، تحقيق: أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، (لبنان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2006).
- محمد بن عبد الكريم المغيلي: مختصران في الفرائض، تحقيق: محمد شايب الشريف، (لبنان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2012).

– المراجع:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول، (لبنان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998).
- أبو القاسم سعد الله: أفكار جامعة، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988).
- بديع سيد اللحام: الإمام جلال الدين السيوطي العالم الموسوعي، عدد خاص، (سوريا، مجلة مجمع اللغة العربي، دمشق، عدد 4، أكتوبر 1992).

- بلخير هانم: "الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني التعريف والإشعاع"، (الهند، مجلة المدونة، مجمع الفقه الإسلامي، عدد 3، كانون الثاني 2015).
- خير الدين بن شترة: الفكر الإصلاحى والدعوى عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، (الجزائر، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، 2013).
- شيماء بولفاني: "المقصد الإنسانى للمحبة عند الصوفية ودورها فى تفعيل التواصل الحضارى"، مقال ضمن أشغال الملتقى الوطنى الخطاب الصوفى الإسلامى، قسنطينة 13/12 ديسمبر 2018، (الجزائر، مخبر الدراسات العقديّة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة، قسنطينة، مطبعة ميهوبى، 2018).
- عادل خزام: الحياة بعين ثالثة، (الإمارات العربية المتحدة، كتاب مجلة دبي، دار الصدى، الإصدار 104، ط1، أبريل 2014).
- عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، الجزء الثالث، (الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 2007).
- عبد الرحمن شيبان: "من مآثر محمد بن عبد الكريم المغيلي جهاد من أجل الوحدة الإفريقية والوحدة الإسلامية"، (الجزائر، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، السنة الخامسة عشرة، عدد 88، يوليو/أغسطس 1995).
- عبد العزيز فيلالي: الصلات الثقافية بين قسنطينة وتلمسان من ابن خميس إلى ابن باديس، (الجزائر، منشورات مؤسسة عبد الحميد بن باديس، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة 2020).
- عبد القادر بوعرفة: "مكانة المنطق فى مؤلفات عبد الكريم المغيلي"، ضمن كتاب أعمال الملتقى الدولى الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي الحكمة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدها، ملتقى دولى بالجزائر العاصمة يومى 13/12 ديسمبر 2022، الجزء الأول، (الجزائر، منشورات وزارة الثقافة والفنون، ديسمبر 2023).

- عبد الله النبهان: الإمام جلال الدين السيوطي سيرة مختصرة، عدد خاص، (سوريا، مجلة مجمع اللغة العربي، دمشق، عدد 04، أكتوبر 1992).
- علال بوبريق: شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتراثه العلمي، دراسة وتحقيق، (الجزائر، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، 2013).
- عمر بغداددي: "إسهامات الخطاب الصوفي في تفعيل القيم الإنسانية في المغرب الأوسط عبد الرحمن الثعالبي أنموذجاً"، مقال ضمن أشغال الملتقى الوطني الخطاب الصوفي الإسلامي، قسنطينة 13/12 ديسمبر 2018، (الجزائر، مخبر الدراسات العقدية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، مطبعة ميهوبي، 2018).
- مبروك مقدم: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد، (الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2006).
- محمد بن بريكة: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي فقه السياسة والحوار الديني"، تنسيق: أعمال ملتقى دولي بتلمسان يومي 06/05 فيفري 2012، (الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية، 2012).
- محمد بن شاوش رمضان والغوثي شقرون: إرشاد الحائرين إلى آثار الأدباء الجزائريين، المجلد الأول، (الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2011).
- محمد الطاهر فضلاء: دعائم النهضة الوطنية الجزائرية، (الجزائر، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة 1983).
- يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، الجزء الثاني، (لبنان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 1995).
- مصطفى أحمد قنبر: "التكامل المعرفي وأثره في بناء شخصية المصلحين وصقلها الإمام المغيلي نموذجاً"، ضمن كتاب أعمال الملتقى الدولي الإمام محمد بن عبد الكريم

المغربي الحكمة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدها، ملتقى دولي بالجزائر العاصمة يومي 13/12 ديسمبر 2022، الجزء الأول، (الجزائر، منشورات وزارة الثقافة والفنون، ديسمبر 2023).

– الموسوعات والمعاجم:

● أبو عمران الشيخ ومجموعة من الباحثين: معجم مشاهير المغاربة، (الجزائر، منشورات دحل، 2007).

– الدوريات:

- جريدة الخبر، (الجزائر، 10 جانفي 2023).
- مجلة الثقافة، (الجزائر، السنة 1، عدد 88، يوليو/أغسطس 1995).
- مجلة الأصالة، (الجزائر، عدد 26، نوفمبر 1975).
- مجلة المدونة، (الهند، عدد 3، كانون الثاني 2015).

– المواقع الإلكترونية:

1. <https://ar.wikipedia.org/wiki>

2. [https://binbadis.net /](https://binbadis.net/)

معالم الشخصية الحوارية عند الإمام المغيلي دراسة في الأفق الفكري والمنهجي

الأستاذ الدكتور عبد القادر بنجوش
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية-جامعة قطر

مقدمة

يُعد الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909 هـ / 1503 م) علماً من أعلام الفكر الإسلامي في الغرب الإسلامي خلال القرنين 15 و16م، وواحدًا من الشخصيات الفذة التي جمعت بين العلم والعمل، وبين الفقه والاجتهاد، وبين الحزم والحكمة. وإذا كانت معظم الدراسات التي تناولته ركزت على فتاواه السياسية أو دوره في قضايا أهل الذمة، فإن بُعد الحوار، بما ينطوي عليه من فكر تواصل، ومنهج جدلي رصين، ما يزال في حاجة إلى مزيد من البحث والتأمل.

لقد كان الإمام المغيلي شخصية حوارية بامتياز؛ فلم يحصر جهوده الدعوية في دائرة عامة للمسلمين فحسب، بل تجاوزها إلى الحوار مع الحكام، والطوائف الدينية المختلفة، وعلماء المذاهب، بل حتى مع المخالفين في الدين. وتمتاز تجربته الحوارية بأنها جرت في سياقات سياسية واجتماعية ودينية فارقة، مما يمنحها اليوم راهنية كبرى، في زمن تتعاضم فيه الحاجة إلى نماذج إسلامية أصيلة تكرس ثقافة الحوار الجاد، المرتكز إلى أصول الإسلام الراسخة.

إشكالية البحث:

على الرغم من الأهمية البالغة التي يحظى بها هذا البُعد في فكر الإمام المغيلي، فإن الدراسات التي تناولت فلسفته الحوارية وإسهاماته في ترسيخ قيم التعايش لا تزال نادرة، إن لم تكن غائبة تماماً.

ينطلق هذا المقال من الإشكالية التالية: إلى أي مدى يمكن اعتبار الإمام المغيلي واحداً من رواد الحوار وبناء ثقافة التعايش في الفكر الإسلامي الوسيط؟ وما الأسس النظرية والعملية التي استند إليها في صياغة منهجه الحوارية؟ وكيف يمكن الاستفادة من تجربته اليوم في مواجهة التحديات الراهنة التي تعترض مسار الحوار بين الأديان والحضارات؟

أهداف البحث:

- إبراز مكانة الإمام المغيلي كشخصية حوارية فذة في السياق الإسلامي الوسيط.
 - تحليل أسس منهجه الحوارية وأدبياته.
 - بيان إسهام المغيلي في بناء ثقافة التعايش والتسامح في ظل الظروف العصيبة التي طبعته زمنه.
 - مناقشة ما أثير حول فتاواه المثيرة، مثل نازلة يهود توات، في ضوء فهم شمولي لفلسفته في الحوار.
 - اقتراح سبل الاستفادة من فكره الحوارية في السياقات المعاصرة.
- تكاد الساحة الأكاديمية تفتقر إلى دراسات متخصصة حول فلسفة الحوار عند الإمام المغيلي؛ إذ اقتصرَت الأبحاث القائمة في الغالب على دراسات تاريخية عن شخصه، أو على معالجة نازلة يهود توات بمعزل عن الإطار الحوارية الأوسع لفكره. لذلك يحاول هذا المقال سد هذه الثغرة، عبر تقديم قراءة شاملة ومتكاملة لفلسفة الحوار في مشروع الفكرية.

يعتمد البحث على منهج تحليلي نقدي قائم على:

- تحليل النصوص الأصلية للإمام المغيلي بما في ذلك الفتاوى والرسائل والمناظرات.
- دراسة السياق التاريخي والاجتماعي الذي تشكل ضمنه فكره الحوارية.
- تحليل الإشكالات التي أثرت حول نازلة يهود توات في ضوء تصور شامل لمنظومته الحوارية.

خطة البحث:

المقدمة

المبحث الأول: الإمام المغيلي وشخصيته الحوارية

أولاً- سيرة الإمام المغيلي بين العلم والعمل

ثانياً- مكونات الشخصية الحوارية في فكر المغيلي

ثالثاً- شهادات عن نزوعه الحوارية

المبحث الثاني: أسس الحوار والتعايش عند الإمام المغيلي

أولاً- الحوار وسيلة لتحقيق التعارف وبناء العلاقات

ثانياً- الأفق المعرفي المتكامل

ثالثاً- الإحاطة بمعرفة حيثيات الواقع وتداعياته

رابعاً- آداب الحوار ومنهجية التواصل

خامساً- بين الحزم والمرونة: التوازن بين حفظ وحدة الجماعة والحوار مع الآخر

الخاتمة

المبحث الأول: الإمام المغيلي وشخصيته الحوارية

أولاً-سيرة الإمام المغيلي بين العلم والعمل

سطع نجم الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (791هـ/1388م-962هـ/1554م) في سماء القرن التاسع الهجري، كواحد من أعلام الجزائر الكبار، وفلته من فلتات الزمان، يُشار إليه بالبنان، ويُفخر به بين الأنام، فلم يترك علماً ولا فناً إلا وترك فيه أثراً وامتلك فيه قدماً راسخة¹.

كان المغيلي من القلائل الذين جمعوا بين العلم والعمل، وبين القول والفعل، وبين التنظير والتطبيق، وسخر معارفه في خدمة مشروع إصلاح اجتماعي شامل، ولم يكتفِ بالدعوة إلى الإصلاح من خلال الكتابة والفتوى، بل انتقل من التنظير إلى التطبيق العملي، حاملاً مشروعته في التحوال والترحال بين الأمصار، ساعياً إلى تفعيل نظم اجتماعية وسياسية تنهض بالمجتمعات التي زارها.

لم تقتصر جهود الإمام المغيلي الإصلاحية على مجتمع معين، بل كانت عابرة للحدود، ممتدة إلى مجتمعات شتى في غرب إفريقيا وشمالها، حيث عُرف بصلاته الواسعة مع الأمراء والسلاطين، والعلماء والفقهاء، وعامة الناس على السواء. اتسم الخطاب الإصلاحية للإمام المغيلي بالشمولية، إذ حُصِّص لكلٍّ من دوائر السلطة والقاعدة الشعبية، مع نجاحه في إرساء جسور حوار بناء مع مختلف الفاعلين الدينيين والسياسيين.

¹ عبد القادر رباحي، الإمام المغيلي: عصره وحياته، دراسة تاريخية، تحليلية وتوثيقية (تلمسان: منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011)، ص 27.

وقد حظي الإمام المغيلي باحترام وتقدير واسعين من قبل المؤسسات الدينية والسياسية في الغرب الإسلامي خلال عصره. أثارت فتاواه ونوازله المتنوعة نقاشاً علمياً واسعاً، وأحدثت حراكاً فقهياً وسياسياً لم يقتصر تأثيره على زمانه، بل امتد ليصل إلى يومنا هذا، حيث لا تزال آثاره الفكرية تتردد في الأوساط العلمية والدينية¹.

إن الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي يُعد من الشخصيات التي يمكن الرهان عليها في مشاريع الحوار الديني والحضاري المعاصرة؛ إذ يمتلك فكراً حوارياً عميقاً يمكن الاستفادة منه في بناء أطروحات معاصرة تركز على قيم التواصل والتفاهم والتعايش.

ثانياً- مكونات الشخصية الحوارية في فكر المغيلي

1- الجرأة الفكرية والانفتاح الثقافي

برزت شخصية الإمام المغيلي الحوارية في جرأته على التعبير عن الرأي بوضوح، دون تردد أو مجاملة، مقرونة باستعداد راسخ لمناقشة الرأي الآخر بالحجة والبرهان. لم يكن يتوانى عن مخالفة ما هو سائد، ولا عن رفض التيارات الفكرية التي لم يقتنع بها. وقد شكّلت هذه الجرأة الفكرية عنصراً محورياً في قدرته على قيادة الحوار داخل بيئات فكرية ودينية متنوعة.

برز هذا الجانب خلال مقامه في مملكة كانو، حيث تولى القضاء والإفتاء إلى جانب كونه مستشاراً مقرباً للسلطان محمد بن يعقوب رمفا. وهناك كتب رسائل إصلاحية ذات طابع سياسي واضح، من بينها: «تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين».

¹ عبد القادر بخوش، قيم السلام والعيش المشترك: مقاربات في فتاوي الإمام المغيلي ونوازله"، في ملتقى الجزائر الدولي: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909 هـ)، الحوكمة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدها، الجزائر، 12-13 ديسمبر 2022، ج 2، ص 39.

لم يتوانَ في هذه الرسالة عن تذكير السلطان بأن الحكم أمانة عظيمة ومسؤولية أمام الله، مؤكداً أن العدل هو أساس الحكم بقوله الواضح: "لا ملك بلا عدل". إلى جانب ذلك، قدّم تصوراً عملياً لإدارة شؤون الدولة يقوم على اختيار الكفاءات، وتنمية موارد الدولة بعيداً عن الظلم. لقد كان في مخاطبته للحكام يجمع بين الجرأة في الطرح والإخلاص في النصيح، وهو ما يعكس تكوينه الأخلاقي العميق وفهمه لمقاصد الحكم في الإسلام.

أما في ساحة الحوار الفكري والنقاش العلمي، فقد أظهر الإمام المغيلي سعة أفق عقلي نادرة في مراسلته الشهيرة مع الإمام جلال الدين السيوطي حول علم المنطق، وفي هذا الحوار، واجه المغيلي تياراً قوياً كان يعتبر المنطق علماً أجنبياً غير مشروع، ممثلاً في موقف السيوطي، إلا أن المغيلي، دون تهيب، جادل بأن المنطق أداة عقلية نافعة لفهم الحقائق والتمييز بين الصواب والخطأ، قائلاً في قصيدته:

خذ الحق من كفورٍ ولا تقم دليلاً على شخصٍ بمذهب مثله¹.

جاء جواب السيوطي إلى الإمام المغيلي في صياغة شعرية تعبّر عن تقديره لفكره ومقامه العلمي، مما يعكس أيضاً احترامه لنزوعه الحوارية وروحه العلمية. يقول السيوطي:

حمدتُ الله العرشَ شكرياً لفضله وأهدى صلاةً للنبيِّ وأهله

عجبتُ لنظمٍ ما سمعتُ بمثله أتاني عن حبرٍ أقرُّ بفضله².

¹ أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديقاج، تحقيق علي عمر (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، 1423هـ / 2004م)، ج 2، ص 267.

² المرجع نفسه والصفحة.

تُظهر هتان البيتان بوضوح المكانة العلمية العالية التي كان يتمتع بها الإمام المغيلي في نظر السيوطي، كما يُبرزان تقدير السيوطي لأسلوبه الحوارية ومنهجه في عرض الأفكار؛ إذ يُثني على جودة النظم والطرح الذي بلغه المغيلي في خطابه.

لقد دلّ هذا الموقف على عدة معالم أساسية في شخصية المغيلي:

- نبذ العصبية الفكرية: اعتبر أن الحق لا يُرفض بسبب مصدره.
 - الجدل بالحسنى: خاطب السيوطي بأدب جمّ، بعيداً عن الشخصية أو الهجوم.
 - المنهج البرهاني: قدّم حججه وفق مسار عقلي ومنهجي متين.
- من خلال هذا الحوار، جسّد الإمام المغيلي شخصية فكرية مستقلة، تجمع بين احترام الآخر والثبات على الرأي المؤسس على العقل والشرع.

2- الحنكة السياسية والالتزام بأخلاقيات الحوار

إلى جانب الجرأة الفكرية، تميز الإمام المغيلي بقدر رفيع من الحنكة السياسية، وهي التي مكنته من ممارسة الحوار مع الحكام والسلاطين بطريقة فعالة. لم يكن واعظاً متشدداً يكتفي بإلقاء المواعظ من بعيد، ولا كان متملقاً يسعى إلى مرضاة السلطان، بل كان يوازن بين الصدق في النصح والحكمة في الأسلوب.

تشهد رحلة الإمام المغيلي في ربوع إفريقيا الغربية على نزوعه الحوارية العميق، فقد كان رجلَ فكرٍ وتواصل بامتياز، حمل مشروعه الإصلاحية إلى مناطق بعيدة ومتنوعة خلال فترة وجيزة لم تتجاوز على الأرجح عشرين عاماً.

لم يكن المغيلي مكتئباً بتوجيه الفتاوى أو إصدار الأحكام من بُعد، بل فضّل اللقاء المباشر والنقاش الثمر مع مختلف الفاعلين في المجتمعات التي زارها. فقد تنقّل بين ممالك مثل

أير، تكدة، أغادس (حيث أسّس مسجد الكرامة الشهير)، كشنا، كانو، وسنغام، منفتحًا على بيئات ثقافية واجتماعية متنوّعة.

وأهم من ذلك، أقام حوارات معمّقة مع كبار الأمراء والحكام، من بينهم محمد بن يعقوب، حاكم كانو، ومحمد أسكيا، حاكم سنغام. لقد كانت لقاءاته مع هؤلاء القادة فرصة لتبادل الرؤى وتوضيح مقاصد الشريعة، وتصحيح المفاهيم، بالحكمة والموعظة الحسنة. إنّ هذا الانفتاح على الحوار المباشر مع مختلف الفئات، وسعيه الدائم إلى تقريب الفهم وتبديد الشبهات، يؤكّدان أنّ الإمام المغيلي كان بحقّ رجل حوار من الطراز الأول في عصره¹.

في تعامله مع ملوك غرب إفريقيا، وخصوصاً السلطان محمد أسكيا، اعتمد المغيلي منهجية واضحة في حواراته ومراسلاته:

- تقديم النصح القائم على الشرع والعقل.

- الدعوة إلى العدل والإحسان كأساس للحكم.

- تصحيح المفاهيم المغلوطة المنتشرة في المجتمع.

يقدم كتاب أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي مثلاً رفيعاً على هذا الأسلوب الحوارى الراقى؛ إذ نجد الإمام المغيلي يجيب عن أسئلة السلطان المتعلقة بمسائل عقديّة وفقهيّة، موضحاً الأحكام الشرعيّة بدقّة، ومبرزاً في الوقت ذاته مخاطر بعض الممارسات المنحرفة، كعبادة الأصنام وتعظيم الأشجار.

¹ أحمد جعفري، "حوار الإمام محمد بن عبد الكرم المغيلي (ت 909هـ) مع ملوك وأمراء غرب إفريقيا وأثره في حركة الفتح الإسلامي إفريقيا"، الفضاء المغاربي، المجلد 4، العدد 1 (سبتمبر 2020م / صفر 1442هـ)، ص 10-12.

ما يميز هذا النموذج الحوارى هو أن المغيلى:

- لم يقع فى فخ التشدد أو التهديد.

- لم يغفل مراعاة ظروف المجتمع.

- اعتمد منهج التدرج والإقناع فى الإصلاح.

أدرك المغيلى أن الحوار مع السلطة يحتاج إلى لغة حكيمة تجمع بين الحزم واللين، بين النصح والموعظة. ولهذا قال فى إحدى رسائله: "رأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية".

فى هذا القول يتجلى إدراكه العميق لخطورة العزلة السياسية، وضرورة التواصل المستمر بين الحاكم والمحكوم.

لقد استخدم المغيلى الشعر والأدب وسيلة لتعزيز أثر خطابه، مما يدل على بعده الإنسانى والأدبى، كما لجأ إلى الرسائل المكتوبة حين تعذر اللقاء المباشر، مما يعكس مرونة منهجه فى نشر الفكر الإصلاحى.

لقد شكّل الحوار، بكل أبعاده، عنصراً أساسياً فى الحياة العلمية والدعوية للإمام المغيلى. منطلقاً فى ذلك مما دلّت عليه النصوص القرآنية، التى طالما استشهد بها فى كتبه وخطابه، وأعاد التأكيد عليها فى أكثر من موقف، ومن بين هذه الآيات قوله تعالى:

(فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً) (النساء: 59)، وقوله عزّ وجلّ: (ولكن منكم أمة يدعوون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون. ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات، وأولئك لهم عذاب عظيم) (آل عمران: 104-105).

لقد شكّلت هذه النصوص مرجعية دائمة في فكر الإمام المغيلي، حيث كانت تتردّد على لسانه وفي كتاباته في مواطن عديدة، مؤكّدةً إيمانه العميق بالحوار كسبيل لتجاوز الخلاف، ونشر الحق، وتحقيق الإصلاح¹.

3-شهادات عن نزوعه الحوارى

أسهمت فتاوى الإمام المغيلي ونوازله في ترسيخ صورته كشخصية حوارية فريدة في عصره؛ شخصية تميّزت بقدرتها على الموازنة بين العلم والعمل، وبين التأصيل والاجتهاد، وبين الثبات في المبادئ والانفتاح في التواصل. لم يكن الإمام المغيلي فقيهاً مغلقاً على محيطه الضيق، بل كان رائداً في نشر ثقافة الحوار والاجتهاد المشترك، سواء في علاقته بالفقهاء والعلماء أو في محاوراته مع الساسة وأهل السلطة.

برز في شخصيته مبدأ الحوار والاستشارة، ليس كوسيلة ظرفية، بل كخيار منهجي أصيل؛ إذ كان يرحل في طلب المناظرة، ويقيم الجدل البناء بالحجج والبراهين، ويرى في الحوار وسيلة للتقويم والإصلاح. وقد بلغه من خلال ذلك منزلة رفيعة بين علماء عصره.

شهد له بالتفوق والتميز في الحوار والمناظرة جمعٌ عظيم من كبار العلماء، لما تفرد به من جرأة في التعبير عن الرأي، وبراعة في إفحام الخصوم بالحجة والبرهان، سواء شعراً أو نثراً.

قال عنه صاحب البستان:

"كان رحمه الله مقداماً على الأمور، جسوراً، جريء القلب، فصيح اللسان، محباً في السنة، جديلاً، نظاراً، محققاً، له تأليف¹."

¹المرجع نفسه، ص 13

وقد عبّر الدكتور خير الدين شترة عن عمق النزعة الحوارية المتجذرة في شخصية الإمام المغيلي بقوله:

"لقد شكّلت حياة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي نواةً لحركة حوارية واصطلاحية حقيقية في حياة كثير من الشعوب والأفراد، وامتد صداها داخل وخارج وطنه تلمسان، عربياً وإفريقياً، كما تحدثت عن ذلك كثير من المصادر والمراجع الإسلامية. لقد استطاع الإمام بمنهجه في الحوار أن يعطي لنفسه مكانة عظيمة، أصبح معها اسمه عند الأفارقة خصوصاً مقروناً بلقب الإمام، وباتت كتبه مدرسة روحية تربي عليها العديد من علماء القارة، فكان بذلك من أوائل الذين أخضعوا المعارف الإسلامية في إفريقيا لمحك الحوار والنقاش"².

من خلال هذه الشهادات، يتبين بوضوح أن الإمام المغيلي لم يُعرف بعلمه وفقهه فحسب، بل عُرف كذلك بصفته شخصية حوارية مقنعة، قادرة على اقناع العقول واستمالة القلوب، وقدرة فائقة في بناء جسور التواصل مع الفقهاء والعلماء والحكام. إن غنى تجربته في الحوار، وثرأ أسلوبه في النقاش، كما تبدو في نوازه وفتاويه، تقدم لنا نموذجاً رائداً في فقه الحوار الإسلامي الأصيل؛ نموذجاً يمكن استخلاص أسسه ومبادئه واستلهاها في معالجة كثير من قضايا الحوار والتعايش في عالمنا المعاصر.

¹ خير الدين شارة، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، المصلح الناصر وفكره الإصلاحية في توات والسودان الغربي (تلمسان: منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011)، ج 2، ص 389، نقلاً عن ابن مريم، البستان، ص 250-251.

² خير الدين شترة، المرجع السابق، ج 2، ص 340

المبحث الثاني-أسس الحوار والتعايش عند الإمام المغيلي:

يمثل الحوار والتعايش، في منظور الإمام المغيلي، أداة محورية لتعزيز التعارف والتقريب بين مختلف الأطراف، بما يشمل تنوع الآراء والمواقف والخيارات داخل المجتمع، ويمكن التركيز على أبرز هذه الأسس كما يلي¹:

أولاً-الدعوة إلى التعارف والتواصل بين الناس:

وهذه دعوة قرآنية في ضوء قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا). (سورة الحجرات، آية 13)

جسد هذه القيمة القرآنية الإمام المغيلي في حله وترحاله، فقد تواصل مع كل أطراف المجتمع المختلفة من الأمراء والملوك والساسة والعلماء والفقهاء إلى عامة الناس، وكان له الأثر البارز في نشر قيم الألفة والتعايش.

لقد تواصل الإمام المغيلي بالأمراء والحكام امتثالاً لما أثر عن السلف وما نقله الإمام النووي-رحمه الله-في قوله: "أما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتآلف قلوب الناس لطاعتهم"².

لقد استشعر الإمام المغيلي بحالة الفوضى والضعف والهوان التي يجيها العالم الإسلامي في الغرب بعد أن توالى عليه المحن وضعفت شوكته وتكالب عليه الأعداء الصليبيون، لقد أدرك الإمام الحاجة لإمارة إسلامية تقوي شوكة المسلمين للذب عن الإسلام في مواجهة العدوان.

¹عبد القادر بخوش، المرجع السابق، ص 51-61

²يحيى بن شرف النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط 2 (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1392هـ / 1972م)، 2: 227.

مسألة إقامة السلطة السياسية من الأساسيات الدينية التي لا خلاف حولها عند علماء الأمة حتى إن كثيرا منهم جعلها في صميم كتب العقائد¹، فمن الثابت أن المسلمين لا يستقيم أمرهم إلا بولاية تحقق فيهم مقاصد الدين.

كتب الإمام المغيلي مؤلفات عدة بسط فيها مناظراته وقناعاته السياسية، منها: أجوبة المغيلي عن أسئلة الأمير الحاج محمد الأسكيا وتاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين".

مما يجدر التنبيه إليه أنّ الإمام المغيلي يكرّر، في مواضع متعددة من كتاب تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، عبارته الشهيرة: -رأس كل بلية احتجاج السلطان عن الرعية.² - تختزل هذه العبارة جوهر مشروعه الحوارية الذي كرّس له جهوده، وعمل على ترسيخه في بنية الفكر السياسي والاجتماعي. وهي تعبّر عن روح حوارية تواصلية حاضرة في خطابه، إذ يحدّث باستمرار الساسة والأمرء على فتح قنوات التواصل مع الرعية، والاستماع إلى شكاوى الفئات المستضعفة، ولا سيما النساء، والأطفال، والأيتام.

ثانيا- الأفق المعرفي المتكامل:

تكشف ردود الإمام المغيلي على الأسئلة الواردة إليه عن أفق معرفي متكامل، يجمع بين التعمّق في العلوم الشرعية والعقلية، وبين إدراك دقيق لواقع المجتمعات، وهو إدراك تشكّل في

¹ سعد الدين التفتازاني، شرح المقاصد في علم الكلام، ط 1 (بيروت: عالم الكتب، 1989)، ج 5، ص

² محمد بن عبد الكريم المغيلي، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، تحقيق نوال صليبا (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988)، ص 17 .

جزء منه عبر تجربة الرحلة والترحال، التي أغنت رصيده المعرفي ومنحته رؤية موسوعية متعددة الأبعاد.

لقد ألف الإمام المغيلي مؤلفات عدة في قضايا الدين وشؤون الرعية؛ من بينها مجموعة "في أمور الإمارة وسياسة الدولة" التي ألفها لأمير كانو. كما أرسل للأمير رمفا محمد بن يعقوب رسالة تتضمن وصية ما يجوز للحاكم من ردع الناس عن الحرام. ثم لبث مدة عند السلطان محمد بن أبي بكر الثوري وألف له "أجوبة عن أسئلة كثيرة" وجهها له، وهي المجموعة التي عرفت باسم أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي، استند عليها الأسكيا في توطيد دعائم إمارته والتصدي لخصومه بالحجة الشرعية، كما خطت أنامله الشريفة سفر الأرواح في ميزان الأرباح أضاف إليه فيما بعد في السياق نفسه "رسالة حول فيما يجب للحكام في ردع الناس عن الحرام" وهي تعنى بضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم.¹

طاف الإمام المغيلي مدناً بعيدة وبلداناً عديدة في أرجاء الفياثي والصحراء، عابراً مختلف ربوع الغرب الإفريقي خلال رحلته العلمية والدعوية. وقد شملت هذه الرحلة لقاءات حوارية مع عدد من الأمراء والملوك، تناولت شتى ميادين العلوم والفنون، لا سيما حواراته مع الأمير محمد بن يعقوب، حاكم مملكة كنو، والأمير الحاج محمد أسكيا، حاكم مملكة سنغاي.²

حظي الإمام المغيلي بترحيب كبير من قِبَل الملوك والأمراء، الذين أنزلوه منزلة العلماء الأجلّاء؛ وهي منزلة لم يُكتب لعالمٍ آخر من معاصريه أن ينال مثلها من حيث التكريم والإجلال. وإلى جانب حواراته مع الأمراء والملوك، انفتح المغيلي على مجالس العلماء والفقهاء، فناقشهم في مسائل شتى، وأقام معهم حوارات علمية معمّقة. كما تواصل مع

¹ خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 390-391

² خير الدين شيرة، المرجع السابق، ج 2 ص 337. وأحمد جعفري، المرجع السابق، ص 5-18.

علماء وسلاطين فاس، وعلماء تونس، والحجاز، والأستانة، ملتمساً المشورة فيما أصدره من فتاوى، ولا سيما تلك المتعلقة بالنازلة الشهيرة الخاصة بكنائس وأديرة اليهود.

ويتضح تكامله المعرفي وإحاطته بشتى أنواع الفنون والعلوم جلياً عند تبنيه النظر العقلي في ردوده على الأسئلة التي تطرح عليه، فظل يدعو إلى تهذيب الذهن بالمنطق، فقد عدّه علم التعبير عن الحق وتحقيقه، والاستدلال على الأفكار والبرهنة على الاستدلال. لقد برع في المناظرة والمحاورة، وأبان عن علم غزير وذكاء حاد وفطنة واسعة في مقارعة الحجة بالحج¹، وفتواه ومحاورته وردّه على الإمام جلال الدين السيوطي في نفيه الاشتغال بعلم المنطق، ومؤلفاته الفريدة شاهدةٌ بعلوّ كعبه في المنطق والعلوم العقلية، من أشهرها كتاب: "منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب".

وفي ثنايا ردّه على الإمام جلال الدين السيوطي، تتجلى لدى الإمام المغيلي رؤية رحبة لعلم المنطق، منفتحة على سائر العلوم العقلية؛ إذ عبّر عن موقفه بعبارة بليغة: «لكن من جهل شيئاً عاداه» ويرى المغيلي أن التمكن من علم المنطق وامتلاك ناصيته يُعدّ ضرورةً ملحة لإحكام البرهان وصياغة الحجة في سياق الحوار، معوّلاً عليه في إقناع الخصم عبر إظهار الدليل والبرهان، لا سيما عند الحوار مع غير المسلمين، حيث يقتضي الأمر التزام منهج المجادلة بالحسنى، استناداً إلى قوله تعالى «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن سورة» العنكبوت: 46.

أما في المقابل، فقد تبنى جلال الدين السيوطي موقفاً متشدداً بتحريم علم المنطق والنهي عن التعامل به، باعتباره علماً وافداً من ثقافات غير إسلامية، غير أن الإمام المغيلي انبرى

¹ خير الدين سيرة، المرجع السابق، ص 547.

للرد عليه، مدافعاً عن مشروعية الاستفادة من هذا العلم، ومؤكداً أن الحق هو المعيار لا الأشخاص الذين يشتغلون به؛ بل إنه لا يرى حرجاً في الأخذ بأصح العلوم ولو من غير المسلم. وقد نظم في هذا المعنى شعراً يؤكد فيه موقفه الفكري الراسخ قائلاً:

هل المنطق المعني إلا عبارة الحق أو تحقيق حين جهله

إلى أن يقول:

ودع عنك ما أبدى كفور وذمة رجال وإن أثبت صحة نقله.

خذ الحق حتى من كفور ولا تقم دليلاً على شخص بمذهب مثله.

عرفناهم بالحق لا العكس فاستبن به لا بهم إهم هداة لأجله.¹

ويتضح من رد الإمام المغيلي بأنه لا يرى مانعاً من دراسة علوم الآخر المخالف؛ بما فيها المنطق وعلوم الأديان والملل والتي خالفه فيها الإمام السيوطي؛ لذلك كان للشيخ تأثير كبير في المدعويين، فأسلم بتأثيره خلق كثير خصوصاً من افريقيا الوثنية².

انطلاقاً مما تقدم، يتضح أنّ الإمام المغيلي يدعو، بصورة ضمنية وصريحة في آنٍ واحد، إلى إحياء علمٍ لطلما أدى دوراً محورياً في الحوار والتعايش مع الآخر، وهو علم الملل والنحل، الذي يُعرف في الدراسات المعاصرة بعلم مقارنة الأديان. وهو علم إسلامي أصيل بدأ، مع مرور الزمن، يتراجع حضوره في ساحة العلوم الإسلامية، رغم كونه كان فيما مضى من مفاخر الحضارة الإسلامية.

¹ الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني: مناقب وآثار، مدونة نازلة يهود توات، تحقيق مقدم مبروك (تلمسان: وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011م)، ص

105، نقلاً عن مخطوطة فصل الخطاب في رد الفكر للصواب، ص 2.

²خير الدين شترة، المرجع السابق، 387

ثالثاً-الإحاطة بمعرفة حيثيات الواقع وتداعياته:

ليس الخبر كالعيان كما يقول البيروني في مقدمة كتابه النفيس تحقيق ما للهند من مقولة¹؛ لأنّ العيان هو إدراك عين الناظر عين المنظور إليه في زمان وجوده وفي مكان حصوله، هذا ما طبقه الإمام المغيلي بعينه؛ فإلى جانب الاستشهاد بالأخبار والقصص الواعية، وإيراده لأخبار ومرويات كثيرة تمخضت في إصدار أحكاما وفقها. ويمكن الاكتفاء بالتدليل بالعيان والمحاوره حين حلوله بإقليم توات أين أبصر اليهود حينها قد أحكموا سيطرتهم في كل شارة وواردة من أمور حياة أهل توات، إلى جانب تمردهم على كثير من الأحكام الشرعية وهو ما رأى فيه الإمام خروجهم عن صفة الذمي.

وتبين من خلال نوازله وفتاويه معرفته بأوضاع الغرب الافريقي خاصة واطلاعه الواسع بأحوال الناس وعاداتهم وتقاليدهم. وليس غريبا عليه ذلك، فقد ظل الإمام وخلال مسيرته حياته متنقلا بين ملوك الأمة وأمريتها ناصحا ومرشدا ومفتيا متخذنا في ذلك المعاينة والتواصل المباشر مفتاحا أساسيا لباب دعوته.²

يقول الأستاذ الدكتور أحمد جعفري: "وفي معرض رد الإمام على سؤال الأمير تتجلى لنا شخصية الإمام المغيلي الغيورة على دينها من جهة والمراعية لأوضاع العصر والناس من جهة أخرى، آخذنا مبدأ قاعدة أخف الضررين، فهو وإن أفتى له بالجهاد نصره لدين الله إلا أنه نبهه إلى قضية جوهرية في علاقة الحاكم بالمحكوم، حيث قال: وإن لم تستطع أن تزيل ظلمه عن المسلمين إلا بمضرة عليهم، فقد تعارض هنا ضرران فاحذر تغيير منكر بمنكر مثله، أو

¹ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، تحقيق د.أبو الخير نوري (بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1993)، ص. 5.

² خير الدين شترة، المرجع السابق، ج2، ص 364-347

أعظم منه فتشبت هاهنا، وارتكب أخف الضررين لأن ارتكاب أخف الضررين قاعدة مشهورة وسنة مأثورة".¹

تضمنت رسائله ووصاياه للأمرء والسلاطين دعوة صريحة لإصلاح الأوضاع الاجتماعية والسياسية وطبعها بالطابع الإسلامي إذ أوصى سلطان كانو قائلاً: "وامنع جميع أهل بلدك عن جميع أنواع الشرك وكشف العورات".²

رابعا- آداب الحوار ومنهجية التواصل:

كان الإمام المغيلي عالماً فذاً، متحلياً بأدب جمٍّ، وإصلاحياً واعياً بأمراض المجتمع الإسلامي وعلله. كترس حياته لكشف مواطن الخلل ومحاربة البدع وأوجه الفساد، مجاهراً بالحق دون أن تأخذه في الله لومة لائم. وقد كان تحركه في هذا المسار مدفوعاً بإيمان راسخ، وعلم رصين موروث، ونباهة متأصلة.

سلك في حواراته مسلك الأنبياء والمرسلين في الأخذ بالحكمة والموعظة الحسنة، ولشجاعته المطبوعة حُظي بترحاب بالغ من قبل الأهالي والحكام تقديراً لعلمه والصدع بالحق وعدم المداهنة بالنصح، فألف رسائل متعدد في شؤون الدين وإصلاح الرعية؛ منها، مجموعة في أمور الإمارة وسياسة الدولة التي ألفها لأمير كانو.³

لقد كان يستهل خطابه للأمرء بعبارات لطيفة تستهوي المخاطب وتستميله، يقول في إحدى خطابته لأمير من الأمرء: "فتوكل على الله واستعن في أمرك كله بالله، وليكن عملك

¹ أحمد جعفري، المرجع السابق، ص 11.

² محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مدونة نازلة يهود توات، تحقيق مقدم مبروك (تلمسان: وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011م)، ص 250-251.

³ خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 390.

كله لوجه الله فليكن طمعك كله في الله وخوفك كله من الله وهمك كله في مصالح خلق الله واشكر نعمة الله عليك وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تقنط من رحمة الله".¹

وكانت لغة الإمام المغيلي في التأليف والتدريس والمحاورة لغة سليمة، وأسلوبه من نوع السهل الممتنع، وأدبه متأثراً بالقرآن الكريم والسنة المطهرة وشعره لا تكلف فيه، وهو يقول الشعر بسليقته.² إن مظهر عبارات المغيلي تتغير بين والحين والآخر، فهي أحيانا جملة أخاذة أو نتف من خطبة موجزة ولكنها على كل حال موافقة لمقتضى المقال.³

يوضح الدكتور خير الدين شترة السياق اللغوي الذي أفرغ فيه الإمام أحكامه قائلًا: "يحاول تكثيف أفكاره في حكم وصيغ موجزة دون التضحية بالفكرة في سبيل المبنى فأسلوبه في حكمه وأمثاله أنيق و شيق، إذا تأمل الباحث ألفاظه، ألقاها جزلة قوية منتظم في جمل متجانسة متألفة كقوله (الكرم روح السلطنة والبخل نفس الشيطنة) وفي هاتين الجملتين تجد ثلاثة أنواع من المحسنات، أولها لزوم مالا يلزم ويتحلى في مقطع المكرر في آخر الفاصلتين، وثانيهما المماثلة اللفظية بين لفظي السلطنة والشيطنة، وهما لفظان تقابلا في جملتين تشكلا روحا واحدا بهذا الأسلوب، وثالثهما الجناس الناقص بين لفظي السلطنة والشيطنة"⁴.

وعندما تقرأ ما كتبه المغيلي تجد كلامه خالصا مما يشوبه من الزيادات والإطناب الممل، ففي المفرد تجد الحروف غير متنافرة متناسقة خالية من الغرابة ولا تجده يستعمل الكلمات

¹ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت 903هـ/1503م)، "رسالة المغيلي إلى سلطان كانو :تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين"، تحقيق محمد فرقاني، مجلة عصور (جامعة وهران، الجزائر)، المجلد 5، العدد 2 (2006م)، ص 189.

² خير الدين شترة، المرجع السابق، ج 2، ص 360

³ المرجع نفسه، ص 393

⁴ المرجع نفسه، ص 395

المتناهية في الثقل على اللسان والعسيرة عند النطق بها، قال المغيلي: " لو أنك اطلعت على حبيب من أحبائك قد قرب عدوا من أعدائك لكرهت ذلك منه، ونفر قلبك عنه ولا تقبل منه عذرا حتى يتعد عن أعدائك".¹

ازدانت خطاباته بالحكم والقول البليغ الذي يشد القارئ والمستمع، مثل ما يقول في رده على سؤال فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار:

وكل امرئ ينبئك عنه قرينه وذلك أمر في البرية واضح.² المرء بأصغريه قلبه ولسانه.³ لم يكتف الشيخ بالجوانب الأدبية واللغوية، بل كان بارعا أيضا في الاستدلال العقلي ويتخذ من اللغة المنطقية العقلية أساسا في موضوع الجدل والحجاج، ويستعين بالمنطق، من أمثلة ذلك في رده في بيان عدم الولاء للكفار كونه لا عقل له: فرده بأدلة عقلية وذلك في قوله إن أول عقل المرء أن يقرب من أبواب منافعه ويبعد من أبواب مضاره.⁴ لقد أثار المغيلي مسألة منطقية كبرى صاغها الإمام في تبيان التذليل بالعلوم العقلية لتكون ردوده في شكل قضايا بالكبرى والصغرى للبرهنة على المقاصد، وقد بدأ بأدلة عقلية قبل النقلية.⁵

¹ الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مدونة نازلة يهود توات، ص 105، نقلاً عن مصباح الأرواح، ص 31.

² المرجع نفسه، ص 152.

³ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت 903هـ/1503م)، "رسالة المغيلي إلى سلطان كانو: تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين"، تحقيق محمد فرقاني، مجلة عصور، العدد 2 (جامعة وهران، 2006م)، ص 190.

⁴ الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مدونة نازلة يهود توات، ص 162

⁵ المرجع نفسه، ص 162

بعد أن قدّمنا الشواهد والأدلة التي تبرز مركزية قيم الحوار والتعايش في فكر الإمام المغيلي، ننتقل في المطلب التالي من هذا البحث إلى تناول قضية نازلة يهود توات. فقد كانت هذه النازلة مدخلاً لتوجيه العديد من التهم والافتراءات إلى الإمام، حيث ادّعي أن فتواه الشهيرة، التي أفتى فيها بطرد اليهود من توات، تعكس تحريضاً على العنف والكرهية ضد المخالفين في الدين. وتتناقض في جوهرها مع المشروع الحواري الذي كان الإمام المغيلي من أبرز الداعين إليه، كما تتعارض مع ما تؤكد نصوصه وممارساته العملية من التزام راسخ بالحوار والعدل.

وسنسعى فيما يلي إلى توضيح ذلك وتحليل السياق الذي صدرت فيه تلك الفتوى.

خامساً- بين الحزم والمرونة: التوازن بين حفظ وحدة الجماعة والحوار مع الآخر

أدرك الإمام المغيلي بوعي عميق واقع المجتمع الإسلامي في المغرب العربي الكبير، وظلّ طوال مسيرته منافحاً عن الإسلام، صلباً في مواجهة أعدائه. ومن موقعه كعالم مصلح، ومحلّ اجتماعي دقيق، رسم ملامح العلاقة بين المسلمين والمخالفين لهم في الدين، ولا سيّما أهل الذمة المقيمين داخل المجتمع الإسلامي. وقد ألّف المغيلي في هذا الشأن عدداً من المؤلفات التي تناولت طبيعة هذه العلاقة وحدودها الشرعية، ومن أبرزها: ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، وعمّا يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار، وجزية أهل الذمة، ورسالة كل مسلم ومسلمة¹.

وفي السياق ذاته، كتب الإمام المغيلي رسالة مطوّلة في شكل فتوى، تناول فيها أحكام الجزية وما يجب على المسلمين والكفار، جاءت بعنوان: الإجابة عن سؤال حول قبائل في

¹ خير الدين شترة، المرجع السابق، ج 2 ص 391

آخر الصحراء لا تنالهم أحكام الأمراء، يتّخذهم اليهود أحملاً ويُلَقَّبونهم بالغلائف. وتُعدّ هذه الرسالة نموذجاً واضحاً لحرص المغيلي على تحقيق التوازن بين حفظ وحدة الجماعة المسلمة، وصيانة مقوّمات هويّتها، وبين ممارسة الحوار وضبط العلاقة مع الآخر في إطار منضبط بالضوابط الشرعية والأخلاقية.

وفي هذا المجال، تبقى نازلة يهود توات تشكل منعطفاً تاريخياً بارزاً على صعيد العلاقة مع أهل الكتاب في حياة الإمام المغيلي أثارت لغظاً وجدلاً وتأويلات وتباين آراء قديماً ولا زلت تشغل بال الكثير من الباحثين والمؤرخين اليوم لفهم حقيقتها، خاصة في شقها المرتبط بما يبدو مخالفة الإمام المغيلي للمتفق عليه بين الفقهاء المسلمين في ضبط العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة، إلى حد ميل عديد من الآراء لكيل التهم له.

كيف يمكن التوفيق بين ما سبق أن توصلنا إليه، من أن الإمام المغيلي كان من دعاة الحوار والتعايش والتسامح، وما ثبت عنه في فتواه بوجوب طرد اليهود من توات وهدم معابدهم؟

ارتبطت نازلة يهود توات بسياق سياسي واجتماعي شديد الاضطراب، في ظل واقع متفتّت يعاني منه العالم الإسلامي عموماً، والمغرب العربي الكبير على وجه الخصوص. فقد غابت فيه سلطة إسلامية قويّة قادرة على فرض النظام، بينما كانت الأطماع الصليبية تتهدّد المنطقة من جهة البحر، والمتربّصون الخارجيون يترصدون ضعف الداخل الإسلامي من جهة أخرى.¹

¹ عبد القادر بخوش، المرجع السابق، ص 46-48

في ظلّ هذه الظروف العصيبة، برز اليهود على مسرح الأحداث كقوة اقتصادية متنامية، أحكمت قبضتها على مفاصل الاقتصاد المحلي والإقليمي. وتمكّنوا من السيطرة على شرايين المال والتجارة القوافلية العابرة للصحراء، التي تمثّل شرياناً حيويّاً للمنطقة. وتعزّز نفوذهم الاقتصادي من خلال:

- السيطرة على التجارة العابرة للصحراء والقادمة إلى المنطقة.

- احتكار صياغة الذهب والفضة والصرافة النقدية والمالية.

- التدخّل المتزايد في الشؤون السياسية، والتأثير على قرارات المشيخات المختلفة.

- إبطال العقوبات الشرعية في حال ارتكابهم المخالفات.

إلى جانب هذه السيطرة الاقتصادية، ازداد الوضع احتقاناً بفعل جملة من المخالفات الشرعية التي أثارت سخط المسلمين، ومنها:

- تعالي اليهود وطغيانهم على الأحكام الشرعية، وخروجهم السافر عن مقتضياتها.

- امتناعهم عن دفع الجزية إلى بيت مال المسلمين.

- انحراطهم في المعاملات الربوية، وإحكامهم السيطرة على الأسواق والدوايب التجارية، ما أثقل كاهل المسلمين المستضعفين.

- تغلغلهم في النسيج الاجتماعي الإسلامي، إلى حدّ بات يهدّد وحدة المجتمع وتجانسه.

وقد عالج الإمام المغيلي جانباً من هذا الوضع في فتواه الشهيرة حول الزواج من الكتابية، التي لم يخرج فيها عن مذهب جمهور العلماء، بل وافق نهج المالكية الذين فرّقوا بين الذمية والحرية؛ فأباحوا الزواج من نساء الأولى، ومنعوه من نساء الثانية، وهو ذات التمييز الذي أكّده المغيلي، منسجماً مع اجتهادات أهل بلده، فقد رأى أن من أعطى الجزية جاز الزواج من نسائه، ومن لم يؤدّها لم يجز ذلك.

وقد عبّر عن خطورة هذا الوضع المتأزم الأستاذ أبو القاسم سعد الله في وصفه الدقيق:
"وجد اليهود صولتهم حينما أحسّوا بضعف الدولة السياسي داخلياً وخارجياً، فتواطؤوا مع
بعض الأمراء على مدّهم بالمال والدعاية، بل وتوليتهم. وفي المقابل، كان الأمراء يسمحون أو
يتغاضون عن بناء اليهود بيعاً لهم، وفتح المتاجر، وتأسيس الشركات، والاستيلاء على طرق
التجارة"¹

أمام هذا المشهد المضطرب، الذي شهد تجاوز اليهود للحدود الشرعية، واستعلاءهم على
المسلمين واعتداءهم على النظام العام في مجتمع توات، رأى المغيلي أن إسقاط الذمة عنهم لم
يعد خياراً بل ضرورة ملحة، لصون كيان الأمة والحفاظ على وحدتها من التمزق والانحيار.
لم يكن موقفه هذا نابغاً من نزعة تعصّبية أو اندفاع عاطفي، بل من شعور واعٍ بالخطر
المتنامي الذي كان يهدق بالعالم الإسلامي في تلك المرحلة الحرجة، حيث بدأت بوادر
التفكك الداخلي والانحلال الاجتماعي تلوح في الأفق.

وقد كان حدس الإمام المغيلي ثاقباً في تقدير حجم هذا الخطر. فهو لم يغفل عن
المؤشرات التي كانت تدلّ على وجود صلات بين بعض الفئات اليهودية والقوى الصليبية
الطامعة، والتي كانت تسعى لاختراق المجتمعات الإسلامية من الداخل، تمهيداً لهجماتها
الخارجية. ولقد أثبتت الأحداث اللاحقة صدق حدسه؛ إذ لم يمضِ وقت طويل حتى أخذ
الغزو الصليبي يزحف على المنطقة. ففي عام 914هـ / 1508م، احتل الإسبان المرسي
الكبير بوهران، في خطوة كانت إيذاناً ببدء موجة من الحملات الاستعمارية الإسبانية
والبرتغالية على سواحل المغرب العربي الكبير.²

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1)، ج1، ص 53

² الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مدونة نازلة يهود توات، ص 62-63.

الخاتمة:

تمثل شخصية الإمام المغيلي الحوارية مثلاً مضيئاً في تراث الفكر الإسلامي، حيث استطاع أن يجمع بين الجرأة الفكرية، وسعة الأفق العقلي، والحكمة السياسية، والالتزام الأخلاقي في ممارسة الحوار.

لقد أدرك أن الحوار ليس غاية في ذاته، بل هو وسيلة لتحقيق الإصلاح وتجديد المجتمع. ومن خلال مخاطبته الحكام والعلماء والعامّة، وضع الإمام المغيلي معالم لمنهج حوارى متكامل يمكن أن تستلهمه المجتمعات الإسلامية في كل عصر.

إن استعادة هذا النموذج في سياق الحوارات الفكرية والسياسية المعاصرة من شأنه أن يسهم في إرساء ثقافة حوارية قائمة على العدل، والانفتاح، والحكمة.

إنّ العالم الإسلامي في الوقت الراهن أحوج ما يكون إلى استحضار مآثر عالم فذ، وفقه بارع، ومصالحٍ عظيم كالإمام المغيلي، الذي امتلك من العلم والخبرة ما يضعه في مصاف كبار علماء الأمة ومفكرّيها، ومن الأجدد بنا اليوم أن نستعيد تجربته الرائدة في ترسيخ قيم الحوار والتعايش السلمي، والتسامح القائم على أسس راسخة من التعاليم الإسلامية، غير أنّ استلهاً هذه التجربة يقتضي وعياً دقيقاً بالسياق التاريخي الذي نشأت فيه، وبمقاصدها وأبعادها، بحيث تُقرأ قراءة نقدية واعية، تضمن الحفاظ على هوية الأمة ومقوماتها، لاسيما في ظل ما تشهده الساحة الدولية من أشكال متعددة من الصراعات.

وفي هذا الإطار، تكتسي تجربة الإمام أهمية خاصة في إثراء فقه العلاقات الدولية، وفي تطوير آليات التعامل مع غير المسلمين، سواء كانوا أقليات وجاليات داخل المجتمعات الإسلامية، أو في سياق العلاقات بين الدول، كما تقدّم معطيات قيّمة يمكن الاستفادة منها في

بلورة رؤية شرعية متماسكة للتعاطي مع قضايا الاحتلال، وفي مقدمتها قضية الاحتلال الصهيوني للأرض المقدّسة.

المصادر والمراجع:

- 1- البروني، أبو الريحان محمد بن أحمد. تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة. تحقيق د. أبو الخير نوري. بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1993.
- 2- بخوش، عبد القادر. "قيم السلام والعيش المشترك: مقاربات في فتاوي الإمام المغيلي ونوازه". في ملتقى الجزائر الدولي: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909 هـ)، الحكمة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدها. الجزائر، 12-13 ديسمبر 2022، ج 2.
- 3- التفتزاني، سعد الدين. شرح المقاصد في علم الكلام. ط 1. بيروت: عالم الكتب، 1989.
- 4- التنبكتي، أحمد بابا. نيل الابتهاج بتطريز الديداج. تحقيق علي عمر. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، 1423 هـ / 2004 م.
- 5- جعفري، أحمد. "حوار الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909 هـ) مع ملوك وأمراء غرب إفريقيا وأثره في حركة الفتح الإسلامي إفريقيا". الفضاء المغاربي، المجلد 4، العدد 1 (سبتمبر 2020 م / صفر 1442 هـ)
- 6- رباحي، عبد القادر. الإمام المغيلي: عصره وحياته، دراسة تاريخية، تحليلية وتوثيقية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011.
- 7- سعد الله، أبو القاسم. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط 1.

- 8- شترة، خير الدين .الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي . ج 2. تلمسان: منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011.
- 9- النووي، يحيى بن شرف .المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج . ط 2. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1392هـ / 1972م.
- 10- المغيلي، محمد بن عبد الكريم .تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين .تحقيق نوال صليبا. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988.
- 11-رسالة المغيلي إلى سلطان كانو : تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين .تحقيق محمد فرقاني .مجلة عصور (جامعة وهران)، المجلد 5، العدد 2 (2006): 189-190.
- 12-مدونة نازلة يهود توات .تحقيق مقدم مبروك. تلمسان: وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011.

البعء الاجتماعى والځىرى فى فكر الامام مءء بن عبء الكرىم المءىلى

طالب الءكنوراها/ سعوء على. ءامعة ءامنءسء

ءءصص: الاسءعمار الفرنسى فى الءزائر

(1870-1945م)، ءءولات ومقاومات.

الملءص:

ىءناول هذا العمل شءصىة الإمام المءىلى وءىاءه الاصلاءىة الءى سناءء منها الءانب الاجءماعى والځىرى فى أفكاره الءعوىة الءى بءلها فى اصلاء المءءمع، كما ىءءبر المءىلى من شىوء الءركة الاصلاءىة فى ءواء وبلاد السودان ءلال القرن ءاسع المءءرى والءامس عشر المىلاءى، وقد عمل على إءءاء ءءىىر اصلاءى هام فى العءىء من مءالاء الءىاة السىاسىة والاجءماعىة والءىنىة وهذا ما سنءاول قراءءه من ءلال ءهوءه الاجءماعىة والځىرىة.

الكلماء المءءاءىة: الإمام- المءىلى- المءءمع- اصلاء- ولى الامر.

Abstract :

This work deals with the personality of Imam Al-Maghili and his reformist life, from which we will take the social and charitable side of his preaching ideas that he devoted to reforming society. Al-Maghili is also considered one of the sheikhs of the reform movement in Tuat and the lands of Sudan during the ninth century AH and the fifteenth century AD. He worked to bring about important reformist change in many areas of political, social and religious life, and this is what we will try to read through his social and charitable efforts.

Keywords : Imam - Al-Maghili - Society - Reform - Guardian of the Ruler.

المقدمة:

يعتبر الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي من رواد الحركة الإصلاحية في توات خلال القرن التاسع الهجري والخامس عشر الميلادي، وهو من العلماء الذين عملوا على التجديد الفكري والسياسي حيث امتد فكره الى العديد من مناطق افريقيا، حيث تفاعل مع العديد من قضايا عصره وساهم في التغيير واحداث تحول اجتماعي حيث كانت له رؤية متكاملة مع الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية، وساهم في حل العديد من المشاكل العالقة في تلك المجتمعات التي أقام بها، وهو من الشخصيات الجزائرية التي تركت آثارا فكرية وعلمية واصلاحية، ومن هنا نطرح الاشكال الرئيسي في العمل : ماهي أهم الجهود الاجتماعية

والخيرية للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي؟

وهذا ما سنحاول التعرف عليه في هذا البحث من خلال الخطة الآتية:

- نبذة تعريفية بالإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي.
- الدور الاجتماعي للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي.
- الدور الخيري للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي.

1-نبذة تعريفية بالإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي:

يعتبر محمد بن عبد الكريم المغيلي من الشخصيات العلمية البارزة في القرن الخامس عشر الميلادي فقد عرف بعلمه الواسع، ونضاله السياسي الشجاع، ونهضته الإصلاحية البارزة، عمل على نشر العلم والدين بتوات، وانتشر علمه وصوته الاصلاحى عبر كامل الصحراء وبلاد السودان، كما حارب اليهود الذين نهبوا خيرات توات، وقاد الدعوة الاصلاحية

بالسودان لفترة طويلة، وأصبح له أنصار وحاضنة شعبية قوية في كل أقطار السودان الغربي،
وكوّن بذلك العلم والأثر مرجعية دينية لجميع علماء افريقيا الغربية¹.

1-1- مولده ونسبه:

ولد الامام المغيلي في مدينة مغيلة بتلمسان سنة 831هـ/1427م، حيث اختلفت المصادر التاريخية حول تحديد سنة ميلاده، فذكر بعضهم أنه ولد سنة 1388م²، وهناك آخرون يذكرون سنة 1438م إلا أن الراجح هو 1427م، وذلك لتوافقه مع الاحداث التاريخية التي مر بها من خلال تواريخ مراسلاته ورحلاته إلى العديد من الاماكن المختلفة³.
أما عن نسبه الشريف فقد اتفقت أغلب المراجع والمصادر على أن نسب المغيلي يرجع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو محمد ابن عبد الكريم بن محمد بن عمر بن مخلوف بن علي بن احمد عبد القوي بن العباس بن عطية بن مناد بن أسرى بن قيس ابن غالب بن أبي بكر بن عبد الله بن ادريس بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى السبط بن فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم⁴.

¹ مقالتي عبد الله، "موقف الشيخ المغيلي من يهود توات"، مجلة الحقيقة، جامعة أحمد دراية -أدرار، الجزائر، ع06، تاريخ النشر: 2004م، ص ص 253،266.

² مخطوط الشجرة الجامعة لكبرى أنساب سكان توات، خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي، كوسام.

³ بن خويا إدريس وبرماتي فاطمة، "الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي -من المهدي إلى اللحد"-، مجلة الذاكرة، جامعة أدرار، الجزائر، تاريخ النشر: ماي 2016م، ص12.

⁴ مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت ن، ص25.

ورغم الاختلاف حول تاريخ ولادته إلا أن المصادر التاريخية تتفق إجمالاً حول تاريخ وفاته التي كانت في سنة 1503م، وهناك شجرة أخرى بخزانة الشيخ عبدالقادر سيدي سالم المغيلي ونصها كالآتي: (الحمد لله وحده، وبعد فاعلم أيها الواقف على عمود نسب القطب الرباني والهيكل الصمداني، العلامة شيخ المشايخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الشريف الحساني، فلا شك ولا ريب أنه شريف أبنائه شرفاء، وهذا النسب زاد في الجد الثامن للشيخ وهو اسنا دور فهو الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم بن عمر بن مخلوف ابن علي بن الحسن بن يحيى بن أسنادرو بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد القوي ابن العباس بن عطية بن مناد بن السري بن قيس بن غالب إلى آخر السلسلة)¹.

ويرجع لقبه المغيلي نسبة لقبيلة مغيلة التي ترجع إلى البربر سكنوا بتلمسان ووهران والمغرب الأقصى، وتعتبر فرعاً من فروع قبيلة صنهاجة كبرى شعوب الأفاقة البيض، ومدينة مغيلة من المدن الصغيرة التي أسسها الرومان، حيث تعرف بجبالها وسهولها الجميلة².

1-2- نشأته وتعلمه:

نشأ المغيلي وسط عائلة اشتهرت بالتقوى والعلم والتصوف، حيث انحدر من أسرة أصيلة عرفت بالعلماء والمصلحين منهم الشيخ موسى بن يحيى بن عيسى المغيلي المازوني (883هـ)، كما تربى بين يدي شيخ مغيلة محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي المشهور بالجالب

¹ عطية عبد الكامل، "دعوة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (1503-1427م) في الجنوب الجزائري وحواضر غرب إفريقيا"، مجلة مدارات تاريخية، مج 02، ع04، تاريخ النشر: ديسمبر 2020م، ص 151-152.

² بن خويا إدريس ويرماتي فاطمة، المرجع السابق، ص13.

(875هـ)، حيث حفظ عنه القرآن الكريم، ثم أخذ عنه مبادئ علوم اللغة العربية والعلوم الإسلامية والعلوم العقلية والنقلية¹.

وصفه محمد بن عبد الله بن مصباح الحسني بقوله: "يعتبر الشيخ الفقيه الصدر الأوحى، أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي، من أكبر العلماء وأفضل الأتقياء، وكان شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"².

ثم انتقل إلى مدينتي بجاية والجزائر حيث واصل تلقي العلم على يد شيوخها الأفاضل، ثم قدم إلى مدينة تمنطيط، وذلك أخذاً بنصيحة شيخه عبد الرحمن الثعالبي عندما نصحه: "بأن لا يعاشر أهل سفاهة، وألاً يستوطن مكان إهانة"، حيث كانت الأحوال السياسية مضطربة بتلمسان بسبب جور حكامها وتسلط اليهود وفسادهم، وكم ألمه سكوت العلماء عن تغيير المنكر، وهكذا ونظراً لتكوين المغيلي الصوفي ورغبته الحثيثة في نشر العلم والدعوة الإسلامية اختار الرحيل إلى بلاد توات³.

1-3- شيوخه:

درس وتلمذ الامام المغيلي على العديد من الشيوخ نذكر منهم:

¹ صغير آمال وابن معمر محمد، "الإمام والمصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي ويهود توات"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج 06، ع 01، تاريخ النشر: 2023/01/31م، ص 164.

² مقدم مبروك، المرجع السابق، ص 30.

³ مقالتي عبد الله، "الفكر العقدي للشيخ ابن عبد الكريم المغيلي التلمساني وامتداداته في إفريقيا الغربية"، مجلة الدراسات العقديّة ومقارنة الأديان، مج 07، ع 03، تاريخ النشر: 2017/12/15م، ص 354.

- الشيخ محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الذي اشتهر بالجلاب التلمساني وهو فقيه مالكي تخرج على يديه العديد من علماء تلمسان.

- الشيخ عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي: ولد سنة 786هـ/1384م بوادي يسر عرف بعلمه وتصوفه، كما نبغ في الكثير من العلوم، وترك العديد من الكتب في التصوف والفقهاء منها: الانوار المضيئة بين الشريعة والحقيقة وغيرها من الكتب، وساهم في نشر الطريقة القادرية بالمغرب الأوسط، كما أن المغيلي من أبرز تلاميذه.

- يحيى بن يدر بن عتيق التدلسي: من أبرز فقهاء المالكية بتلمسان، عمل على تحفيظ القرآن الكريم وقواعد اللغة العربية، كما درس على يده العديد من طلاب العلم من بينهم: الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وعبد الله العصنوني¹.

وعليه نستنتج بأن كل هذه الظروف التكوينية التي مر بها الشيخ المغيلي قد ساهمت مساهمة كبيرة في صقل وتكوين هذه الشخصية العلمية العظيمة، وجعلته بارعاً في علوم عصره، حتى عرف أصولياً فقيهاً، محدثاً ومفسراً، بل كان لغوياً ومنطقياً وأديباً، وكذا شاعراً موهوباً، كانت له صراعات مع اليهود في توات وكانت له معهم مشاحنات أدت إلى قتالهم وهدم كنائسهم².

¹ ، مقالاتي عبد الله، المرجع السابق، ص ص 354-355.

-ميكا أبو بكر اسماعيل، الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي، ط1، مكتبة التوبة، المملكة العربية السعودية، 1997م، ص102.

² ، نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر -من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1980م، ص308.

1-4-تلاميذه:

وعندما بلغ الامام المغيلي نصيياً وافرأ من العلم، بدأ في نشر علمه بين تلاميذه في مناطق الغرب الإسلامي، فتتلمذ على يده العديد من طلاب العلم ونذكر منهم: الشيخ العاقب بن عبد الله الأنصمني المسوفي، ومحمد بن أحمد بن أبي محمد التاذخني، وابراهيم بن عبد الجبار الفجيجي¹، وعمر الشيخ بن أحمد البكاي بن محمد الكنتي² وأبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي³.

اعتبرت شخصية المغيلي شخصية علمية دينية بامتياز، وهذا ما جعل العديد من العلماء يشيدون بعلمه وبشخصيته الاصلاحية، فقد قال فيه ابن أبي مريم: "القدوة الصالح الحبر، أحد أذكى العالم وأفراد العلماء الذين أوتوا بسطة في العلم والتقدم"، كما وصف بول ماري جهوده في نشر الاسلام من خلال قوله: "ونحن نعلم، حسيما هو متداول من معلومات، أن الإسلام دخل إلى بلاد الجرما والبلاد المجاورة إلى تساوة (Tessaoua) ووزندر (Zinder) بواسطة الشريف الكبير محمد بن عبد الكريم المغيلي، أو بالأحرى بواسطة تلاميذه المباشرين في القرن الخامس عشر"، إلى أن يقول: "لقد هبط المغيلي مع نهر النيجر إلى ناحية ساي"⁴.

¹ التبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ج1 و ج2، ط1، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989م، ص578.

² مطير سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، ط1، دار المدار الإسلامي، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2005م، ص267.

³، نويهض عادل، المرجع السابق، ص345.

⁴، مقالاتي عبد الله، المرجع السابق، ص358.

وما يمكن ملاحظته أن العصر الذي عاش فيه الامام المغيلي كان عصراً برز فيه العديد من العلماء الذين تركوا بصمات علمية بارزة ومن هؤلاء نذكر:
الإمام الحافظ السيوطي ومحمد بن مرزوق الحفيد وعلي بن محمد التالوتي وأحمد الونشريسي وغيرهم من العلماء¹.

1-5- مؤلفاته:

ترك الامام المغيلي تراثاً علمياً ضخماً في مختلف العلوم والفنون، ولم يكن جهاده وقتاله ضد اليهود عائقاً أمام دعوته الإصلاحية، بل على العكس فقد ظل متنقلاً بين ملوك الأمة وأمرائها في الجزائر وافريقيا ناصحاً ومعلماً ومفتياً، حيث ترك العديد من الكتب والمؤلفات من بينها:

- أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي.
- البدر المنير في علوم التفسير.
- تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين.
- تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين.
- شرح بيوع الآجال من كتاب ابن الحاجب.
- قصيدة في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم)
- ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار.
- منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب (وهي منظومة له عليها عدة شروح).
- منظومة في المنطق¹.

¹ ، عطية عبد الكامل، المرجع السابق، ص153.

ويذكر العلماء أن للمغيلي أكثر من أربعين ألف مؤلفاً بين مخطوط ومطبوع ومفقود، وهي منتشرة في خزائن ومكتبات توات بالجزائر ومراكز المخطوطات بغرب أفريقيا كساي بالنيجر وتمبكتو بمالي وكانو بنيجيريا، ويضاف إلى كل هذا الانتاج العلمي الزاخر العديد من القصائد الشعرية والمقطوعات الثرية التي رسمت لنا صورة الاديب الموسوعة².

وعليه فإننا نستنتج بأن مؤلفات الشيخ المغيلي جاءت متنوعة وشملت العديد من العلوم، وعرفت تنوعاً كبيراً بين الأدب والفن والدين، فهو يعتبر موسوعة علمية كبيرة.

2- الدور الاجتماعي للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي:

لقد كان الامام المغيلي متنوع المهام والمسؤوليات ، إذ لم تقتصر جهوده على الجانب الديني العقدي بل تعدى إلى اصلاح المجتمع وأحواله ،وعليه فقد كان من العلماء الذين جمعوا بين العلم والعمل فقد حاول اصلاح أحوال المسلمين من خلال تطبيق ما تنص عليه الشريعة الإسلامية، حيث كانت الاعمال عظيمة وجلييلة فقد قاوم الجهل والانحلال الخلقي وبعض العادات والتقاليد التي لم يرضى بها الاسلام³، وهكذا فقد كان الاصلاح الاجتماعي

¹ مرتضى أحمد "الإمام المغيلي وإسهاماته في بناء الحضارة الإسلامية في بلاد الهوسا"، محاضرة مقدمة في الملتقى الدولي الثالث بعنوان (الفتاح عقبة بن نافع -رضي الله عنه -)، عقد بولاية بسكرة بالتعاون مع وزارة الشؤون الدينية والاقواف -الجمهورية الجزائرية -، بعنوان (الحواضر العلمية الجزائرية وافريقيا)، عقد ما بين 8-10 مارس 2014م بمدينة سيدي عقبة، بسكرة، الجزائر، ص 08.

- بن خويا إدريس وبرماتي فاطمة، المرجع السابق، ص 18.

² الشيخ أبو عمران، معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، الجزائر، 1995م، ص 23.

³ مقدم مبروك، المرجع السابق، ص ص 17-18.

من الاسباب الرئيسية في هجرته من تلمسان إلى توات والسودان الغربي تلبية لنصيحة شيخه عبد الرحمان الثعالبي التي رسمت الطريق الصحيح لمسيرته الدعوية والاصلاحية¹. وعندما بدأ رحلته الاصلاحية إلى توات وبلاد السودان، جعل المبدأ الاساسي في دعوته هو النصح والارشاد والتعليم، فقد كان آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر طيلة حياته، كما بدأ نشاطه الاجتماعي من خلال زاويته ببوعلي، التي لم تكتفي بالجانب التربوي والتعليمي، بل كانت مكانا للفصل في العديد من القضايا والنزاعات والنوازل التي ترتبط بالحياة اليومية للسكان مثل الزواج والطلاق والخلع والمعاملات المالية كالبيوع والإيجار، فقد كان يشرف على تلك القضايا من خلال تطبيقه لأحكام الشريعة مراعيًا في ذلك المصلحة العامة². ومن خلال تلك المسائل الاجتماعية التي كان يعالجها المغيلي حاول دائما اصلاح شؤون العباد والبلاد من خلال تطبيق العدل ونصرة الحق على الباطل والمظلوم على الظالم وبتالي فقد نظر في جميع أحوال الناس وحاول اصلاحها وحلّها في حينها³، وهكذا فإننا نستنتج بأن المغيلي قد لعب دوراً اصلاحياً اجتماعياً متميزاً من خلال حل مشاكلهم الاجتماعية والمشاركة في العديد من الاعمال الخيرية وتخفيف من وطأة الظروف الاقتصادية والحرص على قضاء مصالح المجتمع.

¹ بوغرارة منيرة "محمد بن عبد الكريم المغيلي ومساهمته في نشر الثقافة الإسلامية في غرب افريقيا"، رسالة ماجستير، شعبة التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، ص 68.

² المغيلي، مسامرة الندم ببعض آثار محمد بن عبد الكريم، مطبوع ضمن رسائل الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، دار كردادة للنشر والتوزيع، مدينة بوسعادة، الجزائر، 2011م، ص 181 وما بعدها.

³ المغيلي، أسئلة السقيا وأجوبة المغيلي، تقديم وتحقيق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص 30 وما بعدها.

وقد تميزت الفترة التي عاش فيها المغيلي بالفوضى والمشاكل السياسية والاجتماعية، حيث شهد المجتمع عدم مشاكل من بينها: انتشار الجهل والفساد والانحلال الخلقي، كما انتشر الفقر والبؤس الاجتماعي بسبب النظام الاقطاعي الظالم الذي طبقه رؤساء القبائل على الأهالي بالاتفاق مع اليهود الذين كانوا يدفعون لهم الإتاوات بدل أن يدفعوها لبيت المال، وهكذا انهارت القيم والاخلاق بين المجتمع.

وهكذا فقد أجاب المغيلي الأسقيا عن أسئلته في طرق اصلاح حال المجتمع، كما أنه وضّح له العديد من المعاني الدينية في الشريعة الاسلامية، وهذا دليل آخر على حرص واهتمام الحكام المسلمين على اصلاح حال رعيتهم واصلاح سلوكياتهم بما يتناسب مع أحكام الاسلام¹.

وقد حرص المغيلي على دعوة أولياء الامور بضرورة تحمل مسؤولياتهم في تطبيق الشريعة، وضرورة الاهتمام بمصالح وشؤون المجتمع وهذا بعدما ظهر الفساد بين المجتمع بالرغم من التزام السكان بتعاليم الاسلام كما نوّه إلى ضرورة سن قوانين ضابطة لتصرفات وسلوك السكان وتنظيمها للقضاء على الفساد والانحلال الخلقي².

ومن مظاهر الفساد والانحلال الخلقي الذي حاربه المغيلي: الاختلاط في الاسواق والطرق بين الرجال والنساء، وكشف العورات وارتكاب الفواحش وغيرها من الفواحش، فدعا الإمام المغيلي إلى ضرورة التوبة والرجوع إلى الله، وإلا فإنه يجب على أولياء الامور مسؤولية ردع هؤلاء على سوء أدبهم بالمقامع الشرعية واجبارهم على تطبيق شرائع الاسلام، وكفهم على العودة إلى تلك المحرمات وذلك محافظة على الآداب العامة للمجتمع، واعتبر

¹ المغيلي، أسئلة السقيا وأجوبة المغيلي، المرجع السابق، ص ص 34-62.

² المغيلي، مسامرة الندم ببعض آثار محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص 202 وما بعدها.

ذلك من أفضل الجهاد وأجله¹، حيث يقول: "ومن أعظم المنكرات ما ذكرتم من اختلاط الرجال بالنساء وكشف العورات، فواجب على أمير المؤمنين أن يجتهد في منع ذلك كله بما استطاع، وأن يجعل أمناء يحاسبون على ذلك... لا سيما إذا شاع الفساد في البلاد"².

وقد أوضحت رسالة الأسقيا العديد من صور الفساد الاجتماعي كانتشار الظلم وظهور الغش في المعاملات التجارية وغيرها من المفاصد الاجتماعية التي حلت بالبلاد³، وهذا ما جعل الأسقيا يرجع إلى العالم المصلح المغيلي لإصلاح تلك الأوضاع والرجوع إلى تعاليم الدين والشريعة الإسلامية، وقد أرشد الحكام إلى ضرورة المراقبة الدورية للمعاملات التجارية، وفرض العقوبات الشرعية للمخالفين في المعاملات كما نادى إلى ضرورة اصلاح الموازين وضبط المكاييل الشرعية، وهذا بعد أن أفتى بأن جميع أنواع الغش حرام بالكتاب والسنة والإجماع، وعلى ولي الامر أن يعاقب أهل الغش والخديعة أعظم عقاب ويجعل أموالهم تصرف على مصالح المسلمين⁴، وهذا ما جعله يؤكد على أهمية ما يسمى بجهاز الحسبة والذي يعنى بإصلاح أحوال المسلمين وحفظ مصالحهم العامة، حيث يقول في رسالة الإمارة:

¹ ميقا أبو بكر اسماعيل، المرجع السابق، ص ص 42-43.

² المغيلي، أسئلة السقيا وأجوبة المغيلي، المرجع السابق، ص ص 66-67.

³ المؤسسة الوطنية للتلفزيون الجزائري، وقفة تلفزيونية في مسيرة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي الجزائري، <https://www.youtube.com/watch?v=BuovOMhG6Yg>، تاريخ

البث: 2023/02/04م، تاريخ الاطلاع: 2025/03/07م، على الساعة: 09:49.

-المغيلي، مسامرة الندم ببعض آثار محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص ص 199-202.

⁴ المؤسسة الوطنية للتلفزيون الجزائري، المرجع السابق.

"ومحتسبون أي أهل الحسبة وهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر يكشفون أمور القرية وغيرها من المجامع ويصلحون ما فسد من مختلف المنكرات"¹.

وبتالي فقد ركّز المغيلي دائماً على السلطة السياسية وأدرك دورها الفعال في إصلاح المجتمع، ولهذا اختار دائماً ترسيخ البعد الاسلامي بين المجتمع ونصح الحكام بهذا المبدأ، وهذا ما جعله ينجح في مهمته في بلاد السودان حيث نصح الأسقيا بضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح أحوال المجتمع حيث قال: "إن كل ما ذكرتموه عن بعض أهل تلك البلاد ضلال عظيم، فواجب على أمير المسلمين وكل من له قدرة من المؤمنين أن يغير تلك المناكر كلها"²، كما عمل المغيلي على نصح حاكم كانو بضرورة اصلاح حال رعيته بالنهي عن العديد من مظاهر الفساد الأخلاقي والاجتماعي حيث يقول: "أنه لا بد من ردع المفاسد الدينية والدينيوية بالمقامع الشرعية على حسب الطاقة البشرية... فصن مقامات الخلافة النبوية عن الإهانة بردع العامة عن سوء الأدب في الأقوال والأفعال وسائر الأحوال، ولا تصبر لمن تعتمد ذلك ولم ينته عنه، لأنه ردع ذلك ومثله حق الله تعالى ورسوله، ولمنع جميع أهل بلادك عن جميع أنواع الشرك وكشف العورة وشرب الخمر وأكل الميتة والدم وغير ذلك من المحرمات"³.

وعليه نلاحظ بأن الامام المغيلي كان حريصاً شديداً الحرص على اصلاح حال المجتمع وترك كل المفاسد الاخلاقية في حياتهم الدنيا، وبتالي فقد حرص على نصح أولياء الامور في

¹ المغيلي، رسالة الإمارة، مطبوع مع كتاب الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية لعبد الله الألوري، مكتبة ومطبعة مصطفى الباوي الحلبي، مصر، 1974م، ص 50.

² المغيلي، أسئلة السقيا وأجوبة المغيلي، المرجع السابق، ص 63.

³ ميقات أبو بكر اسماعيل، المرجع السابق، ص 130-131.

جميع الاماكن التي زارها وبرز فيها دوره الانساني والاجتماعي بشكل واضح وجلي، وعليه فإن القيم التي نشرها المغيلي تعتبر منهجاً صالحاً للحياة في ظل الشريعة الاسلامية وبقيت معانيها راسخة الى يومنا هذا.

3-الدور الخيري للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي:

أما عن الدور والبعد الخيري للإمام المغيلي فقد ظهر من خلال تأكيده على ضرورة توفير أهم الخدمات الاجتماعية للسكان كالصحة والتعليم والقضاء وغيرها من الضروريات، وهذا ما نصح به المغيلي في الباب الثالث من رسالة الإمارة من خلال تنظيم وترتيب منظومة المجتمع داخل الممالك ويقول في ذلك: "وقضاة أي الحكام الثقات الذين يفصلون في الخصومات...وعلماء ثقافة في العلم والتقوى وأطباء أمناء يطبون الناس لئلا يحتاجوا إلى الخروج إلى غير بلده"، كما أنه نادى بضرورة التكافل الاجتماعي بين المجتمع كمساعدة الفقراء والمحتاجين وبناء المساجد وقضاء الديون ومؤونة تزويج العزاب وإعانة الحجاج... الخ¹.

ومن هنا فقد أكد المغيلي على ضرورة ترسيخ مبدأ التكافل الاجتماعي، من خلال التعاون والتكافل بين الناس خاصة في الازمات والنوائب اتباعاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الناس شركاء في ثلاثة: الكأ والماء والنار"²، وعليه فالتكافل الاجتماعي هو من قواعد المجتمع الاسلامي وأصل من الأصول الاجتماعية في الشريعة الاسلامية.

¹ المغيلي، رسالة الإمارة، مطبوع مع كتاب الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية لعبد الله الألوري، المرجع السابق، ص 50-51.

² أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الإجازة، باب فيمنع الماء، ج3، دار الكتاب، بيروت، د ت ن، ص295.

كما دافع المغيلي عن الفئات الضعيفة في المجتمع كالنساء والأطفال والعبيد، وحارب كل التصرفات التي تهدد تماسك المجتمع، ومن بين ذلك الظلم الواقع على المرأة بسبب مطالبتها للخلع من زوجها دون اللجوء إلى الطلاق، وهي من العادات التي انتشرت بكثرة في البلاد، وبالتالي فقد عمل على حماية حقوق المرأة لأنها هي عمود الأسرة والمجتمع، لذلك أفتى بعدم جواز نكاح الغرة وهي الفتاة الصغيرة حديثة السن وقال: "لا خير فيها ولا ولدها ولا في أهلها لأن الغرّ حرام اجماعاً"، كما أنه حارب ومنع الذين يكثرون الحلف بالطلاق والتحريم كذبا من الأزواج حتى تظهر توبتهم من ذلك، كما أنه حارب كل مظاهر الفسق والفجور دفاعاً عن المرأة المسلمة¹، وبالتالي فقد تصدى المغيلي لكل ما يهدد البنية الاسرية في المجتمع ونادى دائماً الى تكوين أسرة مسلمة، وهنا نقول بأنه كان يحمل رسالة اصلاحية شاملة .

كما أولى المغيلي فئة الاطفال والأيتام أهمية كبيرة وذلك من خلال ضرورة حماية حقوقهم في التربية والتعليم وحماية حقوقهم وأموالهم ورعاية شؤونهم وتهذيب أخلاقهم²، كما سئل المغيلي عن دور معلم الصبيان فقال في ذلك: "لا يجوز لمعلم الصبيان أن يشتغل بشيء وقت قراءتهم، ولا يدرس كتابه ولا يدخل شغلا غيرهم ولا يتحدث مع الناس وقت قراءتهم... كيف وإنما هو آلية أفعالهم وأقوالهم، وكيف من يسمع من يلحن منهم وهو مشتغل عنهم"³.

¹ المغيلي، مسامرة الندم ببعض آثار محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص ص 182-187.

² ميقات أبو بكر اسماعيل، المرجع السابق، ص 43.

- المؤسسة الوطنية للتلفزيون الجزائري، المرجع السابق.

³ المغيلي، مسامرة الندم ببعض آثار محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص 197.

كما دعا المغيلي إلى احترام حقوق العبيد والاحسان إليهم ومعاملتهم معاملة حسنة طيبة، كما أنه أجاز ردع كل شخص لا يوفر لعبده وأمته مختلف الحاجيات الضرورية¹، وذلك اتباعاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "للمملوك طعامه وكسوته ولا تكلفونه من العمل ما لا يطيق"²، وبهذا فهو ينظر المغيلي إلى هذه الفئة من زاوية انسانية، ويرجو من أولياء الامور ضرورة تخفيف هذه الظاهرة وترك الفرصة لهاته الفئة للتحرر الانساني، وهذا ما جعله يثني على الأسقيا من خلال قيامه بهذا الاصلاح حيث قال: "ولأجل هذا كان فعلك في اطلاق من ادعى أنه حر مسلم صواباً"³ وبتالي فقد حافظ على الشخصية الإنسانية وعمل على حماية كل الحريات العامة لتحقيق انسانية الإنسان في إطار مشروع الإصلاح الاجتماعي⁴.

لقد أولى المغيلي اهتماماً خاصاً بإصلاح الوضع الاجتماعي في كل البلدان التي زارها، فنصح الحكومة بضرورة اتباع سياسة اجتماعية عادلة وصرف الاموال التي تدخل الى ميزانية الامراء إلى الرعية من خلال اتباع الامام الى توزيع صارم وعادل حسب الظروف الاجتماعية

¹ ، المغيلي، رسالة الإمارة، م طبوع مع كتاب الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية لعبد الله الألوري، المرجع السابق، ص44.

- المؤسسة الوطنية للتلفزيون الجزائري، المرجع السابق.

² مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل والباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، 1998م، ص684.

³ المغيلي، رسالة الإمارة، مطبوع مع كتاب الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية لعبد الله الألوري، المرجع السابق، ص45.

⁴ عمارة محمد، الإسلام وحقوق الإنسان، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978م، ص17.

للسكان مراعاة لمصالح المسلمين وإصلاح أحوال الأمة والقضاء على الفساد في كافة المجالات¹. وقد ذكر المغيلي العديد من الاحكام المنظمة للشؤون الاجتماعية، تظهر ما مدى المسؤولية الملقاة على ولي الأمر الذي يسعى الى تحقيق العدالة الاجتماعية وتنظيم شؤون حياتهم. وعليه نلاحظ بأن المغيلي كان من الائمة الذين حملوا مشروعاً خبيراً عظيماً، يسعى من خلاله إلى تحقيق العدالة الاجتماعية بين الرعية والقضاء على الفساد الاجتماعي.

الخاتمة:

ومن خلال ما تم تناوله من اصلاحات اجتماعية وخيرية نادى بها الإمام المغيلي، والتي انعكست على العديد من جوانب الحياة اليومية رغم كل المشاكل التي عارضته من قبل يهود توات إلا أنه استطاع أن يحقق تجربة اصلاحية ناجحة في الصحراء والسودان الغربي، ومن خلال الاصلاح الاجتماعي والخيري في فكر المغيلي استطعنا الوصول الى أهم النتائج والتوصيات الآتية:

- يعتبر الإمام المغيلي من أهم رجال الإصلاح ومن كبار علماء الشريعة والعقيدة في توات وفي بلاد السودان خلال القرن التاسع الهجري والخامس عشر الميلادي.
- تمكن الإمام المغيلي من تأليف العديد من المؤلفات الفقهية والدينية، حيث كان يهدف إلى الدعوة والإرشاد من خلال اصلاح الاوضاع الاجتماعية والسياسية. كما كان منهجه منهج الانبياء والرسول في تغليب الحكمة والموعظة الحسنة.

¹ المغيلي، رسالة الإمارة، مطبوع مع كتاب الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية لعبد الله الألوري، المرجع السابق، ص 60.

-لقد شملت أفكار وجهود الإمام المغيلي العديد من الجوانب الاصلاحية منها: الديني والسياسي والاجتماعي والخيري وغيرها.

-من أهم الاصلاحات الاجتماعية للمغيلي: القضاء على سيطرة اليهود على الحياة الاجتماعية في توات ومكافحة الآفات الاجتماعية والغش التجاري والدعوة إلى تطبيق نظام الحسبة وغيرها من الاصلاحات.

-لقد كان شغله الشاغل وهمه الوحيد هو الإصلاح والتغيير حيث لم يقتصر على مجتمع معين وإنما كان عابر للحدود امتد لمجتمعات مختلفة، كما أنه لامس جميع الفئات الاجتماعية فوصل حتى إلى أصحاب القرار من ملوك وأمراء وسلاطين.

أما عن أهم التوصيات:

-ما زلت حياة الإمام المغيلي تحتاج العديد من الاثراء والدراسة للعديد من جوانب حياته.
- العمل على طبع تراثه العلمي للمحافظة عليه والاستفادة منه، مع انشاء صرح علمي بجميع مرافقه باسم الامام المغيلي.

-اقرار هذه الشخصية في المقررات التربوية والجامعية لتعريف الأجيال بجهوده السياسية والاجتماعية والدينية في التاريخ الوطني.

-مواصلة التعريف بعلماء وفقهاء الجزائر وتبيان دورهم الفكري والعلمي وجهودهم الفقهية في المشرق والمغرب وتوضيح بعدهم الافريقي والعالمي.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر العربية

- أبو داوود، سنن أبي داوود، كتاب الإجازة، باب في منع الماء، ج3، دار الكتاب، بيروت، د.ت.ن.
- مخطوط الشجرة الجامعة لكبرى أنساب سكان توات، خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي، كوسام.

الأحاديث النبوية:

- مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل والباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، 1998م.

المراجع العربية:

- أبو عمران الشيخ، معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، الجزائر، 1995م.
- أحمد بابا التبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديقاج، ج1 و ج2، ط1، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989م.
- اسماعيل ميقاتي أبو بكر، الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي، ط1، مكتبة التوبة، المملكة العربية السعودية، 1997م.
- سعد مطير غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، ط1، دار المدار الإسلامي، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2005م.
- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر - من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1980م.

● مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت ن.

● محمد عمارة، الإسلام وحقوق الإنسان، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978م

● المغيلي، رسالة الإمارة، مطبوع مع كتاب الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية لعبد الله الألوري، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1974م.

● المغيلي، مسامرة النديم ببعض آثار محمد بن عبد الكريم، مطبوع ضمن رسائل الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، 2011م.

● المغيلي، أسئلة السقيا وأجوبة المغيلي، تقديم وتحقيق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.

الرسائل والاطروحات الجامعية:

● منيرة بوغرارة، "محمد بن عبد الكريم المغيلي ومساهمته في نشر الثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا"، رسالة ماجستير، شعبة التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر.

-المقالات العلمية:

● أحمد مرتضى "الإمام المغيلي وإسهاماته في بناء الحضارة الإسلامية في بلاد الهوسا" محاضرة مقدمة في الملتقى الدولي 3 (الفتاح عقبة بن نافع-رضي الله عنه-)، عقد

- ببسكرة بالتعاون مع وزارة الشؤون الدينية والاقواف الجزائرية -، بعنوان (الحواضر العلمية الجزائرية وافريقيا)، عقد ما بين 8-10/03/2014م بسيدي عقبة، بسكرة، الجزائر.
- إدريس بن خويا وفاطمة برماتي، "الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي - من المهدي إلى اللحد"-، مجلة الذاكرة، جامعة أدرار، الجزائر، تاريخ النشر: ماي 2016م.
 - آمال صغير ومحمد بن معمر "الإمام والمصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي ويهود توات"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج 6، ع 1، 2023م.
 - عبد الكامل عطية، "دعوة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (1503-1427م) في الجنوب الجزائري وحواضر غرب إفريقيا"، مجلة مدارات تاريخية، مج 02، ع 04، تاريخ النشر: ديسمبر 2020م.
 - عبد الله مقالتي، "موقف الشيخ المغيلي من يهود توات"، مجلة الحقيقة، جامعة أحمد دراية -أدرار، الجزائر، ع 06، تاريخ النشر: 2004م.
 - عبد الله مقالتي، "الفكر العقدي للشيخ ابن عبد الكريم المغيلي التلمساني وامتداداته في إفريقيا الغربية"، مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، مج 07، ع 03، تاريخ النشر: 2017/12/15م.

المواقع الالكترونية:

- المؤسسة الوطنية للتلفزيون الجزائري، وقفة تلفزيونية في مسيرة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي الجزائري،
<https://www.youtube.com/watch?v=BuovOMhG6Yg>، تاريخ البث
 2023/02/04م، تاريخ الاطلاع: 2025/03/07م، الساعة: 09:49.

المحور الثالث:
البلاغة ومنهج التأليف
من خلال بعض مكتوب
الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي

الدّرس البلاغي عند الإمام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي

الأستاذ الدكتور / مراد مزعاش

المدرسة العليا للأساتذة - آسيا جبار قسنطينة

ملخص:

يُعد الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من أعلام الجزائر البارزين في القرن العاشر، الذين ساهموا وشاركوا في إثراء الدّرس البلاغي العربي والنّهوض به، في منطقة المغرب الأوسط (الجزائر)، وقَدّموا إضافات بلاغية رائدة، واجتهادات بيانية مميزة، ولبنات علمية دقيقة، ومنهج متميز ومتفرد، فكان بذلك من المؤلفين البارزين والمشاركين المتميّزين في حركة مسار الدرس البلاغي العربي في منطقة المغرب العربي، بل وفي العالم العربي. فالحديث عن الدّرس البلاغي العربي عند الإمام محمد بن عبد الكريم متشعب الاتجاهات واسع المرتكزات، متعدد الخصائص، دقيق المنهج، متميّز الأسلوب. وتُعد مقارنته البلاغية من خلال كتابيه الذين ألفهما في ذلك، كتاب المختصر «التّبيان في علم البيان»، وكتاب الشّرح «شرح التّبيان في علم البيان»، من المقاربات البلاغية الجديرة بالانتباه إليها بالمتابعة والعناية والاهتمام، من خلال الدّراسة والبيان والتّحليل، والكشف عن كل خباياها وأسرارها، وإيضاح أصولها ومحاورها، وبيان منهجها واتجاهها، وتمييز خصائصها التي كانت عليها، وتوضيح مرتكزاتها التي قامت عليها، وتجليّة أسلوبها الذي تفردت به عن غيرها، باعتبار التّفرد والتّميز الذي تجلّى وبرز في هذه المقاربة.

المبحث الأول: التعريف بالإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي¹:

هو الإمام العلامة الجزائري الأشعري المالكي، أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي نسباً²، التلمساني مولداً ومنشئاً وداراً، وُلد نحو (830هـ) على الأرجح بتلمسان، كبرى

¹ - انظر ترجمته: ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986م، ص 257/253. يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1995م، الجزء الثاني، ص 143 وما بعدها. مبروك مقدم، الإمام المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية، مؤسسة الجزائر، الطبعة الأولى 1422هـ/2002م. أبو عمران الشيخ وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، الجزائر 1995م، ص 505. محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، دار هومة الجزائر، الطبعة الأولى 2005م، الجزء الأول، ص 80 إلى ص 87. عبد الرحمن حمّادو الكتيبي، مع المغيلي ابن عبد الكريم صاحب نازلة يهود توات حقائق ووثائق، مؤسسة البلاغ، الجزائر 2013م. شخصية الإمام محمد عبد الكريم المغيلي وتراثه العلمي، دراسة وتحقيق علال بوريق، مؤسسة البلاغ، الجزائر، 2013م. أبو بكر إسماعيل ميغا، الحركة العلمية والثقافية في السودان الغربي من 400هـ إلى 1100هـ مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م. أبو بكر ميغا، دعوة الإمام المغيلي العلمية والإصلاحية في السودان الغربي، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد السابع، أكتوبر 1992م. أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 576/579. فراج عطا سالم، محمد بن عبد الكريم المغيلي، دراسة تاريخية، مجلة عالم الكتب، العدد الثالث، أوت 1990م. مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقية الغربية، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006. مبروك مقدم، حياة وأعمال الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي مقدمات تعريفية: حياته وآراؤه، تأليف جماعي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2022م. عبد الحميد بكري، التنبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر 2007م.

² - مغيلة: من كبريات القبائل البربرية في بلاد المغرب العربي.

الحواضر العلمية بالمغرب الأوسط (الجزائر)، وبها تعلّم ونبغ على يد كبار العلماء الأعلام منهم: والده الشيخ عبد الكريم محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي، الشهير بالجلّاب (ت875هـ)¹. والإمام عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي الجزائري المتوفى سنة (875هـ)². والإمام أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي المتوفى سنة (895هـ)³. والشيخ يحيى بن يدير بن عتيق التّدلسي قاضي توات (ت877هـ)⁴، وغيرهم من العلماء في مختلف الحواضر التي أخذ علومه بها.

وكانت له رحلات عديدة، علمية ودعوية وإصلاحية إلى مدن وحواضر كثيرة، إلى بجاية، والجزائر، ومنطقة توات بالصّحراء الجزائرية، وعدد من ممالك السّودان الغربي جنوب الصّحراء الكبرى، وإلى المغرب الأقصى فاس وغيرها، وإلى مصر القاهرة والاسكندرية، وإلى الحجاز وغيرها من الأماكن.

قضى حياته كلها في سبيل الله مُتعلماً ومُعَلِّماً، ومُجَاهِداً، ومُصلِحاً وداعية ومرشداً، في شتى الفنون والعلوم، فترك لنا إرثاً عظيماً من التّلاميذ منهم: الشيخ محمد بن أحمد بن أبي محمد التّازختي والمشهور بلقب أيدا أحمد (ت936هـ)⁵، الشيخ العاقب بن عبد الله

¹ - حفظ عليه القرآن الكريم، كما أخذ عنه مبادئ الفقه وأمّهات الكتب الفقهية للمذهب المالكي؛ كالرسالة، ومختصر خليل، وابن الحاجب، وابن يونس.

² - إمام عصره وعلامة زمانه، صاحب المصنّفات المشهورة، والمؤلّفات الفريدة، فهو صاحب التّفسير المشهور (الجواهر الحسان). وغيره من المصنّفات.

³ - وقد وُصِفَ بالعلم والتّقوى والزّهد، واعتُبرَ مَن جَدَّدَ لهذه الأمة أمر دينها.

⁴ - الفقيه العالم العلامة، قاضي توات وأحد أبرز أعلامها، وأحد كبار فقهاء المالكية في وقته.

⁵ - كان شيخاً فقيهاً عالماً علامةً محدثاً، محقّقاً فهّامة، رحّالة، شهيراً محصّلاً لكثير من العلوم، رحل إلى تغدا، فلقني فيها المغيلي، وحضر دروسه. وأخذ عنه العلوم.

الأَنْصَمِي (ت بعد 950هـ)¹، الإمام محمد بن عبد الجبار أبو عبد الله الفجيجي (ت 956هـ)²، الشَّيْخ القُطْب أحمد البكاي الكنتي الشَّنْقِيْطِي (ت 920هـ)³ والشَّيْخ عمر بن أحمد بن علي الكنتي (ت 960هـ)⁴ وغيرهم. كما ترك لنا حوالي خمسين (50) من المؤلفات في مختلف العلوم والفنون، في التفسير، والحديث، والفقه، والمعاملات، والسياسة الشرعية، والحسبة، والقضاء، والمنطق، والعقيدة، واللغة، والبلاغة، والشعر، والتأويل، والتصوف، والفكر الإسلامي، والتراجم، وغيرها. كما ترك لنا عديد المساجد والزوايا والمعاهد الدينية التي تدرّس شتى العلوم والفنون، وتحتضن آلاف التلاميذ والمريدين.

وما زال مجاهدا وناشرا للشريعة والحقيقة، ومُعَلِّمًا النَّاسَ الخَيْر، ومُوجِّهًا ومُرشِدًا وناصحًا ومصلحًا، ومؤلفًا، وداعية إلى الله، حتى وافته المنية، فانتقل إلى جوار ربه بزوايته بقصر بوعلي ببلاد توات (ولاية أدرار)، بالصَّحراء الجزائرية وذلك سنة (909هـ/1504م)، وقبره بها معروف ومشهور، يزوره المحبون والخيرون والمريدون من كل الجهات والأقطار.

رحمه الله الإمام المغيلي رحمة واسعة، وجزاه الجزاء الأوفى، وحشره مع الصالحين والأولياء والتابعين والصحابه والمرسلين في جنّة النعيم. آمين يا رب العالمين.

وكلمة (أيذا) بمعنى (ابن) بلغة أهل تنبكتو.

¹ - الإمام، الفقيه، الذكي المجتهد، فريد الزمان ووحيد العصر والأوان. أخذ عن المغيلي وتلمذ عليه وحضر دروسه.

² كان فقيهاً عارفاً أديباً شاعراً ماجداً فاضلاً نزيهاً خبيراً. أخذ عن المغيلي وتلمذ عليه وحضر دروسه.

³ كان عالماً زاهداً ولياً عابداً عارفاً صالحاً مشهوراً كثير البركة.

⁴ - الحافظ لكثير من فنون العلم وعلومه، رحل إلى بعض بلدان المغرب وأخذ العلم منها، وقد أخذ عن المغيلي وتلمذ عليه، وحضر دروسه.

المبحث الثاني: التعريف بكتابه في البلاغة:

ترك لنا الإمام محمد بن عبد الكريم في مجال البلاغة العربية كتابين مشهورين ضمن مؤلفاته المعروفة، وكان قد ألفهما لطلبته وتلاميذه ومريديه، وكل من يتبغي دراسة ومعرفة هذا العلم والفن من علوم العربية، خاصة وأنه قد كان يؤدي واجبه التعليمي والتربوي، فرأى من الواجب والضرورة وضع مثل هذين المؤلفين لهؤلاء، حتى يمكنهم استيعاب البلاغة في شكل بسيط وسهل، وفي لغة واضحة، وأسلوب بعيد عن الغموض والتعقيد.

الكتاب الأول: «التبيان في علم البيان»، وهو تلخيص ومترج بين كتابين في البلاغة العربية هما: كتاب «تلخيص المفتاح» للخطيب القزويني، وكتاب «مختصر تلخيص المفتاح» لسعد الدين التفتازاني. وكأته بهذا العمل يريد ويتبغي مختصر المختصر.

والكتاب منشور مع شرحه المعروف «شرح التبيان في علم البيان»، وقد قام الدكتور أبو أزهر هانم بلخير بدراسته وتحقيقه ضمن «شرح التبيان في علم البيان» لنيل درجة الدكتوراه بجامعة محمد الخامس بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط بالمملكة المغربية، وذلك سنة 1994م¹.

¹-وقد طبع الكتاب ضمن منشورات محمد علي رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2010م. كما أعيد طبعه ضمن الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبد الكريم المغيلي في ستة أجزاء، وهو الجزء الخامس في السلسلة، في طبعة خاصة، دار البلاغ للنشر والدراسات والبحوث، الجزائر 2013م.

الكتاب الثاني: «شرح التّبيان في علم البيان»، وهو عبارة عن شرح لكتابه الأول «التّبيان في علم البيان»، حيث قام الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي بشرح كتابه الأول، فقد رأى لزوم بسط الكلام فيه، لتوضيح العبارة، وبيان الغامض، ودفع التّوهم، الذي يمكن أن يقع فيه التّلاميذ والطلّبة والدّارسون لعلم البلاغة من خلال كتابه الأول المختصر. وقد قام الدكتور أبو زهر هانم بلخير بدراسته وتحقيقه لنيل درجة الدكتوراه بجامعة محمد الخامس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط بالمملكة المغربية، وذلك سنة 1994م¹. ومع الشّرح والإيضاح كانت له زيادات وإضافات من عنده، مع التّعقيب والمراجعة والمعارضة والتّفصيل وإعادة التّرتيب. «وإذا الكتاب مصدر بلاغي شامخ بعزيمته يناطح عواقي المؤلفات في باب»².

وموضوع الكتاب هو علم البلاغة في أقسامها الثلاثة: «علم المعاني»، و«علم البيان»، و«علم البديع»، في مختلف المسائل والأبواب التي يحتويها كل قسم. وقد جاء الكتاب في قالب تعليمي، في عبارته وأسلوبه واختصاره، مقتفيا فيه مدرسة أبي يعقوب السّكاكي، مازجا في عمله هذا بين كتابي «تلخيص المفتاح» للخطيب القزويني و«مختصر تلخيص المفتاح» لسعد الدّين التّفّازاني، فجاء عمله «حين سوّق القول مرّجا ثم

¹ - وقد طبع الكتاب ضمن منشورات محمد علي رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطّبعة الأولى 2010م. كما أعيد طبعه ضمن الأعمال الكاملة للشّيخ محمد عبد الكريم المغيلي في ستة أجزاء، وهو الجزء الخامس في السلسلة، في طبعة خاصة، دار البلاغ للنشر والدّراسات والبحوث، الجزائر 2013م.

² - محمد بن عبد الكريم المغيلي، شرح التّبيان في علم البيان، دراسة وتحقيق أبو زهر بلخير هانم، منشورات محمد علي رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطّبعة الأولى 2010م، مقدمة المحقق، ص 89.

شرحاً، فتجلى بزيادة من عنده أحياناً للإيضاح، أو إضافة جديد، أو تعقيب، أو مراجعة، أو معارضة، أو تفصيل، أو إعادة ترتيب أو بنقص في العبارة غير محل غالباً، عندما يقتضي ذلك النقص تجانباً للحشو وتنايماً عن التّشز، وهُيُبا من بعث السّأم، بل في أحيان كثيرة ظلّ يكتفي بعبارة القزويني والتّفتازاني مزجاً، كما وردت في المختصر¹.

ثم مع الاختصار والشرح والبيان والتّوضيح، لا يقف موقف الناقل فقط، بل يعمل على مناقشة العديد من الآراء، أو معارضتها، أو إغنائها بالبحث والزيادة، عارضاً رأيه وقناعاته.

المبحث الثالث: مكانة كتابه «شرح التّبيان في علم البيان» وأهميته في موضوع البلاغ.

وكتاب «شرح التّبيان في علم البيان» للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي دراسة شاملة للبلاغة العربية في جميع فنونها وأبوابها، «البيان، والمعاني، والبديع». وقد تجلّت أهمية هذا الشّرح ليس فقط في المجال البلاغي، بل في جميع ما تُبنى عليه البلاغة العربية، فهذا الشّرح غني بالفوائد النّحوية والصّرفية، واللّغوية والمنطقية، والتّفصيل في كثير من مسائلها وقضاياها، زيادة على إيراد كثير من الأحكام التّقديمية ووجهة نظر العلماء فيها ومناقشتها وتحليلها والرّد عليها عند الاقتضاء، مع كثرة الاستشهادات وتنوعها، وذكر محل الشّاهد فيها.

وكتابه هذا «جدير بأن يُضاف إلى المكتبة العربية في فنّه. فهو مصدر بلاغي يجوز عدّه تعليمياً من المستوى الرّفيع. بذل فيه صاحبه من يدٍ خبيرةٍ بأسرارِ هذا العلم مُطلّعة على

¹ - محمد بن عبد الكريم المغيلي، شرح التّبيان في علم البيان، دراسة وتحقيق أبو زهر بلخير هانم، مقدمة المحقق، ص 90.

مُتباين تفريعاته، ذلك أنّ البلاغة ليست إلا صورة نهائية لذوق الأمة التّقدي في ناحية من نواحي أدائها الأدبي»¹.

كما أنّ الكتاب لبنة مهمة في تاريخ تأليف العلماء الجزائريين في موضوع البلاغة العربية، خاصة في حواضر منطقة توات وما يحيط بها.

كما أنّ هذا الكتاب دليل على الذكاء مع القدرة والتّمكن والاعتدال، التي يتمتع بها الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، وأخذة بناصية هذا العلم وفنونه المختلفة، بل وبراعته فيه والإحاطة بكل موضوعات فنونه ومصطلحاته وأصوله وفروعه.

واهتمام الإمام محمد عبد الكريم المغيلي بكتاب «تلخيص المفتاح» لسعد الدّين التفتازاني، وبكتاب «تلخيص المفتاح» للخطيب القزويني ليس بدعا من العمل، بل هو اتجاه عرفه الدّرس البلاغي الجزائري في عديد محطاته التاريخية، قبل الإمام المغيلي، حيث وجدنا من البلاغيين الجزائريين من اتجه إلى كتاب مختصر على المطوّل في شرح مختصر الخطيب القزويني لسعد الدّين التفتازاني. وذلك من خلال الشّرح أو الاختصار أو الحاشية: فقد وضع الإمام أبو عبد الله محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني الحفيد. (ت842هـ) حاشية على مختصر السّعد التفتازاني سمّاها: «حاشية على مختصر سعد الدّين التفتازاني على تلخيص المفتاح»². وأقام الإمام أحمد بن أحمد بن قاسم العقباني العبادي التلمساني (ت981هـ) حاشية على

¹ - محمد بن عبد الكريم المغيلي، شرح التّبيان في علم البيان، دراسة وتحقيق أبو زهر بلخير هانم، مقدمة المحقق، ص 99/98.

² - حُقق الكتاب عديد التّحقيقات، ونُشر في كثير من الطّبّعات.

مختصر التفتازاني وهي الحاشية المعروفة في كتب البلاغة: «حاشية على مختصر المعاني والبيان»¹.

كما وضع الإمام أبو العباس أحمد بن حسن بن قنغد بن الخطيب القسنطيني. (ت810هـ). شرح تلخيص المفتاح للقزويني سّمّاه: «التلخيص في شرح التلخيص»² أو «التمحيص في شرح التلخيص»³. وكذلك فعل الإمام أبو العباس أحمد بن محمد المغراوي التلمساني المشهور بابن زاغو. (ت845هـ). الذي له في البلاغة: «شرح تلخيص المفتاح لجلال الدين القزويني»⁴. وفعل مثله أيضا الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن فائد بن موسى النبروني الزّواوي التّجار القسنطيني، (ت857هـ). الذي له في البلاغة العربية شرح كتاب «تلخيص المفتاح» للقزويني في مجلد سّمّاه: «شرح تلخيص المفتاح» أو «تلخيص التلخيص»⁵. ومثلهم فعل الإمام أبو الحسن علي بن محمد القلصادي الأندلسي التلمساني. (ت891هـ) الذي له في البلاغة شرح كتاب تلخيص المفتاح للخطيب القزويني المعروف بـ «شرح التلخيص في المعاني والبيان».

1- حُقق الكتاب عديد التحقيقات، ونُشر في كثير من الطّبعات.

2- انظر: ابن قنغد القسنطيني، الوفيات، حَقَّقَه وعلَّق عليه عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت لبنان، الطّبعة الرَّابعة، 1403هـ/1983م، ص 16.

- وهو مذكور ضمن قائمة مخطوطات المكتبة الوطنية المغربية ص 134. وضمن قائمة مخطوطات المكتبة الوطنية التّونسية ص 15.

3- انظر: ابن قنغد القسنطيني، الوفيات، تحقيق وتعليق عادل نويهض، ص 16.

4- انظر: بشير ضيف، فهرست معلمة التّراث الجزائري بين القلم والحديث، مراجعة عثمان بدري، مطبعة ثالة، الطّبعة الثّانية، الجزائر، دون تاريخ، ص 370.

5- أنظر: أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي الشّهير بابن القاضي، درّة الحجال في غرة أسماء الرّجال، تحقيق محمد أحمد أبو التّور، مكتبة دار التّراث، القاهرة، 1391هـ/1971م، الجزء الأوّل، ص 193.

فمن خلال هذا الكم من المؤلفات لعلماء الجزائر في عصور مختلفة قبل الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، يتجلى لنا أنّ العلماء الجزائريين قد عرفوا كتاب مختصر المفتاح للخطيب القزويني، وعرفوا أيضا كتاب المختصر لسعد الدين التفتازاني، فكانا عندهم المرتكز والأساس الذي دارت عليه مختلف الأعمال والدراسات البلاغية الجزائرية، فكانا عماد الدرس البلاغي في أكثر الحواضر العلمية الجزائرية، فتشكل لهم بذلك مدرسة أو اتجاهها بلاغيا قائما على جعل هذين الكتابين مرتكزا أساسيا في الدرس البلاغي العربي في منطقة المغرب الأوسط أو منطقة الجزائر.

وعلى هذا فالإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي لم يكن بدعا حين اتخذ هذين الكتابين محورا لدرسه البلاغي في الحواضر التي كان يباشر فيها مهامه التعليمية والتربوية، وإنما كان امتدادا للمدرسة الجزائرية في اعتمادها على هذين الكتابين ضمن المقررات الدراسية والتعليمية، وضمن المنظومة التعليمية العامة التي بسطت معالمها على مختلف الحواضر في مختلف المناطق الجزائرية.

المبحث الرابع: التّأليف البلاغي قبل الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي:

ربما كان «كتاب البيان» لأبي جعفر أحمد بن نصر الداودي (ت 402هـ)، من أوائل الكتب المدونة في البلاغة العربية في الجزائر، وربما في المغرب عموما، التي مهدت لنشأة التّأليف في البلاغة العربية في هذه المنطقة، غير أنّه بكل أسف يعتبر من التّراث الذي ضاع ولم يصلنا منه إلاّ عنوانه، فهو اليوم في حكم المفقود، وأنّ هذا الكتاب ممّا ألّف في البلاغة في ذلك الوقت.

غير أنّ أهم وأقدم كتاب في البلاغة وصلنا هو كتاب «العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده» لابن رشيق المسيلي ثم القيرواني (ت456هـ) في القرن الخامس الهجري، الذي يُعد أول ما دُوّن وألّف في علوم البلاغة في بلاد المغرب عموماً وصلنا واطلعنا عليه، فنحن لا نعلم كتاباً في البلاغة في منطقة المغرب متداولاً أُلّف قبل هذا التاريخ. وهو بهذا يمثل مرحلة النشأة في هذه البلاد، «التي كانت مرحلة استيعاب للثقافة البيانية المشرقية مع آراء وملاحظات نقدية وبيانية غير نسقية»¹، وهي الملاحظات التي عرفت رواجاً وتداولاً في فصول من العمدة² وبعض المؤلفات البلاغية الأخرى التي جاءت لاحقاً.

وكتاب العمدة يعتبر خلاصة ما استوعبه ابن رشيق من مؤلفات المشاركة ثم زاد عليه، وقدمه وفق منهجية خاصة تتناسب والخاصية الفكرية والثقافية والتعليمية للمجتمع الذي يعيشه.

كما يمثل كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني (ت684هـ) في القرن السابع الهجري، مع بعض كتب أخرى مرحلة النضج³، من خلال المنهج التسقي والمفاهيم الواضحة والمضبوطة.

¹ - أبو المطرف أحمد بن عميرة، التنبهات على ما في البيان من التموهيات، تقديم وتحقيق محمد بن شريفة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، الطبعة الأولى 1991م، المقدمة ص 5/6.

² - عبد الجليل ناظم، البلاغة والسلطة في المغرب أحمد بن محمد بن يعقوب الؤالي، الطبعة الأولى، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية 2002م، ص15.

³ - محمد مفتاح، التلقي والتأويل مقارنة نسقية، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ص 17 وما بعدها.

أما المرحلة الثالثة وهي التي جاءت بعد السكاكي بتلقي كتابه مفتاح العلوم ثم التلخيصات التي أقيمت حوله مغربا ومشرقاً¹. والشروح حول تلك التلخيصات خاصة منها شروح تلخيص القزويني².

وتعتبر هذه المؤلفات البلاغية استجابة للحاجيات التعليمية لعصور أصحابها والمتلقين عنهم. وقد سعى أصحابها إلى معالجة إشكال التعليم والتغلب على معوقات التحصيل، فكانت هذه المؤلفات قد أُعدت بادئ الأمر لغرض التعلم فكانت معتمدة في برامج التعليم حتى عصور متأخرة، وقد أشرنا إلى أهم تلك المؤلفات التي أصبحت تُشكل منهاجاً أو اتجاهها بلاغياً جزائرياً خالصاً في المبحث السابق.

المبحث الخامس: موضوعات ومباحث كتابه «شرح التبيان في علم البيان».
إنّ المتبع والقارئ لكتاب «شرح التبيان في علم البيان» للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي يجده جامعا لكل أبواب البلاغة، حيث يأتي بالتعريف الموجز المختصر للمصطلح أو الموضوع أو الفن البلاغي ثم يتبعه بالشرح المفصل لكل أجزاء التعريف، مردفاً ذلك بالشواهد اللازمة للتدليل أو البيان، أو المناقشة، أو الترجيح للمسألة التي هو بصدد معالجتها، مع مناقشة ذلك كلّه بأسلوب علمي رزين.

وقد اشتمل كتاب «شرح التبيان في علم البيان» على المحاور التالية:

أولاً: المقدمة: وذكر فيها الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، موضوع الفصاحة، من فصاحة الكلام والمتكلم في المفرد والتركيب، ثم ذكر بلاغة الكلام وبلاغة المتكلم.

1 - محمد مفتاح، التلقي والتأويل مقارنة نسقية، ص 17.

2 - عبد الجليل ناظم، البلاغة والسلطة في المغرب أحمد بن محمد بن يعقوب الولايلي، ص 16.

ثانيا: علم المعاني: بدأ حديثه عن البلاغة في موضوعها بعلم المعاني مبرزا أهم أبوابه، من أحوال المسند إليه، من تكبير، وتعريف، وتأخير، وعطف، وحذف، وذكر. ثم ذكر أحوال المسند، من قصر، وإنشاء، وإيجاز، وإطناب، ومساواة، وفصل، ووصل.

ثالثا: علم البيان: وذكر فيه، المجاز، والكناية، والتشبيه، والمجاز المفرد، والاستعارة، والمجاز المركب.

رابعا: علم البديع: وذكر فيه المحسنات المعنوية واللفظية من مطابقة، ومراعاة التّظير، والمشكلة، والمزاوجة، والعكس، والرّجوع، والتّورية، والاستخدام، واللفّ والتّشر، وغيرها من المحسنات، والتي ذكر منها أكثر من أربعين محسنا.

خامسا: الخاتمة: وقد ذكر فيها عديد الموضوعات التي تلحق بالبلاغة منها: الأخذ بالظاهر، والأخذ بغير الظاهر. وما يشبه السرقات الشعريّة، والاقتباس، والتّضمين، والعقد، والحل، والتّلميح.

المبحث السادس: التّجديد البلاغي عند الإمام المغيلي.

لم يكتب الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في اختصاره، أو في شرحه لكتاب «تلخيص المفتاح» للخطيب القزويني، وكتاب «تلخيص المفتاح» لسعد الدين التّفتازاني بتبسيط وتيسير المسائل والموضوعات البلاغية التي تناولها في كتابيه لطلبته وتلاميذه ومريديه، بل ضمّن شرحه عديد الآراء والاجتهادات الخاصة به في كثير من المباحث البلاغية. فهو «حريص على إبراز كفاءته في مجال البلاغة. يظهر ذلك ليس فقط في تصرفه البيّن في إنتاج القزويني والتّفتازاني، بل تجاوز ذلك مُدليا بدلوه في غايات علوم البلاغة، كان إذا استوقفته قضية بلاغية يرى الحاجة إلى رأي مخالف أو موقّف أو موضح، لم يأل جهدا للمسارعة في إبدائه، معتدّا بنفسه

ورافعًا شعارًا قويًا متجليًا في كلمة: «فقلت». وإذا هو يُناظر بل يُطرح في إطار ما يسمى بأسلوب «الفنقلة».

والظاهر أنه لا يكتفي بذلك، وإنما يتجاوزه إلى ملاحظات، في شكل فوائد أو تنبيهات، يبرز فيها رأيه معززًا برأي غيره¹.

ففي علم البيان نجدّه يشير إلى كثير من المسائل الاجتهادية منها: في حديثه عن الكناية الذي استوقفته عباراتها. فإذا هو يُؤثر استعمال: «مع جواز إرادة ما وُضع له» مكان «مع إرادة ما وُضع له»، مُنبِّها على سبب هذا الاختيار الاصطلاحي². كما نجدّه أدخل في تعريف التشبيه ما يُسمى «تشبيها بلا خلاف» وما يُسمى «تشبيها على القول المختار»³. وحين عرّف الاستعارة أضاف في تعريفها بحسب اجتماع الطرفين ما يسمى «تملُّك الاستعارة» ويكون حين يمكن اجتماعهما في شيء⁴. كما أطلق «تشبيه الاستعارة» على التّرشيح المنفرد المشتمل على تحقيق المبالغة فيه، والذي يُعدّ أبلغ أقسام المرشحة⁵. كما أنه جوّز إطلاق «التّمثيل» من غير تقييد على المجاز المركب المسمى «التّمثيل على سبيل الاستعارة»⁶، ودكّر «أنّه متى فشا استعمال المجاز المركب على سبيل الاستعارة، سُمّي مثلا»⁷.

¹ - محمد بن عبد الكريم المغيلي، شرح التّبيان في علم البيان، دراسة وتحقيق أبو زهر بلخير هانم، مقدمة المحقق، ص 78/77

² - المصدر نفسه، ص 249.

³ - المصدر نفسه، ص 254.

⁴ - المصدر نفسه، ص 279.

⁵ - المصدر نفسه، ص 288.

⁶ - المصدر نفسه، ص 289.

⁷ - المصدر نفسه، ص 290/289.

وحيث ساق تعريف التّفْتَازاني للمجاز المركب في تخصيصه بالاستعارة وأنّ فيه نظرا، لأنّه في نظر الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، كما تكون المفردات موضوعة بحسب الشّخص، فالمركبات موضوعة بحسب النّوع، فإذا استعمل المركب في غير ما وُضع له، فلا بد أن يكون ذلك لعلاقة، فإن كانت هي المشابهة فهي استعارة وإلا فغيرها¹. وردّ عليه بقوله: «قلْتُ: وإن سلّم ذلك كلّهُ فهو اعتراض على الاصطلاح المتعارف بين أرباب الفن والله أعلم بالصّواب»².

وفي علم المعاني نجده أيضا يقدّم لنا مسائل أخرى اجتهادية يقول في بعضها: فقد ألفيناه بيدي بشأن تعريف المسند إليه أيضا لحقيقة مصطلح «التّعريف» بحث دكّر أنّ: «جعل الدّات مشارا بها إلى خارج مختص إشارة وصيغة»³، وحين شرح تأكيد المسند إليه اختار استعمال لفظة «رُفِع» مكان لفظة «دُفِع» التّوهم⁴. وهو ما فعله أيضا حين شرح عطف المسند إليه ليستعمل لفظة «دُفِع» كما في التّليخيص والمختصر لما بين المصطلحين من مشاركة في معنى الإقصاء⁵. كما أنّه أضاف مصطلح «الاحتباس» مرادفا للتّكميل، الذي يؤتى في كلام يوهّم خلاف المقصود بما يدفعه⁶.

¹ - محمد بن عبد الكريم المغيلي، شرح التّبيان في علم البيان، دراسة وتحقيق أبو زهر بلخير هانم، ص 291.

² - المصدر نفسه، ص 291.

³ - المصدر نفسه، ص 154.

⁴ - المصدر نفسه، ص 158.

⁵ - المصدر نفسه، ص 162.

⁶ - المصدر نفسه، ص 209.

وفي علم البديع يذكر لنا آراءه الاجتهادية في عدد من الموضوعات منها: حين سَمِيَ «المطابقة» «وضعية» على طريق الاتفاق¹. كما أنه جعل لفظ «التكافؤ» مرادفا «للمطابقة» مخالفا بذلك السكاكي وغيره ممن وافقوا السكاكي على ذلك². وفعل نفس الأمر مع مصطلح «التدريج» فعرفه لغويا ثم اصطلاحيا بحيث صرح بمخالفة السكاكي وغيره في أنه جعل «التدريج» في عداد «المطابقة» وليس قائما بذاته ضمن المحسنات المعنوية³. كما أحق «المطابقة» ما أسماه: «الإلحاق»، وهو أن يجمع بين معنيين غير متقابلين بلفظين معناهما الحقيقيان متقابلان⁴.

وفي باب الجناس التام زاد قسما سادسا على الخمسة التي ذكرها في المختصر والتلخيص «جناس التلفيق» وهو الذي يكون فيه كل من المتجانسين مُرَكَّبًا⁵.

وهذه الأمثلة والنماذج التي سُقناها على اجتهاداته وإضافاته وردوده واستدراكاته، تدل على أن الرجل له باع طويل، وفهم عميق، وقدرة فائقة، وتمكن عجيب، واستيعاب وإحاطة بجميع فنون البلاغة في مختلف أبواب فنونها وأقسامها، وأن الرجل له من القدرة والجرأة على اقتحام هذا الميدان والخوض فيه، مع الاجتهاد وإبداء وجهة النظر الخاصة والمتفردة في موضوعه.

¹ - المصدر نفسه، ص 310/309.

² - المصدر نفسه، ص 310.

³ - محمد بن عبد الكريم المغيلي، شرح التبيين في علم البيان، دراسة وتحقيق أبو زهر بلخير هانم، ص 312.

⁴ - المصدر نفسه، ص 314.

⁵ - المصدر نفسه، ص 363.

وإذا كان الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي قد قدّم كل هذا فهو دون شك مُجدد في موضوع البلاغة، فالتّجديد ليس التّخلي عن القديم والإتيان بالجديد في مكانه خلفاً له، بل التّجديد هو أن تعيد وتحيي من جديد ما يمكن أن يكون قد اندرس أو غمض، أو أصابه تعقيد وصعوبة وعلّة في الفهم والإدراك، ثم تدفع بالنّاس إلى تمثله واستيعابه والعودة إلى معينه ومنبعه الأول، وأصله الذي نبت وترعرع فيه حتى يبدو من رغم قدمه كأنّه جديد، فهو إعادة إنتاج للقديم بشكل ومنهج جديد.

ثم انظر بعد ذلك إلى الأمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في جهوده في إحياء الدّرس البلاغي «كيف جمع أعمالاً شتى وهي من التّجديد، فالاختصار بتجديد، والشّرح بتجديد، والترتيب والتّهذيب بتجديد، وتوضيح المشكل بتجديد، وجمع ما تفرقت أبوابه ومباحثه بتجديد، وإضافة ما انقح في الدّهن من أفكار أسمى مراتب التّجديد، وأرجى مقاصد التّأليف التي حصرها وعدّها علماؤنا المتقدمون»¹ زد على ذلك أليس إيراد الشّواهد الكثيرة والجديدة عبر مختلف العصور من التّجديد، وأليس مناقشة المسائل وترجيح بعضها وردّها بعضها الآخر وإبطالها من التّجديد، وأليس تحديد مفاهيم مغايرة واستبدال مصطلحات بغيرها، وتصنيفها على غير المنهج المتعارف عليه بتجديد، ثم أليس صنيع الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال التّليخيص ثم شرح التّليخيص من الجهود التي ترمي إلى تيسير وتبسيط الدّرس البلاغي مراعاة لقدرات التّلاميذ والطلبة، ودون شك أن هذا التيسير أيضاً من التّجديد في بسط وتعليم وشرح وتقديم البلاغة إلى المتلقين على منهج واتجاه غير متبادل وغير متعارف عليه من قبل.

¹ - عمر بوقمرة، عبد الرّحمن الأخضرري المجدد البلاغي دراسة مقارنة، مجلة دراسات، المجلد الخامس، العدد الثّاني، ديسمبر 2016م، ص 132.

المبحث السابع: منهجه وأسلوبه في كتابه «شرح التبيان في علم البيان».

ورد كتاب «شرح التبيان في علم البيان» في أسلوب بليغ فصيح قوي، يتسم بالسهولة والوضوح، فهو أقرب إلى التركيز والتكثيف والإيجاز، نتيجة لاختياراته اللغوية المحكومة بالإطار الموسيقي، خاصة وأنه جمع بين التنظير القائم على تحديد المصطلحات البلاغية وتعريفها، وبين التطبيق القائم على الاستعانة بالشواهد القرآنية والحديثية والشعرية الكاملة التي توضح البنية البلاغية الكاملة، وتُبرهن على تحقُّقها الابداعي في الخطاب البلاغي القديم. فأسلوب هذا الكتاب سهل يسير مُيسر، سهل ويتيسر حفظه واستيعابه من جانب المتلقين والدارسين لعلم البلاغة من طلاب وتلاميذ ومريدين، من الذين يميلون إلى فن التلخيصات والشروح الميسرة، ويجعلونها مقررهم الأول في دراسة البلاغة العربية. وقد أكثر الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في كتابه هذا من المصطلحات البلاغية والألفاظ التي لها علاقة بالبلاغة العربية، حتى تؤدي غرضها، وتحقق هدفها، وتصيب غايتها، خاصة منها التربوية والتعليمية والعلمية.

المبحث الثامن: مصادر كتابه «شرح التبيان في علم البيان».

تُعتبر المصادر من الأساسيات التي يقوم عليها الدرس البلاغي، لأنها المفتاح الذي من خلاله نلج إلى مختلف المغاليق لنفتحها، ونُطل من خلالها على كل الحبايا التي كانت مستترة ومتوارية في حُجُبها حول قضايا الدرس البلاغي وموضوعاته وقضاياه ودلالاته، ولهذا نجد أنّ الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي لتجلية وبيان تلك القضايا التي أراد أن يدرسها وظّف العديد من المصادر التي اعتمدها، فكانت متكأً له لتجلية تلك القضايا وبيانها، سواء كانت تلك المصادر لها علاقة مباشرة بالموضوع الذي هو بصدد معالجته ودراسته أو من خلال

مصادر أخرى يمكنه أن يمتح منها مسائل تخدم الموضوع الذي هو بصدد معالجته، وعموما يمكننا وصف تلك المصادر حسب المستويات التالية:

- **المصادر الأساسية:** فمن المصادر الأساسية التي استقى منها مادته العلمية وخاصة منها البلاغية نجد أمهات الكتب البلاغية، والتي نذكر منها: كتاب «تلخيص المفتاح» لسعد الدين التفتازاني، وكتاب «تلخيص المفتاح» للخطيب القزويني، وكتاب «الإيضاح شرح تلخيص المفتاح» للخطيب القزويني، وكتاب «مفتاح العلوم» لأبي يعقوب السكاكي، وكتاب «أسرار البلاغة» لعبد القاهر الجرجاني، وتفسير «الكشاف» للزمخشري.

- **المصادر المساعدة:** ومن المصادر المساعدة التي اعتمدها الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في مقارنته البلاغية كتب النحو خاصة، وإن لم يفتح عنها، ولم يُلَوِّح بالنقل منها وهو عادته وديدنه في جميع أبواب كتابه. وربما يرجع ذلك إلى تمكنه واقتداره في علم النحو، فرما نظم أبياتا في الجمل التي لا محل لها من الإعراب¹.

- **المصادر الثانوية:** وقد نقل كثير من الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها التي لم يفتح عنها ولم يصرح بها، ويبدو أنه اعتمد كتاب «الموطأ» للإمام مالك، وكتاب «صحيح الإمام البخاري»، وكتاب «صحيح الإمام مسلم» وكتاب «الجامع الصحيح»

¹ - محمد بن عبد الكريم المغيلي، شرح التبيان في علم البيان، دراسة وتحقيق أبو زهر بلخير هانم، مقدمة المحقق، ص 79.

والأبيات التي نظمها في الجمل التي لا محل لها من الإعراب، هي قوله:

سَبَّعَ مِنَ الْجُمَلِ أَحْفَظَهَا مُفَصَّلَةً***لَهَا مَحَلٌّ مِنَ الْإِعْرَابِ مُشْتَهَرًا
الْوَقْعَةُ خَبْرًا أَوْ حَالًا أَوْ تَابِعَةً***أَوْ كَالْمُضَافِ أَوْ الْمَفْعُولِ حَيْثُ تَرَى
كَذَا الْمِحَابُ بِهَا شَرْطٌ وَتَابِعَةٌ***جُمْلَةٌ فِي مَحَلٍّ حَسْبَمَا ذُكِرَا

للترمذي، وكتاب «السنن» لابن ماجه، وكتاب «السنن» لأبي داود، وكتاب «السنن» للنسائي، وربما استخدم بعض كتب الأحاديث المشتهرة على ألسنة الناس¹.

المبحث التاسع: تعليمية البلاغة من خلال كتابه «شرح التبيان في علم البيان»

من مظاهر تعليمية البلاغة، التوجه نحو تصنيف المختصرات، والتي تعد نمطا من التأليف يلجأ إليها أصحابها لاختصار المطولات من الكتب والرسائل، لغرض تيسيرها وتسهيل تناولها، وتبسيط القواعد والمسائل التي تعالجها وتدرسها، حتى يتمكن طلبة العلم من فهمها واستيعاب المسائل والقواعد والأصول العلمية فيها، وهو ما قام به الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي حين اختصر كتاب «مختصر تلخيص المفتاح» لسعد الدين التفتازاني في البلاغة، وكتاب «تلخيص مفتاح العلوم» للخطيب القزويني.

كما أنّ الشروح هي الأخرى تعتبر وسيلة فعالة في إيضاح البلاغة وتبسيط مسائلها وتيسير قواعدها، وتحديد مصطلحاتها بدقة، وتبرز أهمية الشرح في تيسير البلاغة العربية، من خلال إعادة الإنتاج مرة أخرى، وما يتضمنه ذلك من استدراقات وملاحظات وتصويبات وإيراد شواهد جديدة، فيكون بذلك تقديم عرض جديد للموضوعات في منهج جديد لتمكين التلاميذ والطلبة من استيعاب مسائل البلاغة وموضوعاتها، مع السعي إلى تخلص الدرس البلاغي مما علق به من شوائب أدت به إلى الغموض أو التعقيد أو غير ذلك.

فإنّ التلخيص ثم شرح التلخيص هو منحى نحو المنهج التعليمي الذي هدفه تنوير الطلبة والتلاميذ بخبايا اللغة العربية وأسرارها ومعانيها ودلالاتها.

¹ - محمد بن عبد الكريم المغيلي، شرح التبيان في علم البيان، دراسة وتحقيق أبو زهر بلخير هانم، مقدمة المحقق، ص 79.

كما أنّ من مظاهر التّعليمية في شرح الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي الاستطراد في تحليل المسائل العويصة والصّعبة الإدراك، ثم تبسيط المسائل المعقدة والغامضة، مع الاستعانة بكثرة الشّواهد وتنوّعها، مع المزج بين الجانب النظري والجانب التّطبيقي.

ومن طرقه التّعليمية أيضا التي نحاها في كتابه ما كان يعتمد من أنماط حوارية، فمن ذلك اعتماده أسلوب «الفنقلة» «فإن قلت...قلت»، وهذا المسلك انتحاه في شرحه كلّ، وربما يرجع ذلك إلى تكوينه العلمي وميله المنطقي القائم على الإقناع والتأثير.

ومن طرق كتابته أيضا أنّه آثر المحاورّة التّعليمية الموفية بالغرض والتي انتقى لها أسلوبها القائم على عبارات «فوائد» أو «فائدة»، و«تنبيهات» أو «تنبيه» في كنف التّأليف، حتى إذا تهيّب السّام على القارئ درأ عنه ذلك بقوله: «اعلم» أو «واعلم وفقنا الله وإياك» أو «فتأمل ذلك» أو «الله الموفق للصواب»، أو «فالله أعلم» وغيرها...

المبحث العاشر: شواهد كتابه «شرح التّبيان في علم البيان»:

يمثل الشّاهد المرجعية الأولى التي يلجأ إليها العلماء من اللّغويين والبلاغيين وغيرهم، لتفسير التّصوص على اختلافها، والتّدليل على الظواهر باختلافها وتنوعها، وأصبح الشّاهد هو المرتكز الذي تقوم عليه هذه التّفسيرات، واتخذ الشّاهد مكانته في الدّراسات البلاغية للكشف عن الجوانب الفنية والجمالية والدّلالية، وقد وعى الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي جيّدًا مكانة الشّاهد في بنية الدّرس البلاغي العربي، وعليه أقام كتابه «شرح التّبيان في علم البيان» على تضمين الشّواهد الكثيرة المختلفة والمتنوعة.

ويمكننا بعد معرفتنا لمنهج الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في إيراد الفنون والمصطلحات البلاغية في كتابه «شرح التّبيان في علم البيان»، وبعد المراجعة والنّظر الدّقيق أن نستنتج

المرتكرات التي تقوم عليها منهجته في إيراد الشواهد والأمثلة في شرحه هذا، وتقديمها إلى القارئ، والتي نوجزها في العناصر التالية:

أولاً: الشواهد القرآنية:

أكثر الإمام محمد بن عبد الكرم المغيلي من الشواهد القرآنية بحيث طغى على بقية الشواهد الأخرى من حديث وشعر وغيرهما. وربما يرجع ذلك بحكم أنه اشتغل كثيرا بالتفسير تدريسا وتأليفا¹، كما أنه كان متأثرا بتوجهه الإصلاحى والدعوى في إصلاح الدين والدنيا، والذي قوامه القرآن الكرم وآياته التي يستحضرها في كل آن وحين، لأجل التصويب والتوجيه والإصلاح والشرح والبيان.

ثانيا: شواهد الحديث النبوي الشريف:

كما أنه أيضا أكثر من شواهد الحديث النبوي الشريف التي قاربت المائة حديث، وذلك لأجل تصويب معنى غير صالح شرعا، أو تقديم حجة على بلاغة الكلام النبوي الشريف، أو من أجل تجلية ظاهرة بلاغية معينة، أو ضبط مصطلح، أو غير ذلك².

ثالثا: الشواهد الشعرية:

كما أورد كثيرا من الشواهد الشعرية لعدد من الشعراء من مختلف العصور، والشواهد الشعرية التي نقلها وذكرها الإمام محمد بن عبد الكرم المغيلي تقوم أو تركز على الخاصيتين أو الركيزتين التاليتين:

¹ - محمد بن عبد الكرم المغيلي، شرح التبيان في علم البيان، دراسة وتحقيق أبو زهر بلخير هانم، مقدمة المحقق، ص 82.

² - المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص 83/82.

-تعدد الأوزان الشعريّة.

-تعدد الرّوي في القصيدة الواحدة.

وحيث يورد تلك الشّواهد الشعريّة نجده بيدي حرصه البالغ على توثيق نسبة هذه الشّواهد إلى أصحابها وقائلها، وهو ما بدا في أغلب الشّواهد التي نقلها وذكرها لنا في شرحه هذا.

منهجه في إيراد الشّواهد:

وقد كانت له منهجيته الخاصّة في إيراد الشّواهد والتّدليل بها على القضايا التي هو بصدد معالجتها وبيان ما يرتبط ويتصل بها، ويمكن أن نحدد أهم تلك المعالم التي قامت عليها هذه المنهجية في المحاور التّالية:

1- إبراز العلاقة بين الشّاهد والمصطلح:

من خلال الكشف عن فعالية الشّاهد البيانية، وتحديد موضع ودقة الشّاهد في التّمثّل فيه وبيان وجهه، كما يشير إلى ضرورة إحراز أقصى غايات هذا التّمثّل في العلاقة بين الشّاهد والمصطلح، وعلى هذا الأساس نجده يلجأ أحيانا إلى تقديم عرض لسياق بيت الشّاهد الموضوعي، أو تفسير لغوي له، فانعا بقدرة هذا أو ذاك على تبين المحتوى البياني للشّاهد، ويذهب أحيانا أخرى إلى إحكام تفسير الشّاهد معنويا وسياقيا وبلاغيا، وقد يصدر أحكاما تقويمية لتحديد مدى فعالية الشّاهد في تمثّل الفن البلاغي.

2- ذكر المصطلح البلاغي ويعقبه الشّاهد:

ومن مرتكزات منهجه في كتابه «شرح التّبيان في علم البيان» أن يذكر المصطلح البلاغي ثم يعقبه بذكر جملة من الشّواهد التي تمثّل تحقّقه الإبداعي والفني والبياني.

3-المفاضلة بين الشواهد الشعرية:

وفي سياق تحديد دقة الشاهد وفاعليته في تمثّل الفن البلاغي وإبراز علاقته بالمصطلح البلاغي يعمل على المفاضلة بين الأبيات الشعرية.

المرتكز الثالث: المزوجة بين التنظير والتطبيق:

يلاحظ عن كتاب «شرح التبيان في علم البيان» أنّه استطاع من خلال قدرته الفائقة وتمكنه الواضح واستيعابه لقضايا الشاهد وعلاقته بالجانب اللغوي والدلالي من أن يجمع أو يزوج بين الجانب التنظيري والجانب التطبيقي في سياق تعليمي وتربوي، فيستطيع بذلك تحقيق أهداف وغايات تلخيصه أو شرحه العلمي والبلاغي هذا.

الخلاصة:

يعتبر الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من أعلام البلاغة الجزائريين المحددين الذين أثروا الدرس البلاغي العربي عموماً والجزائري على وجه الخصوص، من خلال ما قدمه من جهود بارزة، واجتهادات رائدة، وآراء قيمة وصائبة في الدرس البلاغي العربي، ومن خلال ما قدمه أيضاً من تلخيص وشرح لكتب بلاغية مشهورة ومتداولة، وفق منهجية متفردة ورائدة استطاع من خلالها أن يعيد إنتاج تلك الكتب البلاغية وتبسيط وتسهيل مسائل البلاغة فيها، وتيسير تداولها وفهم قضاياها، مع ما قدمه من اجتهادات وإضافات على المستوى المنهجي والتحليلي ومصطلحات هذا الفن، مع التيسير لمسائل وقواعد ومصطلحات هذا الفن، إضافة إلى تبسيط الشواهد والأمثلة وحسن توظيفها وشرحها، وتقديم كل ذلك في صبغة تعليمية كان أثرها واضحاً في توجيه الدرس البلاغي وتسهيله مع حسن تقديمه.

قائمة المصادر والمراجع:

- 01- أحمد بابا التنبكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 02- أبو بكر إسماعيل ميغا، الحركة العلمية والثقافية في السودان الغربي من هـ 400 إلى 1100هـ، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، طبعة 1، 1417هـ/1997م.
- 03- بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، مراجعة عثمان بدري، مطبعة ثالة، الطبعة الثانية، الجزائر دون تاريخ.
- 04- أبو بكر ميغا، دعوة الإمام المغيلي العلمية والإصلاحية في السودان الغربي، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد السابع، أكتوبر 1992م.
- 05- عبد الجليل ناظم، البلاغة والسلطة في المغرب أحمد بن محمد بن يعقوب الولايلي، الطبعة الأولى، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية 2002م، ص 15.
- 06- عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر 2007م.
- 07- شخصية الإمام محمد عبد الكريم المغيلي وتراثه العلمي، دراسة وتحقيق علّال بوريق، مؤسسة البلاغ، الجزائر، 2013م.
- 08- أبو عمران الشّيخ وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، الجزائر 1995م.
- 09- أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي الشّهير بابن القاضي، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تحقيق محمد أحمد أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1391هـ/1971م.
- 10- عمر بوقمرة، عبد الرّحمن الأخضرى المجدد البلاغي دراسة مقارنة، مجلة دراسات، المجلد الخامس، العدد الثاني، ديسمبر 2016م، ص 132.

- 11- عبد الرحمن حمّادو الكتبي، مع المغيلي ابن عبد الكريم صاحب نازلة يهود توات حقائق ووثائق، مؤسسة البلاغ، الجزائر 2013م.
- 12- محمد بن عبد الكريم المغيلي، شرح التّبيان في علم البيان، دراسة وتحقيق أبو زهر بلخير هانم، منشورات محمد علي رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطّبعة 1، 2010م
- 13- ابن مريم التّلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986م.
- 14- محمد باي بلعالم، الرّحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، دار هومة الجزائر، الطّبعة الأولى 2005م، الجزء الأول.
- 15- مبروك مقدم، الإمام المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية، مؤسسة الجزائر، الطّبعة الأولى 1422هـ/2002م.
- 16- مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التّلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقية الغربية، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2006.
- 17- مبروك مقدم، حياة وأعمال الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي مقدمات تعريفية: حياته وآراؤه، تأليف جماعي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2022م.
- 18- شخصية الإمام محمد عبد الكريم المغيلي وتراثه العلمي، دراسة وتحقيق علّال بوربيق، مؤسسة البلاغ، الجزائر، 2013م.
- 19- ابن قنغد القسنطيني، الوفيات، حقّقه وعلق عليه عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت لبنان، الطّبعة الرّابعة، 1403هـ/1983م.

- 20- أبو المطرف أحمد بن عميرة، التنبهات على ما في البيان من التّمويهات، تقديم وتحقيق محمد بن شريفة، مطبعة التّجّاح الجديدة، الدّار البيضاء، المملكة المغربية، الطّبعة الأولى 1991م، المقدمة.
- 21- محمد مفتاح، التّلقّي والتّأويل مقارنة نسقية، المركز الثّقافي العربي، بيروت لبنان.
- 22- محمد بن عبد الكريم المغيلي، شرح التّبيان في علم البيان، دراسة وتحقيق أبو زهر بلخير هانم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطّبعة الأولى 2010م.
- 23- يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثّقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطّبعة الأولى 1995م.

منهج الإمام المغيلي في التأليف من خلال نماذج من أعماله تأصيلا وتطبيقا.

أ.د. وسيلة شريط

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة.

تخصص الشريعة والقانون

د. أحمد عوماري، مفتش رئيس

بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف، أدرار.

المقدمة:

إن سنة إحياء ذكرى علماء الأمة الجزائرية ماضية في التنقيب عن الذاكرة الحية للأمة في ماضيها وحاضرها وكذا مستقبلها، ربطا بكيئونة لها امتدادها التاريخي بفضل الله تعالى تثبتنا وتمكيننا قال تعالى: (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) الشعراء/ 84، ولعل لشخصيتنا محل الدراسة -الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي- امتدادها الإفريقي خاصة والإسلامي عامة، تجلت في دقائقها وتفصيلها ملامح الشخصية العلمية والعملية، وكشفت البحوث عنه أحواله في حله وترحاله طالبا للعلم وسالكا فيه المسلك الشرعي، عاملا به أمرا بالمعروف وناه عن المنكر في ثبات وصبر يحسبان له، ولا نزكي على الله أحدا.

إذن يعد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي من أبرز علماء الجزائر الذين نبغوا في العلم، وعرفوا بحسن العمل وشرف المواقف، كما أنه من الأعلام الذين صالوا وجالوا في مختلف البلاد؛ متعلمين ومعلمين، ودعاة مصلحين، مما جعل مؤلفاته جيدة نافعة.

فقد ألف الشيخ المغيلي في مختلف العلوم؛ فألف في العقيدة وأصول الدين، وفي الأخلاق والسلوك، وفي الفقه والسياسة الشرعية، كما تميزت كتاباته في السياسة الشرعية بالواقعية والحيوية، -ناهيك عما تفيض به من علم وصدق وإخلاص-، وذلك بسبب الظروف السياسية التي عاشها والتي كانت تمر بالأمة آنذاك.

ومن الأسباب الدافعة لإنجاز هذا البحث نعصد الآتي ذكره:

- الوقوف على التنوع العلمي والمعرفي قصد الاستفادة منه وإتاحته علميا.
- تلمس منهجية التأليف في عصر الإمام المغيلي مقارنة بما هو متبع بعده.
- بيان نماذج مختارة تكشف تراث الشيخ المغيلي، وذلك مساهمة في إبراز هذا التراث الذي هو من آثار أحد أهم علماء الجزائر خصوصا، وأحد أعلام الأمة الإسلامية عموما، كدليل للدارسين والباحثين.
- وعلى الرغم من وقوفنا على جملة من الدراسات التي تناولت الشيخ المغيلي في جوانب مختلفة وتحليلها برؤى مختلفة ومعقدة، مستحلية للجوانب الظاهرة الجلية، وكاشفة لأخرى خفية لشخصية ما زالت محل إثارة لإشكالات بحثية تجعلها صالحة للدراسة والتحصيص المستمرين تدفعنا لطرح الإشكال الآتي: لماذا يتعدد الطالبون والمحققون والناقولون لمؤلفات وتراث الإمام المغيلي؟

وفي هذا العمل الموسوم ب: **منهج الإمام المغيلي في التأليف من خلال نماذج من أعماله تأصيلا وتطبيقا**، سيتم التطرق لأسلوب ومنهجية الشيخ المغيلي في عموم ما جادت به قريحته من خلال مبحث أول، ثم إسقاط ذلك على بعض كتاباته في السياسة الشرعية كنموذجين لمؤلفات الشيخ ومنهجيته عبر مبحث ثاني؛ من خلال دراستها دراسة وصفية تحليلية واستقرائية. وهي عبارة عن رسالتين:

-رسالة في التعامل مع الكفار عموما واليهود خصوصا.

-رسالة في مقومات الحكم والإمارة.

وقد تناولنا ذلك بخطة تتمثل في الآتي:

المقدمة: (أنظر أعلاه)

المبحث الأول: منهجية الإمام المغيلي وأسلوبه في التأليف.

المبحث الثاني: كتابان للإمام المغيلي كنموذجين في باب السياسة الشرعية.

الخاتمة.

المبحث الأول: منهجية الإمام المغيلي وأسلوبه في التأليف:

إن الواقف على تراث الإمام المغيلي وعلى كثرته وتنوعه؛ يلاحظ الحاجة المتجددة والمتواصلة لدراسته وتحليل وإخراج المكنون منه في الجزائر العميقة الشاسعة، إذ لم يظهر منها إلا القليل رغم وصف الإمام بالموسوعية العلمية. كما يلاحظ التميز في منهجيته وأسلوبه في التأليف مما يعطيها طابعا خاصا، ومن خلال هذا المحور سيتم التطرق لأبرز الخصائص في منهجية الإمام المغيلي في مؤلفاته في عنصر أول؛ ليتم التطرق إلى أبرز المجالات التي كتب فيها بيان ما حظي بالأولوية من ذلك، مع التطرق إلى أسلوبه اللغوي في كل ذلك.

المطلب الأول: خصائص منهجية الإمام المغيلي في مؤلفاته.

يتم التطرق في هذا المطلب إلى أبرز الخصائص والسمات في مؤلفات الإمام المغيلي وليس لجمعها، تلك الخصائص التي تعتبر هي الأبرز في منهجية الشيخ في الكتابة والتأليف.

الفرع الأول: الشمولية.

من أبرز السمات في مؤلفات الإمام المغيلي سمة الشمولية؛ حيث شملت مؤلفاته مجالات مختلفة ومناطق مختلفة من القارة الإفريقية، فقد كتب في التفسير والحديث، والفقه والفتوى، والسياسة الشرعية، المنطق، الذكر، الوصايا، البلاغة... وقد جاءت متنوعة بين تأليف وشروح ومختصرات، ولئن مَثَل التراث المطبوع ما نسبته 28.07% فما زال المخطوط والمغمور يمثل ما نسبته 71.93%، مما يبعث الجهد الحثيث من الهيئات الرسمية أو من طرف الأفراد كباحثين ومختصين لبعثه للوجود الفعلي خدمة للعلم، وإبرازا لمكونات معارفه التي اتسعت واستوعبت علوم عصره¹.

من بين المآثر التي تحسب للإمام المغيلي مساهمته البارزة في مد منطقة توات² بمناطق السودان الغربي تدرسا وإرشادا للتعاليم الإسلامية، أو بالتواصل المباشر ترحالا وتوجها لتأليف غزير عكس سعة علمه، ونشاطه الإصلاحية ومواقفه السياسية الصارمة، والتي أثمرت تلامذة وأتباعا حافظوا على إرثه الفكري.

ولئن كان مساره الدعوي البارز في مسيرته التي تنقل فيها بين ملوك وأمراء في المغرب الأوسط وإفريقيا فاتحا طرائق الحوار والإقناع، ناصحا ومرشدا ومعلما ومفتيا، إلا أن ذلك لم

¹ - مدخل: دراسة إحصائية لتراث الإمام المغيلي وتناول: مسرد ألفبائي لمؤلفات الإمام المغيلي، جدول إحصائي تفصيلي لمؤلفاته، وإحصاءات بحسب طباعة الكتاب وعدمه، إحصاءات بحسب وجود الكتاب ومغموره، إحصاءات بحسب نوع العلم المصنف فيه، وإحصاءات بحسب نوع التصنيف: عبد القادر رباحي، الإمام المغيلي عصره وحياته - دراسة تاريخية، تحليلية وتوثيقية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011، ص 187-201.

² - انظر أوضاع توات على عهد الشيخ المغيلي: أحمد الحمدي، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي - الإطار المعرفي والتعامل مع المكانية -، ط1، الجزائر، مطبعة الرشاد، 2012، ص 36-56.

يجل بينه وبين إنتاجه التأليفي إذ خلّف عشرات الكتب التي بينت فكره ومنهجه الدعوي والإصلاحي والسياسي والتعليمي... كما حوت مؤلفات الشيخ المغيلي عديد الإشارات التاريخية للباحثين خاصة اشتهاار منطقة توات وما جاورها، فقد أضحت نبراسا لكل مهتم في تلك المناطق وتاريخها¹.

الفرع الثاني: تحديد الهدف ووضوحه.

كان الإمام المغيلي من العلماء الذين تسيل أقلام حبرهم سيلا مدرارا، لأن هدفه كان واضحا وجليا في سبيل الدعوة والنصح والإسهام في تنقية ما شاب الإسلام من التطرف والوثنية، التي مست العقيدة والمعاملات حيث صبت رسائله ووصاياه للأمرء وسلاطين عصره في معين واحد، وهو الدعوة الصريحة نحو إصلاح الأوضاع الاجتماعية، والسياسية، وفق نهج الإسلام وضوابطه².

ولقد كشف صاحب البستان³ منهج الإمام المغيلي في التدريس، ومن ثم التأليف كبصمات شاهدة على الجوانب السياسية، والاجتماعية، والفكرية لعصره بقوله: "كان رحمه

¹ - للإشارة هنا أن ضياع كتاب الفهرس الذي حوى كامل مروياته يعد خسارة بحثية كبيرة، إذ به يمكن الكشف تفاصيل حياته ودراستها بدقائقها كظروف طلبه للعلم، وشيوخه، وطريقة التدريس التي اعتمدها. خير الدين شترة، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، المصلح النائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي، ج2، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011، ص 397-398.

² - انظر تفصيل الكلام عن دعوة الإمام المغيلي لإصلاح أمور المسلمين الدينية والدنيوية، خير الدين شترة، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، المرجع السابق، ص 530.

³ - ابن مرزم محمد بن أحمد المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، محمد بن أبي شنب، الجزائر، المطبعة الثعالبية، 1908 ص 255.

الله مقداما على الأمور جسورا جريء القلب فصيح اللسان محبا في السنة جدليا نظارا محققا له تأليف...¹. ورغم أنه مالكي المذهب يجعل من أمهات كتب المالكية مرجعه في الفتوى، ولهذا عُد مقلدا في أغلب فتاويه؛ إلا أنه في نازلة اليهود التي حدد فيها هدفه فاجتهد فيها، مع أنه كذلك اجتهد فيها اجتهدا جماعيا مع كل من السنوسي والحافظ التنبستي.

الفرع الثالث: الجمع بين التأليف والدعوة.

إن المسلك الذي انتهجه واختاره الشيخ المغيلي هو ربطه بين الدعوة والتأليف؛ مستقيا ذلك من منهج الأنبياء والمرسلين -عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام- وغلب فيه الحكمة والموعظة الحسنة والدعوة لتطبيق شرع الله في كافة مناحي الحياة، وذلك ما فرض عليه الهجرة باتجاه مناطق صحراوية قاحلة بالجنوب الجزائري، حيث لاقى ترحيبا وحفاوة من قبل الأهالي والحكام اعترافا وتقديرا لعلمه ولشجاعته، ما جعله يؤلف رسائل عدة في شؤون الدين وإصلاح الرعية، ومن ذلك: "مجموعة في أمور الإمارة وسياسة الدولة"² وجهها لأمير كانو³ مقتنيا أثر العلماء في نصح الملوك وإرشاد السلاطين.

¹ - خير الدين الزركلي، الأعلام ج6، ط11، بيروت، دار العلم للملايين، 2002، ص 216.

² - على منهج كل من: أبي بكر الطرطوشي: سراج الملوك، والماوردي: نصيحة الملوك والأحكام السلطانية، الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك... خير الدين شترة، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، المرجع السابق، 2/ 390.

³ - على شاكلة ذلك كتب للأمير "رمفا محمد بن يعقوب" وصية عنوانها ب: ما يجوز للحكام من ردع الناس عن الحرام، وكذا السلطان محمد بن أبي بكر التوري أجوبة عن أسئلة عرفت ب: أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي، التي كانت الدعامة والأرضية لتوطيد ملكه ومواجهة خصومه، إضافة إلى مؤلفه: الأرواح في ميزان الأرباح، أضاف إليه رسالة سماها: مما يجب للحكام في ردع الناس عن الحرام، وكل هذه المؤلفات تدور حول تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم. المرجع السابق نفسه، 2/ 391.

ومن خلال بيانه لتنظيم العلاقة بين المسلم وأهل الذمة في بلاد المسلمين ألف الشيخ المغيلي مجموعة من الكتب منها: ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار، وجزية أهل الذمة، أبرزها الرسالة المطولة حول الجزية وما يجب على المسلمين والكفار بمناسبة الرد على فتوى تقدم بها الإمام لمن سأله بعنوان: الإجابة عن سؤال حول قبائل في آخر الصحراء لا تنالهم أحكام الأمراء يتخذهم اليهود أخصاء ويلقبونهم بالغلائف. ولأن الإمام المغيلي زواج بين العلم والعمل فقد نال ريادته من بين معاصري زمانه¹، وكان له التأثير الكبير على منطقة توات اجتماعيا، وسياسيا، وثقافيا، إذ إن أعماله كما ذكرنا لم يوازيه فيها أحد من علماء المنطقة، فغير وجهها في فترة وجيزة نظرا لإرادة الإمام الكبيرة والصلبة على التغيير، ولسعيه في ذلك بدأ بالقواعد العليا للمجتمع ثم أولى الاهتمام بعد ذلك للقواعد الدنيا، لإيمانه حقيقة بأن الناس على دين ملوكهم، ولإدراكه حقيقة أن الإسلام كل لا يتجزأ يجمع بين الروح والمادة ويوازن بينهما، ويحدد كذلك بوضوح شديد علاقة الحاكم بالمحكوم².

¹ - مقارنة ببعض معاصريه كيجي بن يدير، وعبد الله العصنوني اللذان لم يؤثر عنهما إلا نوازل فقهية قليلة لا توضح حتى منهجها في الفتوى، خير الدين شترة، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، المرجع السابق، 2/ 396.

² - أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات، رسالة ماجستير، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1999-2000، ص 201.

المطلب الثاني: مجالات وألويات المغيلي في التأليف وأسلوبه في ذلك.
لقد ألف الإمام المغيلي في مجالات مختلفة ومتنوعة انطلاقاً من موسوعيته؛ لكنه مع ذلك أولى اهتماماً خاصاً لبعض المجالات نظراً لأهميتها ظرفاً وموضوعاً، متبعاً في تأليفه أسلوباً لغوياً متميزاً لا يمكن إغفاله.

الفرع الأول: مجالات مؤلفات الإمام المغيلي.

ألف الإمام المغيلي في مجالات مختلفة ومتعددة: ففي مجال المعاملات وما تعلق بالبيع وحياة الناس في إفريقيا الغربية فكان للشيخ تأليف كثيرة منها: بيوع الآجال، وشرح خطبة المختصر، كما عكس حياة الناس بإفريقيا من خلال هداية الأسرار بلسان الأنوار، ولقد تفتحت قريحة الشيخ فألف عديد الكتب والرسائل شملت قضايا فقهية متنوعة أثارها علماء عصره، أو من استشكلت عليهم مستجدات شرعية فألف مختصره تلخيص المفتاح للقزويني. وألف "المنهيات"، وشرح خليل: "الوجيز الكافي للرجل الذكي" "الفتح المبين" و " شرح على البيع على حد ابن الحاجب".

وفي باب الميراث ألف الإمام: " مختصر في علم الفرائض " حيث أبرز فيه اجتهاداته فيما يتعلق بحق الذكر والأنثى في الميراث كما أن له "المفروض في علم الفروض". ولقد توسعت إسهامات الشيخ فتناول التفسير وألف فيه "البدر المنير في علم التفسير" و"رسالة الاستخلاف" "علوم السنة" الذي عرض فيه آراء وأفكار طرحت في مؤلف التقريب للنووي.

وفي باب علوم اللغة العربية وأدبها شعرا ونثرا أبدع ونوع بين "ملخص تلخيص المفتاح" و"مقدمة في العربية" وأشهر قصائده الميمية في مدح الرسول -صلى الله عليه وسلم-¹ وأخرى في مدح آل البيت، وفي علوم الحديث أيضا نجد "مفتاح النظر في علم الحديث" و"مغني النبيل" ووضع تعليقا أسماه "إكليل مغني النبيل".

ومن المؤلفات النادرة له في تنظيم الوقت "تنظيم العمل في اليوم والليل".

الفرع الثاني: أوليات الإمام المغيلي في الكتابة والتأليف.

لئن تنوعت أبواب ومجالات مؤلفات الإمام إلا أن الحظ الأوفر منها كان في باب العقيدة والفكر والفلسفة والمنطق والتي منها²: "تلخيص المفتاح للمغيلي في المنطق" و "فصل الخطاب في رد الفكر إلى الصواب" وقد شرح فيه أرجوزة: "منح الوهاب"، وكذا مؤلفه: "رسالة الرد على المعتزلة في اعتقاداتهم الفاسدة" و "مصباح الأرواح في أصول الفلاح. وقد أولى الإمام المغيلي اهتماما كبيرا للعقيدة والتوحيد، حيث وقف نفسه لتصحيح العقائد الفاسدة، وما شأبها من شرك وكفر نظرا لكون منطقة توات محاذية لمنطقة السودان الغربي، التي انتشر واستفحل فيها السحر والشعوذة، والتعلق بالأولياء، وحتى عبادة الأوثان، فألف "تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين". وكان الإمام المغيلي سني العقيدة لا يقرب التأويل، ويخاف من الولوج في المسائل التي لا يدركها ولا يحيط بها العقل البشري.

¹ - المرجع السابق نفسه، ص 264-270.

² - انظر نماذج من المطبوع، والمخطوط، والمعمور في علم المنطق: عبد القادر رباحي، الإمام المغيلي، المرجع السابق، ص 297، 381، 429.

الفرع الثالث: الأسلوب اللغوي للإمام المغيلي في مؤلفاته.

هذا ولا بد من التأكيد على اللغة التي صاغ بها آثاره المكتوبة فهي لغة سليمة، وفصيحة وسلسة، وأسلوبه من السهل الممتنع، كما أن أدبه انعكاس لطيف لتأثره الجم بالقرآن الكريم وبالسنة المطهرة، ويعد شعره لا تكلف فيه يقوله بسليقته، فجاء في مقطوعات صغيرة وفي أغراض متنوعة، بحيث إن القارئ لما ألفه المغيلي يقف على حقيقة مفادها خلو وخالص كلامه من الزيادات والإطنابات المملة، يقول المغيلي: " لو أنك اطلعت على حبيب من أحبائك قد قرب عدوا من أعدائك لكرهت ذلك منه، ونفر قلبك عنه ولا تقبل منه عذرا حتى يبتعد عن أعدائك"¹.

نلاحظ هنا أن الحروف غير متنافرة بل متناسقة لا غرابة فيها غير ثقيلة أو عسيرة على اللسان عند النطق بها، كما أن ألفاظه بسيطة كما قال السيوطي: " والأصوات منها ما تستلذ النفس سماعه، ومنها ما تكره سماعه"²، كما أن حديث المغيلي غير مبتذل فاستعماله في مواضعه يجعل القارئ يفهم مقصوده دون التصريح به³، والجدير بالتنويه إليه أن كتابات الإمام المغيلي حاول فيها تكثيف الأفكار وجمعها في حكم وصيغ موجزة معبرة بدقة عن المقصود في سلاسة وطواعية؛ ألفاظه جزلة قوية متناسقة متألفة كقوله: "الكرم روح السلطنة، والبخل نفس الشيطنة" فقد حوت العبارة ثلاثة أنواع من المحسنات أولها لزوم ما لا يلزم،

¹ - المغيلي، مصباح الأرواح، ص: 31 نقلا عن: خير الدين شترة، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، المرجع السابق، 2/ 394.

² - جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج1، تحقيق: جاد المولى بك، محمد أبو الفضل، وعلي محمد البحراوي، بيروت، المكتبة العصرية، 1987، ص 187.

³ - أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي، المرجع السابق، ص 188.

ويظهر في المكرر في السلطنة والشيطنة أي (نة)، وثانيها المماثلة اللفظية بين السلطنة كذا الشيطنة، وثالثها الجناس الناقص بينهما أيضا.

ومما يؤثر عنه كذلك في باب الحكم قوله: "أكنتم شرك عن غيرك حتى تتمكن من أمرك" و"الأسرار عند الأحرار"¹ وكذلك: "الملك بالسيف لا بالتسويق"².

المبحث الثاني: كتابان للإمام المغيلي كنموذجين في باب السياسة الشرعية.

لقد تم انتقاء عينة بحثية للإمام المغيلي في مجال السياسة الشرعية، وهما رسالتان (كتابان) في السياسة الشرعية يتمثلان في: رسالة في التعامل مع الكفار عموما واليهود خصوصا، ورسالة في مقومات الحكم والإمارة، وقد تم تناولهما وفق المنهجية والتقسيم الآتي:

- التعريف بالكتاب؛ من خلال الوقوف على عنوانه وطبيعته وبنيته الشكلية.
- مضمون الكتاب؛ بدراسة فصوله وما يشتمل عليه من علوم ومعارف.
- إبداء وجهات نظر وجيزة حول الكتاب.

المطلب الأول: رسالة في التعامل مع الكفار عموما واليهود خصوصا.

تعد رسالة الإمام المغيلي في التعامل مع الكفار عموما واليهود خصوصا مما ينسب إليه ويحسب له، ولئن اختلف الباحثون في تسمية هذا الكتاب، فإن ذلك لا يمنع من الولوج إلى طياته وبيان مضامينه، ثم إبداء وجهات نظر وجيزة حوله.

¹ - المرجع السابق نفسه، ص 180.

² - انظر: المغيلي بن عبد الكريم، رسالة الإمارة مخطوط بزواية المغيلي، ص: 2.

الفرع الأول: التعريف بالكتاب (عنوانه وطبيعته، بنيته ودوافع تأليفه).

ذهب باحثون إلى أن عنوان الكتاب هو: مصباح الأرواح في أصول الفلاح¹، بينما البعض الآخر فند ذلك وذكر أن عنوانه: ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار².

ويظهر أن هذا الأخير هو الصواب لأمر: منها أن العنوان الأول ليس فيه أي إشارة لمضمون الكتاب؛ وإنما المرجح أنه عنوان لكتاب آخر له في العقيدة وهذا ما يشير إليه العنوان بعبارة "أصول الفلاح"، إضافة أن صاحب المنهاج ذكر أن الشيخ المغيلي بعث بمؤلفه: مصباح الأرواح في أصول الفلاح إلى الشيخ السنوسي ليقرظه³، والسنوسي صرح في تقريره بأن الكتاب هو في أصول الدين⁴، وبناء على ذلك يكون عنوان الكتاب: ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار.

والذي دفع الشيخ المغيلي إلى تأليف الكتاب هو ظهور نفوذ اليهود بأرض توات وغيرها، حيث استحكموا في عاداتها وغيروا فيها، كما احتكروا الأموال والمعاملات وأفسدوا فيها⁵،

¹ - هو الباحث عبد المجيد الخيالي، ناشر ومحقق الرسالة قيد الدراسة عبر مطبوع يأتي ذكره في التعريف بالكتاب.

² - أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال بعض آثاره المخطوطة، بحث ضمن منشورات المجلة الجزائرية للمخطوطات، تصدر عن مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية للمخطوطات في شمال إفريقيا، جامعة وهران، الجزائر، العدد الأول، 1423 هـ 2003 م، ص 36.

³ - أحمد بابا التنبكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكتاب، طرابلس، ط 02، 2000 م، ص 577.

⁴ - أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال بعض آثاره المخطوطة، مرجع سابق، ص 36.

⁵ - عبد المجيد الخيالي، ص 17.

خاصة وأن طغيان اليهود وإفسادهم هو ما دفعه إلى ترك تلمسان بعد أن يأس من صلاح حكامها، وكان ينشد في ذلك:

تلمسان أرض لا تليق بحالنا ولكن لطف الله نسأل في القضا

وكيف يحب المرء أرضا يسوسها يهود وفجار ومن ليس يرتضى¹.

والكتاب مطبوع بتحقيق الباحث عبد المجيد الخيالي²، تحت عنوان: رسالتان في أهل الذمة: الأولى رسالة المغيلي موضوع الدراسة، والثانية للشيخ محمد بن مرزوق عظم القبرواني، وقد عنون للرسالة بمصباح الأرواح في أصول الفلاح؛ وهو العنوان الذي يرجح أنه ليس عنوانا لها حسب ما تقدم في ذكر عنوان الكتاب آنفا، ولعله أخذه من النسخ التي اعتمد عليها في التحقيق والتي كلها مخطوطات في الخزانة العامة بالرباط³، بينما الباحث أحمد الحمدي الذي أثبت أن العنوان المتقدم هو ليس عنوانا للرسالة موضوع الدراسة وأن الخطأ وقع من ناسخ الرسالة، قد يكون استمده من النسخة التي اعتمد عيها، وهي نسخة مخطوط مصورة متواجدة بزاوية الشيخ المغيلي بإقليم توات، بأدرار⁴.

¹ - أحمد الحمدي، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي الإطار المعرفي والتعامل مع المكانية، المرجع السابق، ص 39

² - رسالتان في أهل الذمة، بتحقيق الباحث عبد المجيد الخيالي، طبعته دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ضمن منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة سنة: 1421هـ 2001م.

³ - عبد المجيد الخيالي، تحقيق مطبوع: رسالتان في أهل الذمة، المرجع السابق، ص 15.

⁴ - والنسخة هذه أصلها من مركز أحمد التنبكتي بمالي حسب تصريح الباحث حمدي. لقاء مع الباحث أحمد الحمدي، 2025/04/03، أدرار، وينظر للباحث: محمد بن عبد الكريم المغيلي من بعض آثاره المخطوطة، المرجع السابق، ص 39/36.

يتألف الكتاب من تقديم وجيز وثلاثة فصول، وخاتمة، وعدد صفحاته ستة وعشرون صفحة، يقع في مطبوع يتضمن تحقيق رسالتين؛ ليصل مجموع المطبوع مع التحقيق إلى تسع وسبعين صفحة.¹

الفرع الثاني: مضمون الكتاب.

كما تقدم فإن الكتاب يشتمل على تقديم، وثلاثة فصول وخاتمة، مرتبة كما يلي:

(أ)- مقدمة الكتاب: هي عبارة عن تقديم وجيز؛ متمثلاً في حمد الله سبحانه والصلاة على نبيه عليه الصلاة والسلام.

(ب)- فصول الكتاب: وهي ثلاثة على البيان الآتي:

الفصل الأول: فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار.

بين في هذا الفصل أن علاقة المؤمنين بالكفار وبأنه يجب أن تكون علاقة عداً وعدم موالاة، وأنه لا يوالي الكفار إلا من لا دين له ولا عقل ولا مروءة، مدعماً ذلك بنصوص وشواهد ومواقف لعلماء، كما نقل نماذج على دناءة سلوك اليهود وانحطاط قدرهم بشكل خاص.²

الفصل الثاني: فيما يلزم أهل الذمة الكفار من الجزية والصغار.

استهل هذا الفصل بآية الجزية (الآية 29 من سورة التوبة)³ ثم تعرض لأحكام أهل الجزية وحقيقة الجزية وضوابطها، وأن الجزية يأخذها الأمير أو نائبه، وأن ما يأخذه غيرهم من الكفار إنما هو رشوة مثل بعض أرباب الأعمال.

¹ - عبد المجيد الخيالي، رسالتان في أهل الذمة، وقد تقدم.

² - المطبوع بتحقيق الخيالي، ص 23 وما بعدها.

³ - المرجع السابق نفسه، ص 35.

وبين معنى الصغار وأن أهمه هو الصغار في الدين فلا يجددوا كنائسهم ولا يرفعوا رموز دينهم وإن دفعوا القناطر من الذهب¹. مبينا أن العلماء أجمعوا على ذلك، وأن ما ظهر من عدم ذلك سببه أن أمور المسلمين هي بيد أرباب الهوى وليست بيد أرباب التقى².

الفصل الثالث: فيما عليه يهود هذا الزمان في أكثر البلاد والأوطان من الجراءة والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية والأركان بتولية أرباب الشوكة وخدمة السلطان.

استهل الشيخ هذا الفصل بتقرير أن يهود تلمسان وتوات وإفريقيا قد خرجوا من أهل الذمة، وأن الذمة التي تشملهم اليوم هي ذمة جاهلية وليست ذمة شرعية³. ونقل في هذا الصدد كتاب عمر بن الخطاب الذي صالح به نصارى الشام، مبينا أن العلماء اختلفوا فيمن أدخل منهم ببعض تلك الضوابط الواجبة عليهم، أما هؤلاء فلم يحققوا واحدة منها؛ علاوة على طغيانهم بأموالهم والتعصب والتقوي بما في التمرد، وعلى ذلك فلا خلاف في نقضهم العهد ومشروعية قتلهم وسيهم.

(ب) - خاتمة الكتاب

خاتمة الكتاب ضمنها المؤلف ثلاثة أمور:

أولها براءة من مناصري اليهود بقصيدة مطلعها:

برئت للرب الودود # من قرب أنصار اليهود / قوم أهانوا دينهم # وأكرموا دين اليهود.⁴

¹ - المرجع السابق نفسه، ص 37.

² - المرجع السابق نفسه، ص 39.

³ - المرجع السابق نفسه، ص 40.

⁴ - المطبوع، ص 45.

ثانيها: تذكير للمسلمين بقوله تعالى: " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " ءال عمران/من الآية:10 إلى الآية:107.

ثالثها: دعاء واستغفار من الله سبحانه وتعالى¹.

الفرع الثالث: نظرة في الكتاب.

لعل مما يمكن الوقوف عليه من سمات خاصة بهذا المؤلف هو ما يلي:

- يتصف الكتاب بعاطفة قوية للكاتب؛ متمثلة في غيرة وحرقة على حال المسلمين من جهة، وفي بغض وغضب شديد على اليهود وأعدائهم من جهة أخرى.
- يتميز الكتاب بأسلوب بلاغي رصين واستدلال علمي، مما يجعله نافعا ومؤثرا في آن واحد.

- بعض آراء المؤلف في الكتاب وافقه فيها علماء وخالفه آخرون-بغض النظر عن الرأي الصحيح في ذلك، وهو حكمه على أن أكثر يهود الزمان هم خارجون من عهد أهل الذمة، كما هو الحال في شأن يهود توات بتمطيط².

المطلب الثاني: رسالة ضوابط ومقومات الحكم والإمارة.

يعد الكتاب غاية في الأهمية في باب الحكم والسياسة، لما تضمنه من توجيهات ومعارف جيدة، في مجال الحكم والسياسة.

¹ - المطبوع، ص 46/45.

² - أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، المرجع السابق، ص 576، وينظر في ذلك: أحمد الحمدي، الفقيه المصلح محمد بن الكريم المغيلي، المرجع السابق، ص 114 وما بعدها.

الفرع الأول: التعريف بالكتاب (عنوانه وطبيعته، بنيته ودوافع تأليفه):

اشتهر الكتاب بعنوان: رسالة الإمارة¹، وهناك من عنون له ب: جملة مختصرة فيما يجب على الأمير من حسن النية للإمارة²، والأول أوجه؛ لأن هذا الأخير هو عنوان الباب الأول من أبوابه الثمانية، فلا يناسب أن يكون عنوانا لجميع الكتاب³.

وقد ألفه استجابة لطلب سلطان كانو "محمد رومفا"؛ حيث كان مستشارا له ووزيره الخاص، بسبب أن هذا السلطان عرف بحسن السيرة وبتقريبه للعلماء⁴. وكان ذلك في حدود سنة: 897هـ / 1492م⁵.

أما عن طبيعة الكتاب وبنيته: فتم نشر الكتاب في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس سنة 1989 من قبل أحمد العلمي حمدان، لكنه اعتمد على نسخة مليئة بالتحريف والتصحيف حسب الباحث أحمد حمدان⁶، كما حققها ونشرها الباحث مبروك مقدم سنة: 2006م⁷، وهي النسخة التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة.

1- أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص18.

2- مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن 09 للهجرة 15 للميلاد. دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ص81.

3- سبب الاختلاف في العناوين أن المؤلف لا يضع عناوين لكتابه. وقد اطّعت على مخطوطات له ولم يجد بها عناوين، وهو ما أكده أيضا الباحث أحمد الحمدي. لقاء ذكر سابقا.

4- أحمد الحمدي، المرجع السابق ص39.

5- مبروك مقدم، المرجع السابق ص77.

6- أحمد الحمدي، الفقيه المصلح محمد بن الكريم المغيلي، المرجع السابق، ص139.

7- نشرها الباحث وحقّقها ضمن كتابه: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد. دار الغرب للنشر

ويتألف الكتاب من مقدمة، وثمانية أبواب، وخاتمة، في صفحات عددها مع التحقيق ثمانية وأربعون (48) صفحة. كما تضمن الكتاب عبارة جيدة تصلح أن تكون شعارا له، مكررة عند نهاية كل جزء وباب من أبواب الكتاب، وهي عبارة غاية في الأهمية يتم التطرق إليها عند الحديث عن مضمون الكتاب.

الفرع الثاني: مضمون الكتاب.

يشتمل الكتاب - كما سبق - على مقدمة، وثمانية أبواب وخاتمة:

(1) - مقدمة الكتاب: بعد حمد الله والصلاة على رسوله ساق المؤلف في مقدمة كتابه موعظة قوية وجيزة تجعل قارئها يستقبل مضمون الكتاب باستعداد نفسي إيماني صادق؛ منها قوله: "...أما بعد وفقك الله للتقوى، وعصمك من نزعات الهوى. فإن الإمارة خلافة من الله، ونيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما أعظم فضلها وما أثقل حملها. إن عدل الأمير ذبحته التقوى بقطع أوداج الهوى، وإن جار ذبحه الهوى بقطع أوداج التقوى..."¹. وختم المقدمة بالعبارة العظيمة في معناها والعميقة في مغزاها ومرامها، تلك العبارة التي تمت الإشارة إلى أهميتها في المحور السابق، وهو قوله رحمه الله تعالى: "وأصل كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية"².

والتوزيع، وهران، الجزائر، من ص 83 إلى ص 128 من الكتاب. وقد اعتمد بشكل أساس على نسخة مركز الأبحاث والدراسات التاريخية لولاية أدرار حسب ما ذكره بنفسه في مقدمة التحقيق، ص 81.

¹ - الكتاب بتحقيق مبروك مقدم، ص 84/85.

² - كل أجزاء الكتاب ختمت بهذه العبارة، ما عدا الباب الأخير الذي اختتمه بآيات من القرآن الكريم حيث جعل منها خاتمة للكتاب كله. الكتاب بتحقيق مبروك مقدم، المرجع السابق، ص 86. أحمد الحمدي، الفقيه المصلح محمد بن الكريم المغيلي، المرجع السابق، ص 159.

(ب)-أبواب الكتاب: افتتح المؤلف جل أبواب الكتاب بما يصح أن نسميه حكمة الباب، وهي عبارة عن جملة وجيزة مناسبة لمضمون الباب، كما أنه اختتم كل باب بالعبارة التي تقدم أنها شعارا للكتاب¹.

-الباب الأول: فيما يجب على الامام من حسن النية.

افتتح الباب بقوله: "الإمارة بلوى بين الهوى والتقوى"، وتناول فيه أن على الإمام أن يأخذ الإمارة بنية التكليف وأنها بلوى وأمانة استأمنه الله إياها وكلفه بها، وليست هي تشريف للسيادة على الناس ونيل المنزلة والقدر عندهم²، ولا يخفى أن النية الصادقة هي أساس النجاح؛ "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَّا نَوَى"³.

ويختتم الباب بشعار الكتاب؛ "وأصل كل بلية احتجاج السلطان عن الرعية".

-الباب الثاني: فيما يجب على الامام من حسن الهيئة.

"الإمارة مقنعة النفس الأمانة"⁴ تلك هي افتتاحية الباب، ثم إن المؤلف لا يقصد بحسن الهيئة حسن المظهر واللباس وشبه ذلك فقط؛ بل إنه يقصد ذلك وما هو وأشمل منه، من ذلك الهيئة في السلوك والأخلاق وحسن معاملة الرعية، فيقول: "... فأظهر حب الخير

¹ - هي قوله: "وأصل كل بلية احتجاج السلطان عن الرعية". وأهمية مضمون العبارة ظاهر لا يخفى.

² - يقصد بذلك أن الإمارة مهلكة للنفس الأمانة إذا لم يتصف الحاكم بالتقوى مع الله وحسن الخلق مع الناس. انظر مبروك مقدم، المرجع السابق، ص90.

³ - صحيح البخاري. حديث رقم: (01). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي). الطبعة: الأولى، 1422هـ. ج01، ص06.

⁴ - الكتاب بتحقيق مبروك مقدم، المرجع السابق، ص90.

وأهله...وزين جسمك وطيب ريحك وحسن ثوبك... وإذا تحدثت فأصدق وإذا وعدت فأوفي...¹. ويختم الباب: "وأصل كل بلية احتجاج السلطان عن الرعية".

-الباب الثالث: فيما يجب على الأمير من ترتيب مملكته.

افتتح الباب بقوله: "الإمارة سياسة في ثوب رئاسة".

لم يغفل المؤلف هذا الجانب المهم: فحسن النية في البداية لا يكفي، بل إن حسن النية وتقوى الله يقتضيان حسن التنظيم والاجتهاد في الأخذ بالأسباب، وقد تناول ذلك في الإطار البشري إذ هو الأساس؛ فمنهم الخبراء والتقنيون، والإداريون والمسирون، والعلماء والمرشدون، والقضاة العادلون، ورجال القوة من شرطة وعساكر، وأطباء وممرضون، ووزراء ناصحون مستشارون لا يخشون إلا الله، وقد أشار لكل أولئك في هذا الباب.²

وهو بذلك تناول معظم القطاعات الحيوية في الدولة: التعليم / العدالة / الإدارة / الصحة / الدفاع والقوة العسكرية/ الأمن والاستخبارات /الاقتصاد /البحث العلمي /المجالس الاستشارية / الدين والتربية... الخ³.

وخاتمة الباب: "وأصل كل بلية احتجاج السلطان عن الرعية".

-الباب الرابع: فيما يجب على الأمير من الحذر في الحضر والسفر.

حكمة الباب قوله: "الإمارة غرر جنتها الحذر"، ثم انتدب الأمير إلى التحرك وترك القعود، مركزاً على نبذ الجبن والتحلي بالشجاعة والإقدام، وأكثر في هذا الجانب من الشعر، ومنه: ألا فتح الله الحياة من الورى*** وما الملك الا بالشجاعة يشتري.

¹ - المرجع السابق نفسه، ص 90 وما بعدها.

² - المرجع السابق نفسه، ص 95 وما بعدها.

³ - الكتاب بتحقيق: مبروك مقدم، ص 101 وما بعدها.

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها *** وإن شمّرت عن ساقها الحرب شمرا.
ونبه على الحيلة والحذر من كل الجوانب، من ذلك قوله: "ولا يقرب من طعامك وشرابك
وفراشك إلا أقرب أحبابك، ولا تفارق الدرع والسلاح... واكتم سرك عن غيرك حتى تتمكن
من أمرك... الخ". "وأصل كل بلية احتجاج السلطان عن الرعية".

-الباب الخامس: فيما يجب على الأمير من الكشف على الأمور.

استهله بقوله: "الإمارة حيلة، في حيوان الحيلة". وهو يرمي إلى ضرورة التحلي
بالحيلة، لكن لا يركن إليها؛ بل عليه الكشف عن الأمور بالاستعانة بالخبراء...، فيكون
مطلعاً عن أحوال الرعية وعمالها وأجهزتها، لأن الجهل عمى - كما قال - والبصير يغلب ألف
أعمى، فيكشف عن أخبار الأعداء عن طريق الجواسيس والذكاء ويكشف عن التمامين
وعن المادحين والذاميين على حد سواء وما دفعهم لذلك.¹ "وأصل كل بلية احتجاج
السلطان عن الرعية".

-الباب السادس: فيما يجب على الحكام من العدل في الأحكام.

حكمة الباب قوله: "السلطنة رجالان العدل والإحسان" فبين أن الإحسان يؤديه
السلطان من نفسه ومن حقه، والعدل يوفيه من نفسه ومن غيره، فركز على العدل بين
المتخاصمين في كل شيء حتى في الهيئة والإقبال والحديث؛ مبيناً الفرق في دعاوى الجنايات
عن غيرها، كما تعرض للمدعى عليه وأنه أقسام ثلاث: صالح بعيد عمّا نسب إليه، وقريب
مما نسب إليه، ووسط بين ذلك، والنظر في الدعاوى يختلف تبعاً لذلك.

¹ - المرجع السابق نفسه، ص 105 وما بعدها.

وأكد على ان الامير لابد أن يجلس للناس بنفسه احياناً، ولا يكتفي بالقضاة والولاة، لان الشكوى قد تكون منهم أحياناً.

ونبهه ألا يستشهد إلا العدول، فإن تعذر ذلك اخذ بالأمثل والاحسن مع تكثير العدد والاستكشاف والاستبصار في ذلك قدر الامكان، لأن الشهادة عليها مدار الأمور في الحكم والقضاء¹.

"وأصل كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية".

-الباب السابع: في مجتبي الأموال من وجوه الحلال.

" الكرم روح السلطنة، وعدمه نفس الشيطنة " تلك هي حكمة الباب.

بيّن المؤلف في الباب أن السلطان لا يجمع المال إلا من حيث أحل الله، وأن الإمساك عما في أيدي الرعية هو رأس الكرم؛ مبينا الأوجه التي شرعها الله والتي منها أنواع الزكاة كلها، وأموال الركاز، والمعادن، وخمس الغنيمة، وتركة لا وارث لها...

وتعرض الى بعض الحالات التي لا يجوز جمع المال عن طريقها منها: العقوبة بالمال في غير جنائية، ومنها المكس إلا في حالات ضرورة أو نازله نزلت بالدولة ولا مال في الخزينة، فيعين الرعية الدولة على سبيل الوجوب بقدر أحوالهم وبضوابط معينة.² وخاتمة الباب: وأصل كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية".

¹ - الكتاب بتحقيق: مبروك مقدم، ص112 وما بعدها.

² - الكتاب بتحقيق: مبروك مقدم، ص117 وما بعدها.

-الباب الثامن: في مصاريف أموال الله.

افتتح بحكمة الباب: "الكرم دوام الملك والبخل والتبذير خرابه". ثم بين حقيقة الكرم بأنه: بذل ما يحتاج له عند الحاجة بقدر الطاقة، وما خرج عن ذلك فهو تعد وظلم. فقرر أن مال الله لا يصرف إلا فيما شرعه الله، وغير ذلك ظلم يوجب العذاب يوم القيامة. وأوضح أن مجال صرف مال الله قسمان: قسم يصرف في مجالات محددة وهو مال الزكاة، وقسم يصرفه الإمام بالتقوى في مصالح المسلمين حسب الأهمية في ذلك، وأن الأحق بالتوسعة هم حماة الدين من قضاة وعلماء ومرشدين، وأن الأصل أن أهل كل بلد أحق بمالهم من غيرهم... إلى غير ذلك.¹

(ج)-خاتمة الكتاب

اختتم الشيخ المغيلي مؤلفه بهذه الآيات من القرآن الكريم تبركا وتيامنا وتقربا إلى الله؛ آيات تحمل في طياتها الكثير من المعاني أبرزها: الوعظ والتذكير، والتضرع والدعاء، والإنابة والاستغفار، وهي قوله سبحانه وتعالى: (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ 191 رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ 192 رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ 193 رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ 194) الآيات من سورة آل عمران.

¹ - الكتاب بتحقيق: مبروك مقدم، ص123 وما بعدها.

الفرع الثالث: نظرة في الكتاب.

من خلال ما تم عرضه سابقا يمكن عرض الملاحظات الآتية:

- يعد الكتاب ضروري لكل مسؤول أو مكلف بشيء من شؤون الدولة أو المجتمع، بل هو مفيد لكل فرد مسلم لما يتضمنه من المعارف والتوجيهات الحية والصادقة.
- يشتمل الكتاب على أساليب نوعية؛ مكسوة بدقة العلم ونبض الصدق والرغبة في الإصلاح، يتجلى في شعار الكتاب المتكرر: وأصل كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية، كما يتجلى في افتتاح كل باب بجملة تعتبر قاعدة للباب وحكمة بالغة في مضمونه.
- جمع المؤلف في الكتاب بين مقومات الحكم الحسية والمعنية، فهو ركز على حسن النية، وعلى تقوى الله وخشية العذاب والرغبة في الثواب، وعلى تحري الحلال في اجتلاب الاموال...؛ إضافة إلى ذلك أكد على حسن ترتيب شؤون الدولة، وتحسين الهيئة خلقا وخلقا، وعلى ضرورة المبالغة في الحيطة والحذر، والتحرك والسعي المتواصل في الحضر والسفر لتحقيق النجاح في ذلك.

الخاتمة:

إن الواقف على شخصية الإمام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، يلحظ حقيقة جليلة مفادها العدد الكبير لمؤلفات هي تعداد لتراثه في صنوف عدة من مجالات العلم اللغة، التفسير، السياسة الشرعية، الفقه والفتاوى، الشعر، المنطق... والتي برزت للوجود بين مطبوع ومخطوط وما زال منها المغمور الذي لم ينجل بعد.

فالعلامة المغيلي جمع بين العلم والعمل حيث حصل تأثيرا مباشرا اجتماعيا وسياسيا وثقافيا واقتصاديا، فأعماله لا يضاهيه فيها أحد من علماء منطقة توات في زمانه، إذ أولى اهتماما خاصا بالعقيدة والتوحيد كأصل أصيل لكل عمل متقبل لدين الناس ودينهم.

ويمكن لنا إبراز أهم النتائج المتوصل إليها من خلال البحث الموسوم بـ: **منهج الإمام المغيلي في التأليف من خلال نماذج من أعماله تأصيلا وتطبيقا**. في الآتي:

01- تتصف مؤلفات الشيخ المغيلي عموما وفي السياسة الشرعية خصوصا ببيلي:

(أ) الازدواج بين الجانب العلمي والجانب الدعوي؛ وهذا ما جعله يكتب غالبا للواقع والمستجدات المطروحة؛ فالكتاب الأول جاء في مقدمته: " أما بعد: فقد سألتني بعض الأخيار؛ عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار...". وفي مقدمة المؤلف الثاني قوله مخاطبا سلطان كانو الذي طلب منه وضع كتاب يسير عليه في إمارته: " أما بعد وفقك الله لتتقوى وعصمك من نزعات الهوى..."، ومن مؤلفاته ما يتضح من عنوانه أنه يعالج واقعا معيناً، كما في كتاب: **تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين**.

(ب) البلاغة والجدة في الأسلوب والسلاسة في الطرح؛ فهو يقتبس من الوحي بطريقة مناسبة، ويفتح أبوابا بحكم وقواعد للباب، ويكرر جملا كشعار للمؤلف تنبيهها على أهمية مضمونها كما في قوله: "وأصل كل بلية احتجاج السلطان عن الرعية".

(ج) الجرأة والصدق في معالجة المواضيع؛ فهو لا يحايي قريبا ولا بعيدا؛ كما هو حاله مع اليهود، ومع من يوالي ويسالم اليهود حسبما يراه ويعتقده في ذلك.

02- من المهم الإشارة إلى أهمية كتابات الشيخ وضرورة الاستفادة منها عموما وفي السياسة الشرعية خصوصا، وبالأخص ما يتعلق بالعلاقة مع اليهود.

03- لا تزال العديد من أعمال المؤلف قيد الخزانة والرفوف يتطلب إظهارها والاستفادة منها مثل: رسالته في الفرائض، ومنح الوهاب؛ وهو نظم يشتمل على قواعد في علم المنطق، وذكر الباحثون أن الكثير منها مفقود يتطلب البحث عنه؛ على غرار كتابه: بدر المنير في علم التفسير، مغني اللبيب شرح مختصر خليل، مفتاح النظر في علم الحديث، مقدمة في العربية...

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم...، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، طبعة 1، ج 1، 1422هـ.
- التنبكي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكتاب، طرابلس، ط 2، 2000م.
- الحمدي أحمد، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات، رسالة ماجستير، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1999-2000.
- الحمدي أحمد، محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال بعض آثاره المخطوطة، بحث في منشورات المجلة الجزائرية للمخطوطات، تصدر عن مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية للمخطوطات في شمال إفريقيا، جامعة وهران، الجزائر، العدد الأول، 1423هـ 2003م.
- الحمدي أحمد، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي - الإطار المعرفي والتعامل مع المكانية-، ط 1، الجزائر، مطبعة الرشاد، 1433هـ/2012.
- رباحي عبد القادر، الإمام المغيلي عصره وحياته -دراسة تاريخية، تحليلية وتوثيقية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011.
- الزركلي خير الدين، الأعلام ج 6، ط 11، بيروت، دار العلم للملايين، 2002.
- السيوطي جلال الدين، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج 1، تحقيق: جاد المولى بك، محمد أبو الفضل، وعلي محمد الجاوي، بيروت، المكتبة العصرية، 1987.

- شترة خير الدين، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، المصلح الثائر وفكره الإصلاحية في توات والسودان الغربي، ج2، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011.
- مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن 9هـ-15م، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر.
- المديوني ابن مريم محمد بن أحمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، محمد بن أبي شنب، الجزائر، المطبعة الثعالبية، 1908.
- المغيلي بن عبد الكريم، رسالة الإمارة مخطوط بزواية المغيلي.
- المغيلي بن عبد الكريم، رسالتان في أهل الذمة، بتحقيق الباحث عبد المجيد الخيالي، طبعته دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ضمن منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة سنة: 1421هـ 2001م.

ملحق يتضمن نماذج مختارة من تراث الإمام المغيلي في الفقه والفتوى،
المطبوع منه والمخطوط

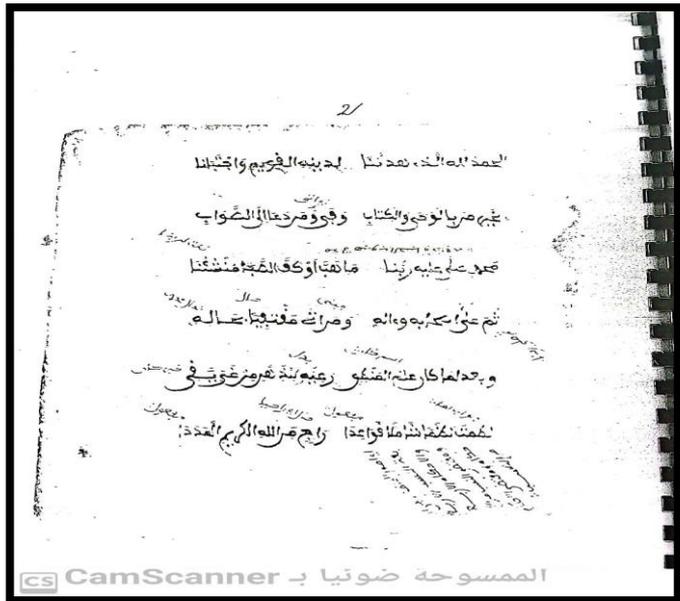
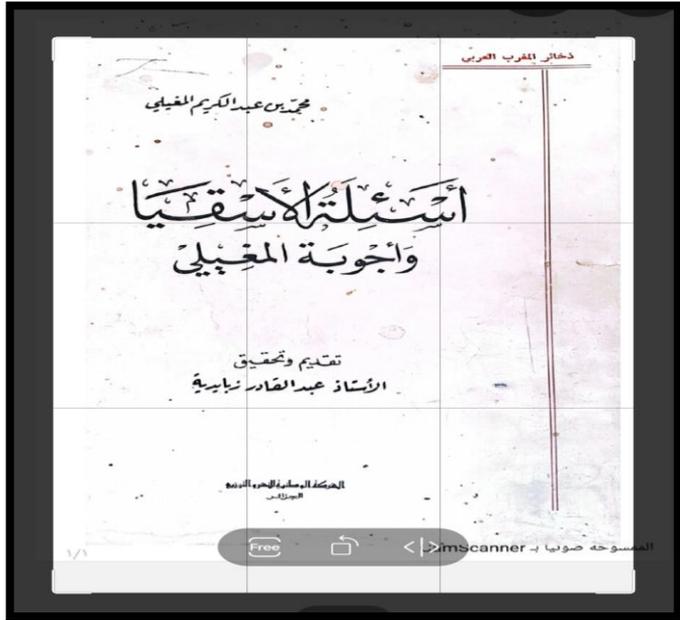
الملحق الأول: أجوبة الشيخ المغيلي ونصائحه لسلطان كاغو الحاج محمد أسقيا
بمملكة سنغاي (مطبوع).

الملحق الثاني: مختصر الشيخ المغيلي في علم الفرائض (مخطوط).

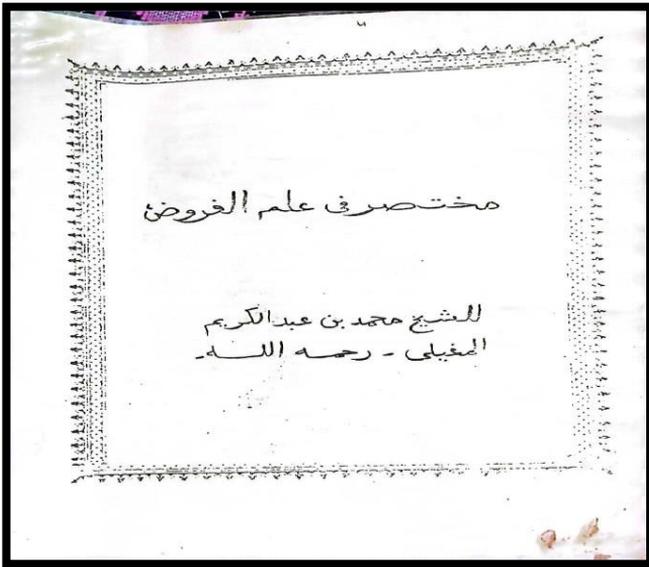
الملحق الثالث: من أجود ما كتب في التفسير كتاب تفسير سورة الفاتحة، للشيخ
محمد بن عبد الكريم المغيلي (مطبوع) بتحقيق الدكتور المغيلي خدير.

الملحق الرابع: منظومة الشيخ المغيلي في قواعد في علم المنطق المعروفة ب: منح
الوهاب (مخطوط).

الملحق الأول: أجوبة الشيخ المغيلي ونصائحه لسلطان كاغو الحاج محمد
أسقيا بمملكة سنغاي (مطبوع).



الملحق الثاني: مختصر الشيخ المغيلي في علم الفرائض (مخطوط).



11

الاول من رتبة القاموس وهو ترتيب الالف بابتداء من الالف الى الياء على ما يلاحظ في رتبة القاموس
 الثاني من رتبة القاموس وهو ترتيب الالف بابتداء من الالف الى الياء على ما يلاحظ في رتبة القاموس
 الثالث من رتبة القاموس وهو ترتيب الالف بابتداء من الالف الى الياء على ما يلاحظ في رتبة القاموس
 الرابع من رتبة القاموس وهو ترتيب الالف بابتداء من الالف الى الياء على ما يلاحظ في رتبة القاموس
 الخامس من رتبة القاموس وهو ترتيب الالف بابتداء من الالف الى الياء على ما يلاحظ في رتبة القاموس
 السادس من رتبة القاموس وهو ترتيب الالف بابتداء من الالف الى الياء على ما يلاحظ في رتبة القاموس
 السابع من رتبة القاموس وهو ترتيب الالف بابتداء من الالف الى الياء على ما يلاحظ في رتبة القاموس
 الثامن من رتبة القاموس وهو ترتيب الالف بابتداء من الالف الى الياء على ما يلاحظ في رتبة القاموس
 التاسع من رتبة القاموس وهو ترتيب الالف بابتداء من الالف الى الياء على ما يلاحظ في رتبة القاموس
 العاشر من رتبة القاموس وهو ترتيب الالف بابتداء من الالف الى الياء على ما يلاحظ في رتبة القاموس

12

مستقلة عن رتبة القاموس وشبهها بالترتيب ما في اواخر القاموس من رتبة القاموس
 في رتبة القاموس وهو ترتيب الالف بابتداء من الالف الى الياء على ما يلاحظ في رتبة القاموس
 الثاني من رتبة القاموس وهو ترتيب الالف بابتداء من الالف الى الياء على ما يلاحظ في رتبة القاموس
 الثالث من رتبة القاموس وهو ترتيب الالف بابتداء من الالف الى الياء على ما يلاحظ في رتبة القاموس
 الرابع من رتبة القاموس وهو ترتيب الالف بابتداء من الالف الى الياء على ما يلاحظ في رتبة القاموس
 الخامس من رتبة القاموس وهو ترتيب الالف بابتداء من الالف الى الياء على ما يلاحظ في رتبة القاموس
 السادس من رتبة القاموس وهو ترتيب الالف بابتداء من الالف الى الياء على ما يلاحظ في رتبة القاموس
 السابع من رتبة القاموس وهو ترتيب الالف بابتداء من الالف الى الياء على ما يلاحظ في رتبة القاموس
 الثامن من رتبة القاموس وهو ترتيب الالف بابتداء من الالف الى الياء على ما يلاحظ في رتبة القاموس
 التاسع من رتبة القاموس وهو ترتيب الالف بابتداء من الالف الى الياء على ما يلاحظ في رتبة القاموس
 العاشر من رتبة القاموس وهو ترتيب الالف بابتداء من الالف الى الياء على ما يلاحظ في رتبة القاموس

الملحق الثالث: من أجود ما كتب في التفسير كتاب تفسير سورة الفاتحة، للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (مطبوع) بتحقيق الدكتور المغيلي خدير.



ملحق الصور لبعض آثار ومآثر
ومكتوب الإمام محمد بن عبد
الكريم المغيلي
وعناوين نشاطات مؤلفات عنه.

ملحق الصور لبعض آثار ومآثر ومكتوب الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وعناوين نشاطات ومؤلفات عنه.

من إعداد السيد/ عادل صال متصرف مستشار
بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

الملحق الأول: بعض الصفحات المصورة من مخطوط الإمام ومكتوبه



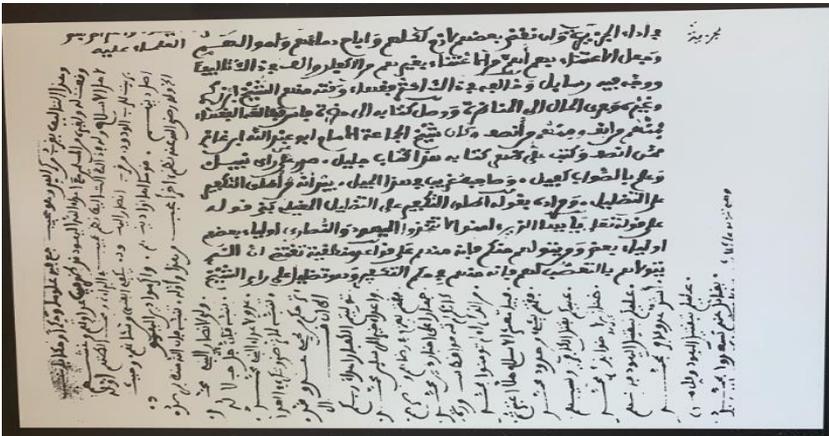
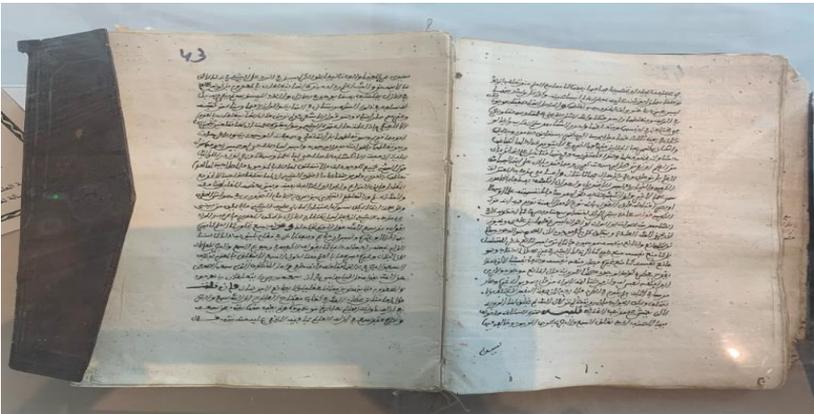
الصفحة الأخيرة من المخطوط

الصفحة الأولى من المخطوط

مخطوط التفسير القرآني لسورة الفاتحة للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي



صورتان لورقتين مخطوطتين من كتاب أحكام أهل الذمة للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي



مجموعة من نسخ مصورة لمخطوط منسوبة إلى الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، مرفقة بمضمونها، مأخوذة من مذكرة ماستر لطالب من جامعة وهران كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
 قال الشيخ الفقيه الإمام العالم العلامة تاج الدين ومصباح المسلمين أبو عبد الله
 محمد بن الشيخ المرحوم عبد الكريم، لطف الله به، ورحم والديه، وأعان على ما
 هو عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
 (أخذت له رب العالمين، الرحمن الرحيم، ملك يوم الدين) والصلوة والسلام
 على رسول الله خير خلق الله محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما
 بعد. ولفقه الله للتقوى وعصمته من نزغات الهوى، فإن الإمارة خلافة من الله
 وأنيابة عن رسول الله، فما أعظم فضلها وما أنقل حملها، إن حال الأمر دينها
 التقوى يقطع أوداج الهوى، وإن حار ذنبه الهوى يقطع أوداج التقوى، فليكن
 رحمت الله ينقوي الله (كل نفس ذائقة الموت)، وإنما يؤمن الجوركم يوم القيامة،
 فمن زُحِرَ عن النار وأُنقِلَ الجنةَ فلما فاز، وما الجنة إلا ما سَأَلَ العُورُ؟
 وسأذكر له (1) جملة مختصرة في ثمانية أبواب، والله التوفيق للصواب.
«الباب الأول: فيما يجب على الأمير من حسن النية:» الإمارة بلوى بين
 الهوى والتقوى، فعلى كل ذي عقل وأمانة أن يبعد عنها إلا إذا كان لم يكن له بد
 منها، فتوكل على الله، واستعن في أمره كله بالله، وليكن صحتك كله لوجه الله،
 وتذكر نفسك الله واحد من خلق الله، كثير القوى منك لنصر الله، فليكن ضعفك كله
 من الله، وحرفك كله من الله، ولفقه كله في مصالح خلق الله، ما والله لك عليهم
 لتكون سيدهم ومولاهم، وإنما والله عليهم لتصلح لهم دينهم.

المحقق رقم (01): الوجه 01 - من الورقة 01 - من النسخة المصورة من
 مخطوط:
«رسالة الإمارة» لمحمد بن عبد الكريم المغيلي

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله الذي أنزل الكتاب تبياناً لكل شيء، وهدي وشرى للمؤمنين، ونصر
 الحق على الباطل، وأظفر دين الإسلام على كل دين، والصلوة والسلام الأمان
 على النور المبين، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه
 أجمعين، ورضي الله عن الخلفاء الراشدين، الأئمة المهديين، وعن أصحاب
 رسول الله أجمعين، ورضي الله عن التابعين، وتابع التابعين، لهم باصالح إلى يوم
 الدين، أما بعد. فقول محمد بن عبد الكريم، المغيلي التلمساني لطف الله به: أعاننا
 الله وإياله على رعاية ديننا، وحفظ ما أودعنا من شرعنا، سألتي أن أكتب لك
 جملة مختصرة من الرقة على المعتزلة في اعتقاداتهم الفاسدة، وتكرت لي أن
 ضالقة من المعتزلة ببلاد المغرب، بينهم قوم من المالكية، لا قوة لهم، ولا علم
 عندهم، وظلمت مني أن أذكر أدلة تصحيحهم. فاطمأرتنا الله وإيتمن أن يدى الله
 هو الهدى، ومن بضلت فلا هادي له، ثم نرى على قوله عن: «وجن لنبيه صلى الله
 عليه وسلم: (الذين أتواكوا سواة عليهم تأتيتهم أم لم تأتزلهم لا يؤمنون، حتى
 على على قلوبهم وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم غشاوة، ولهم عذاب عظيم، ومن
 الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وإنما هم بغيبطين، ينادون الله والذين
 آمنوا، وإنما ينادون إلا الظلمة، وما ينشرون، في قلوبهم مرض، فإذله الله
 مرضاً، ولهم عذاب أليم بما كانوا يكتمون، وإذا قيل لهن يا نساء المؤمنات لا
 قلوا لئن نحن كنا مسلمتحن، ألا إنهن هم المسلمون ولكن لا ينشرون، وإذا قيل لهن
 أملا كما آمن الناس قلوا الذين كما آمن السلفاء، ألا إنهن هم السلفاء ولكن لا
 يعلنون»⁴. فوجب على من قده الله أمور المسلمين أن يرد عن أهل الذبح بالعرض
 على التوبة، والسيف أجمعين، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين له، فإن انتهبوا فلا
 عنوان إلا على الظالمين، وهذا هو الأمر التراب، والحكم الحازم من أهل الأئواء
 والذبح، وإن لم يكونوا كافرين.

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله الذي أنزل الكتاب تبياناً لكل شيء، وهدي وشرى للمؤمنين، ونصر
 الحق على الباطل، وأظفر دين الإسلام على كل دين، والصلوة والسلام الأمان
 على النور المبين، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه
 أجمعين، ورضي الله عن الخلفاء الراشدين، الأئمة المهديين، وعن أصحاب
 رسول الله أجمعين، ورضي الله عن التابعين، وتابع التابعين، لهم باصالح إلى يوم
 الدين، أما بعد. فقول محمد بن عبد الكريم، المغيلي التلمساني لطف الله به: أعاننا
 الله وإياله على رعاية ديننا، وحفظ ما أودعنا من شرعنا، سألتي أن أكتب لك
 جملة مختصرة من الرقة على المعتزلة في اعتقاداتهم الفاسدة، وتكرت لي أن
 ضالقة من المعتزلة ببلاد المغرب، بينهم قوم من المالكية، لا قوة لهم، ولا علم
 عندهم، وظلمت مني أن أذكر أدلة تصحيحهم. فاطمأرتنا الله وإيتمن أن يدى الله
 هو الهدى، ومن بضلت فلا هادي له، ثم نرى على قوله عن: «وجن لنبيه صلى الله
 عليه وسلم: (الذين أتواكوا سواة عليهم تأتيتهم أم لم تأتزلهم لا يؤمنون، حتى
 على على قلوبهم وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم غشاوة، ولهم عذاب عظيم، ومن
 الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وإنما هم بغيبطين، ينادون الله والذين
 آمنوا، وإنما ينادون إلا الظلمة، وما ينشرون، في قلوبهم مرض، فإذله الله
 مرضاً، ولهم عذاب أليم بما كانوا يكتمون، وإذا قيل لهن يا نساء المؤمنات لا
 قلوا لئن نحن كنا مسلمتحن، ألا إنهن هم المسلمون ولكن لا ينشرون، وإذا قيل لهن
 أملا كما آمن الناس قلوا الذين كما آمن السلفاء، ألا إنهن هم السلفاء ولكن لا
 يعلنون»⁴. فوجب على من قده الله أمور المسلمين أن يرد عن أهل الذبح بالعرض
 على التوبة، والسيف أجمعين، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين له، فإن انتهبوا فلا
 عنوان إلا على الظالمين، وهذا هو الأمر التراب، والحكم الحازم من أهل الأئواء
 والذبح، وإن لم يكونوا كافرين.

المحقق رقم (02): الوجه 01 - من الورقة 01 - من النسخة المصورة من
 مخطوط:
«رسالة الرقة على المعتزلة» لمحمد بن عبد الكريم المغيلي

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله الذي أنزل الكتاب تبياناً لكل شيء، وهدي وشرى للمؤمنين، ونصر
 الحق على الباطل، وأظفر دين الإسلام على كل دين، والصلوة والسلام الأمان
 على النور المبين، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه
 أجمعين، ورضي الله عن الخلفاء الراشدين، الأئمة المهديين، وعن أصحاب
 رسول الله أجمعين، ورضي الله عن التابعين، وتابع التابعين، لهم باصالح إلى يوم
 الدين، أما بعد. فقول محمد بن عبد الكريم، المغيلي التلمساني لطف الله به: أعاننا
 الله وإياله على رعاية ديننا، وحفظ ما أودعنا من شرعنا، سألتي أن أكتب لك
 جملة مختصرة من الرقة على المعتزلة في اعتقاداتهم الفاسدة، وتكرت لي أن
 ضالقة من المعتزلة ببلاد المغرب، بينهم قوم من المالكية، لا قوة لهم، ولا علم
 عندهم، وظلمت مني أن أذكر أدلة تصحيحهم. فاطمأرتنا الله وإيتمن أن يدى الله
 هو الهدى، ومن بضلت فلا هادي له، ثم نرى على قوله عن: «وجن لنبيه صلى الله
 عليه وسلم: (الذين أتواكوا سواة عليهم تأتيتهم أم لم تأتزلهم لا يؤمنون، حتى
 على على قلوبهم وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم غشاوة، ولهم عذاب عظيم، ومن
 الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وإنما هم بغيبطين، ينادون الله والذين
 آمنوا، وإنما ينادون إلا الظلمة، وما ينشرون، في قلوبهم مرض، فإذله الله
 مرضاً، ولهم عذاب أليم بما كانوا يكتمون، وإذا قيل لهن يا نساء المؤمنات لا
 قلوا لئن نحن كنا مسلمتحن، ألا إنهن هم المسلمون ولكن لا ينشرون، وإذا قيل لهن
 أملا كما آمن الناس قلوا الذين كما آمن السلفاء، ألا إنهن هم السلفاء ولكن لا
 يعلنون»⁴. فوجب على من قده الله أمور المسلمين أن يرد عن أهل الذبح بالعرض
 على التوبة، والسيف أجمعين، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين له، فإن انتهبوا فلا
 عنوان إلا على الظالمين، وهذا هو الأمر التراب، والحكم الحازم من أهل الأئواء
 والذبح، وإن لم يكونوا كافرين.

بسم الله الرحمن الرحيم صلوات على سوره البقره وآله

الحق لله الذي أنزل الكتاب نبينا لكل شيء هدى وبشرى للمؤمنين، ونصر الحق على الباطل، وأظهر دين الإسلام على كل دين، ذي العقبة والحلال، والعزة والكمال، له الرقاب خاضعة والأبصار خاشعة، وكل أمر بيده، ولا حول ولا قوة إلا به، أحمده وأوحده وأعظمه وأعزاه وأعوذ بالله من شرور ألسنا ومن سيئات أعمالنا، ما يبد الله فهو المهتدي ومن يصل فلا هادي له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله وحبيه وخليفه، ذو الخلق العظيم، والخلق القوي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أفضل الصلاة وأتم التسليم، ورضى الله عن الخلفاء الراشدين، الأئمة المهديين، وعن أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين، وتابع التابعين لهم باحسان إلى يوم الدين. هذا كتاب من عبد الله محمد بن عبد الكريم المعلى التتسائي، لطف الله به بجهد نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه، إلى كل مسلم ومسلمة سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فقد سألت بعض الأخيار عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، وعما يلزم أهل الذممة من الجزية والضغار، وعما عليه أكثر يهود هذا الزمان من التعدي والضغائن والشرك على الأحكام الشرعية بتولية أرباب الشوكة أو خدمة السفطان، فقول والله المستعان.

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي أنزل الكتاب نبينا لكل شيء هدى وبشرى للمؤمنين، ونصر الحق على الباطل، وأظهر دين الإسلام على كل دين، ذي العقبة والحلال، والعزة والكمال، له الرقاب خاضعة والأبصار خاشعة، وكل أمر بيده، ولا حول ولا قوة إلا به، أحمده وأوحده وأعظمه وأعزاه وأعوذ بالله من شرور ألسنا ومن سيئات أعمالنا، ما يبد الله فهو المهتدي ومن يصل فلا هادي له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله وحبيه وخليفه، ذو الخلق العظيم، والخلق القوي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أفضل الصلاة وأتم التسليم، ورضى الله عن الخلفاء الراشدين، الأئمة المهديين، وعن أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين، وتابع التابعين لهم باحسان إلى يوم الدين. هذا كتاب من عبد الله محمد بن عبد الكريم المعلى التتسائي، لطف الله به بجهد نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه، إلى كل مسلم ومسلمة سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فقد سألت بعض الأخيار عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، وعما يلزم أهل الذممة من الجزية والضغار، وعما عليه أكثر يهود هذا الزمان من التعدي والضغائن والشرك على الأحكام الشرعية بتولية أرباب الشوكة أو خدمة السفطان، فقول والله المستعان.

الملحق رقم (03): الوجه 01- من الورقة 01- من النسخة المنصورة من مخطوط: "رسالة إلى كل مسلم ومسلمة" لمحمد بن عبد الكريم المعلى

الملحق رقم (03): الوجه 01- من الورقة 01- من النسخة المنصورة من مخطوط: "رسالة إلى كل مسلم ومسلمة" لمحمد بن عبد الكريم المعلى

بسم الله الرحمن الرحيم صلوات على سوره البقره وآله

الحمد لله الذي أنزل الكتاب نبينا لكل شيء هدى وبشرى للمؤمنين، ونصر الحق على الباطل، وأظهر دين الإسلام على كل دين، ذي العقبة والحلال، والعزة والكمال، له الرقاب خاضعة والأبصار خاشعة، وكل أمر بيده، ولا حول ولا قوة إلا به، أحمده وأوحده وأعظمه وأعزاه وأعوذ بالله من شرور ألسنا ومن سيئات أعمالنا، ما يبد الله فهو المهتدي ومن يصل فلا هادي له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله وحبيه وخليفه، ذو الخلق العظيم، والخلق القوي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أفضل الصلاة وأتم التسليم، ورضى الله عن الخلفاء الراشدين، الأئمة المهديين، وعن أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين، وتابع التابعين لهم باحسان إلى يوم الدين. هذا كتاب من عبد الله محمد بن عبد الكريم المعلى التتسائي، لطف الله به بجهد نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه، إلى كل مسلم ومسلمة سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فقد سألت بعض الأخيار عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، وعما يلزم أهل الذممة من الجزية والضغار، وعما عليه أكثر يهود هذا الزمان من التعدي والضغائن والشرك على الأحكام الشرعية بتولية أرباب الشوكة أو خدمة السفطان، فقول والله المستعان.

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي أنزل الكتاب نبينا لكل شيء هدى وبشرى للمؤمنين، ونصر الحق على الباطل، وأظهر دين الإسلام على كل دين، ذي العقبة والحلال، والعزة والكمال، له الرقاب خاضعة والأبصار خاشعة، وكل أمر بيده، ولا حول ولا قوة إلا به، أحمده وأوحده وأعظمه وأعزاه وأعوذ بالله من شرور ألسنا ومن سيئات أعمالنا، ما يبد الله فهو المهتدي ومن يصل فلا هادي له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله وحبيه وخليفه، ذو الخلق العظيم، والخلق القوي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أفضل الصلاة وأتم التسليم، ورضى الله عن الخلفاء الراشدين، الأئمة المهديين، وعن أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين، وتابع التابعين لهم باحسان إلى يوم الدين. هذا كتاب من عبد الله محمد بن عبد الكريم المعلى التتسائي، لطف الله به بجهد نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه، إلى كل مسلم ومسلمة سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فقد سألت بعض الأخيار عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، وعما يلزم أهل الذممة من الجزية والضغار، وعما عليه أكثر يهود هذا الزمان من التعدي والضغائن والشرك على الأحكام الشرعية بتولية أرباب الشوكة أو خدمة السفطان، فقول والله المستعان.

الملحق رقم (04): الوجه 01- من الورقة 01- من النسخة المنصورة من مخطوط: "عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وعما يلزم أهل الذممة من الجزية والضغار" لمحمد بن عبد الكريم المعلى

الملحق رقم (04): الوجه 01- من الورقة 01- من النسخة المنصورة من مخطوط: "عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وعما يلزم أهل الذممة من الجزية والضغار" لمحمد بن عبد الكريم المعلى

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم

كتاب الشيخ العالم المطلق سيدنا وسليمان إلى الله محمد بن عبد الكريم المغيرة
الحمد لله الذي أمر بالمعروف ونهى عن المنكر في الأوائل والأخرين، وأسبغ
أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين وإمام المرسلين أنزل عليه كتابه
المتين، هدى وبشرى للمؤمنين، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاءه
في الحق جهاده حتى نصر الله به الحق على الباطل، وأظهر دين الإسلام على
كل دين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليمًا من عبد الله
تعالى محمد بن عبد الكريم بن محمد التلمساني لطف الله به وبجميع أصحابه، بحمد
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه، سلام عليكم ورحمة الله
تعالى وبركاته، أما بعد.

فإن سألتم حتى فإني بفضل الله أنجو إلا كسبي، وكسبي صالحًا من فضل ربي
وحسبي خالفي في كل أمر، فعمد الحساب يا مولاي حسبي، وكذلك لأن كل شيء
يستند إلى المشيئة والمشيئة لا تستند إلى شيء وإنما حكم الأزل، وهل حكم الأزل
عن أن يضاف إلى العمل، فكل ما في الكتب والسنة من نحو ترتيب التواب على
الضاعة، والغلب على الإضاعة، فمن باب ترتيب الملوك على التثليل لا من باب
التثليل، وكيف لا وإلهم إليه واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم أي خلق
السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والملك التي تجري في البحر بما ينفع
الناس، وما أنزل الله من السماء من ماء فأصحب به الأرض بعد موتها، وبث فيها
من كل دابة وتصريف الرياح والجناب المستقر بين السماء والأرض لآيات لقوم
يعقلون، يعقلون بموعدهم أفكار قلوبهم عن سيل الوعد، فإذا هم مبصرون، لأن
المطلوب من معرفة المولى جل وعلى إنما هو الإعتقاد الجازم بخلق كل نفس
والآيات كل كمال التزوية عن كل نفس وتنسيه وليس من الكمال ما يقضي
لمحال لأن حمله ليس بنفس وغير النفس لا يخل بكماله ويتقلى من ذلك كله
التصديق الجازم بقوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم

الحمد لله الذي أمر بالمعروف ونهى عن المنكر في الأوائل والأخرين، وأسبغ
أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين وإمام المرسلين أنزل عليه كتابه
المتين، هدى وبشرى للمؤمنين، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاءه
في الحق جهاده حتى نصر الله به الحق على الباطل، وأظهر دين الإسلام على
كل دين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليمًا من عبد الله
تعالى محمد بن عبد الكريم بن محمد التلمساني لطف الله به وبجميع أصحابه، بحمد
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه، سلام عليكم ورحمة الله
تعالى وبركاته، أما بعد.

المصحح رقم (06): الوجه 01 - من الورقة 01 - من النسخة المنصورة من
مخطوط:
"مصباح الأرواح في أصول الفلاح" لمحمد بن عبد الكريم المغيرة

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم

كتاب الطراف الثلاثة من كرامات الشيخين الولدة والوالدة، للشيخ الأجل القدوة
(ع) العلامة الرباني () الجليل العارف بأكبر مخترات المعارف، منزع درر
الكلم الجوامع النبوية، وجمع البحرين، بحري الحظفة والشريعة، البئر المنجلي
غياض ليالي التكبذ والجهاذ، (...) شيخنا وسيدنا، وصديقنا وسيدنا، وسليمانا إلى
ربنا سيدي محمد بن شيخنا السيد المختار بن سيدي بابا أحمد بن سيدي أبي بكر
الكنيني ثم الوافي رضي الله عنه وأرضاه، وحجل نصيبنا منه أوفر نصيب
وأوفى (...). علينا وعلى المسلمين من بركاته الوافرة وخيراته المتضارفة، بما
يجري الكسر ويسد الخلل، ويندم الخير ويصلح العمل، إنه على كل شيء قدير،
وبالإجابة حدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

قال المؤلف: حمدًا لمن منح تولياده طراف الخوارق، وتلذذها، وأسلم إليهم
مغاليب الطغايا، وطوفهم فلاندها، وألهمهم معك الرقائق، وأسبغ عائلانها،
وأبهمهم فولان الدقائق ففضوا فراندها، بعدما ذنبوا النفوس، وخرقوا عائلانها،
وهدموا أسوارها، وأخطوا مراصدها، وردصنيتهم الشياطين فانق () وفرقوا
حبالها، ومصداها، والآنتم لهم الثابتا، ففرقتهم نفوسهم () فاستنكروا زوالها،
واستنكروا جرائدها، واستنكروا أطيابها وحضارها، فولت ضمير، وقد نلوا منها،
ولم تمل منها، تحسبهم في منامهم فيها إقباضا وهم فرقد، بلهم الحق بالحق في
كفيلانها، ذات بين الحظفة، وذات شمال الصدق، رأوا سرورها غرورا، ولعبها
زورا وهلكا

الحمد لله الذي أمر بالمعروف ونهى عن المنكر في الأوائل والأخرين، وأسبغ
أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين وإمام المرسلين أنزل عليه كتابه
المتين، هدى وبشرى للمؤمنين، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاءه
في الحق جهاده حتى نصر الله به الحق على الباطل، وأظهر دين الإسلام على
كل دين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليمًا من عبد الله
تعالى محمد بن عبد الكريم بن محمد التلمساني لطف الله به وبجميع أصحابه، بحمد
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه، سلام عليكم ورحمة الله
تعالى وبركاته، أما بعد.

المصحح رقم (06): الوجه 01 - من الورقة 01 - من النسخة المنصورة من
مخطوط:
"الطراف الثلاثة في مناقب الشيخين الولدة والوالدة" لمحمد بن المختار
الكنيني

الملحق الثاني: صور لبعض أغراض الإمام المغيلي

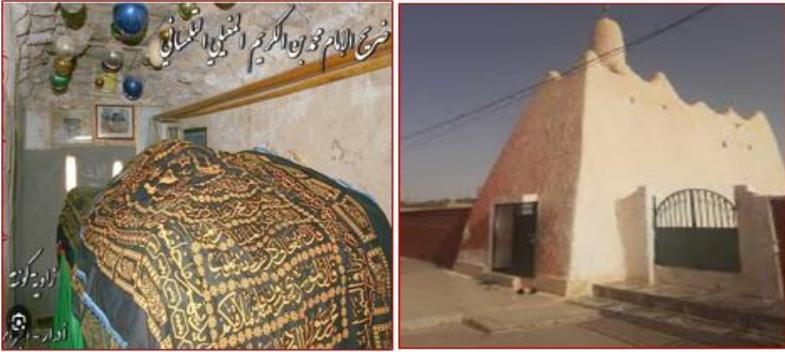


قلنسوة، عكاز وسيف الإمام المغيلي بالزاوية الرقادية الكنتية
 من الصفحة الرقمية الرسمية لقبائل توات تيدكلت قوارة

الملحق الثالث: صور لزاوية ومصليات وخلوة الإمام المغيلي



صور لزاوية الشيخ بن عبد الكريم المغيلي



صورة من خارج وداخل ضريح الإمام المغيلي، الموجود بجوار زاويته

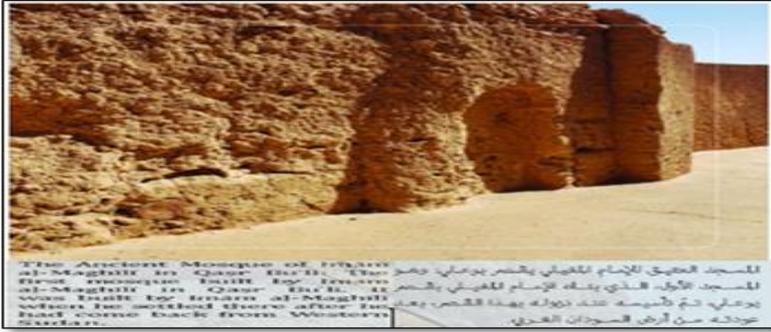


الشيخ محمد بن عبد... - زاوية الشيخ بن عبد الكريم المغيلي |

من داخل زاوية الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي



المسجد الثاني للإمام المغيلي بقصر بوعلي الذي بناه بعد تقدمه في السن وعجزه عن الصعود للمسجد الأول



المسجد العتيق للإمام المغيلي بقصر بوعلي، تم تأسيسه عند نزوله بهذا القصر بعد عودته من السودان الغربي



مصلى الإمام المغيلي ببلدة السبع بالمكان المسمى بالقواررة



خلوة ومكتبة الإمام المغيلي



بعض الأماكن التي استقر ومَرَّ منها الإمام المغيلي خلال مسيرته



آثار قبر الأمير المغدور محمد (عبد الجبار) ابن الإمام المغيلي

الملحق الخامس: من ملتقى الجزائر الدولي حول "الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، الحوكمة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدها"

انعقد ملتقى الجزائر الدولي حول "الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي: الحوكمة واستقرار
المجتمعات الإفريقية ووحدها"، يومي 12 و 13/12/2022، بالمركز الدولي للمؤتمرات عبد
اللطيف رحال بالجزائر العاصمة، تحت الرعاية السامية لرئيس الجمهورية.

1-رسالة رئيس الجمهورية للملتقى (من الجزء الأول لكتاب أعمال الملتقى)



رسالة رئيس الجمهورية السيد عبد الطّجيد تبون
لملتقى الجزائر الدولي
الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيّدنا
وحبيبنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين،

- أصحاب المعالي والسعادة،
- السادة العلماء والمشايخ،
- الحضور الكريم،

نرحب بضيوفنا من العلماء والأساتذة الباحثين والمشايخ المرّبين،
وبأحفاد الإمام المغيلي وأبنائه بالنسب وبالانتساب العلميّ في هذا المحفل
العلميّ المبارك، الذي تتدارسون فيه معالم شخصيّة علميّة بارزة، تركت
آثار الفضيلة والخير، ومآثر العقل والفكر، فبقي ذكرها خالدًا خلود تروّكيتها
الأخلاقية والعلمية والعملية.

لقد سجل العلامة الإمام سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي اسمه
في التاريخ كأحد العلماء الأجلّاء، لما قام به من أدوار بارزة في المجالات
العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وفي نشر الوعي والهداية،
خلال القرن 9هـ / 15م، في إفريقيا العامرة.

أيّها السيّدات الفضليات، أيّها السادة الأفاضل لا يخفي على كريم
علمكم أنّ نشأة الإمام المغيليّ قد ابتدأت من مرحلة التكوين العليّ عند
ثلّة من علماء الجزائر الأفاضل في العهد الزبّانيّ، ومنهم علامة الجزائر وعلامتها
الشيخ سيدي عبد الرحمن النعاليّ، وإمام تلمسان الشيخ سيدي محمّد بن

يوسف السنوسي وغيرهما من الأعلام الأكابر، ثم واصل مسيرة البذل والعطاء، متجاوزاً ما واجهه من العقبات والمحن، وأثمرتْ جُهوده في نشر تعاليم الإسلام السّميحة في قارتنا الإفريقيّة، فبفضله وفضله أمثاله من العلماء، كالشّيخ سيّدي أحمد التّيجانيّ وسيّدي عبد الرّحمان الأخصريّ وغيرهما كثير، انتشر الإسلام في مناطق واسعة من القارة الإفريقيّة، نحو مالي والنيجر، ونيجيريا، وتشاد وغيرها... ولقد سجّلتْ كتبُ التاريخ تلك الإسهامات في مجال التّعليم والتّدريس، والوعظ والإرشاد والإصلاح، حيث أرسى الإمام قواعد مؤسّسات علميّة، وحواضر ثقافيّة، في مختلف الأقطار الإفريقيّة، وكان لذلك بعد عميق، في توجّه تلك المجتمعات إلى الاهتمام بالتّعليم، وفتح المدارس، والعناية بالطلّبة... واستمرت آثار تلك التّهضة العلميّة قروناً متواليّة، بل إلى يوم الناس هذا.

كما حظي إنتاجه العلمي بالانتشار والاهتمام البالغ، فأثر في ازدهار الفقه، والتصوف، وعلوم اللّغة العربيّة، وهو العالم الأشهر الذي سجّل التاريخ آثاره في هذه البلاد، وأثر في عدد من العلماء والمؤلّفين والباحثين في القديم والحديث.

أيّها السيّدات الفضليات، أيّها السّادة الأفاضل إن المشروع الإصلاحيّ المتكامل للإمام المغيليّ لم يكتف بالبعد التّعليميّ والتّربويّ والدّعويّ فحسب، بل امتدّ ليشمل مجالات الحوكمة الرّاشدة، من أجل الحفاظ على الاستقرار، والأمن الاجتماعيّ، وكانت كتاباته مرجعيّة مركّزة، مستوحاة من مبادئ الشريعة الإسلاميّة السّميحة، لما فيها من القيم والمبادئ العليا، كسيادة القانون، وتحقيق العدل والمساواة، واحترام الحريّات والحقوق، والمشاركة المجتمعيّة الفعّالة.

ومن آثار المغيليّ الاقتصاديّة والتّنمويّة في البلاد التّواتيّة، تلك السّوق الكبيرة والمشهورة بقصر سيدي يوسف، والتي كانت بمثابة قطب اقتصاديّ يربط إقليم توات بكثير من الأقاليم والبلدان، وهو الاتّجاه الذي

ينبغي أن تنحوه بلداننا الإفريقيّة اليوم من أجل إرساء تكامل اقتصاديّ إفريقيّ.

ولقد أثر ذلك المشروع إيجاباً في إرساء النّظم الإداريّة والتّشريعيّة والقضائيّة، وتحقيق عوامل الانسجام والتّعايش، والاستقرار والتّنمية، وتنشيط الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة، لأنّه مشروع متعدّد الجوانب، مبني على الوسطيّة التي سار عليها علماؤنا عبر التاريخ وصنعت مرجعيّتنا الدينيّة، ويمكن أن نستلهم من مبادئه وقيمه في بلداننا وعلى الخصوص منطقة الساحل الإفريقيّ، ممّا يعيننا على مواجهة مختلف التّحديات، لاسيما الغلو والتطرف بكل أشكاله.

لقد تمكّن الإمام المغيليّ من الاستثمار في البعد الإفريقيّ، واستطاع أن يُكوّن أرضيّة للوفاق والتعاون البنّاء. وإن الجزائر الجديدة تدرك بأن البعد الإفريقيّ يبقى خياراً استراتيجيّاً مهماً، يمكّن شعوبنا من استكمال طموحاتنا المنشودة، بتعزيز العمل الدبلوماسي، وتنشيط السّياحة الدينيّة، والاستفادة من عمق الطّرق الصّوفيّة وامتداداتها في إفريقيا، وهو ما يؤدّي إلى تحقيق الانسجام في المواقف السياسيّة، وتفعيل التّعاون الاقتصاديّ، وترقية التّبادل العلميّ والثّقافيّ، وإرساء الاستقرار والأمن والمسلم.

وإنّ الجزائر التي خدمت إفريقيا في ماضي عهدها، ستواصل هذه المسيرة في حاضرها ومستقبلها، مستلهمة كلّ ذلك من مجد الأسلاف والأجداد.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار. وصلى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

2- الكتاب الصادر عن الملتقى:

جمعت أعمال الملتقى في كتاب من ثلاثة أجزاء، يحمل عنوان الملتقى نفسه:



3- صور لرئيس الجمهورية وبعض رجال الدولة الحضور



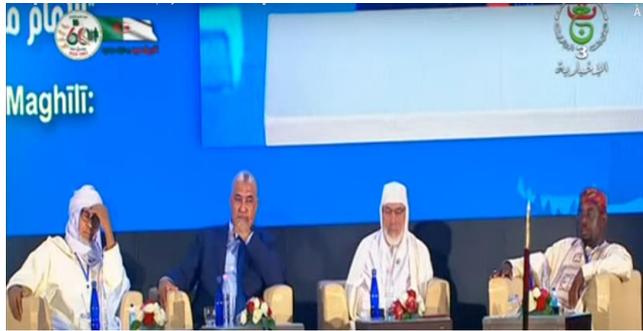
استقبال رئيس الجمهورية لبعض من أحفاد الإمام المغيلي والمشاركين في الملتقى



وزير الأوقاف والشؤون الدينية يوسف بلمهدي يفتتح الملتقى ويلقي رسالة رئيس الجمهورية



حضور السيد وزير التعليم العالي والبحث العلمي كمال بداري لمجريات الملتقى



حضور عميد جامع الجزائر الشيخ محمد المأمون القاسمي الحسني
مجريات الملتقى وإلقائه المداخلة الافتتاحية

4- صور لاستقبال أحفاد الإمام المغيلي من السلطات المحلية لولاية أدرار





صور لاستقبال بعض أحفاد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي المشاركين في الملتقى

5- صور لبعض الجلسات واللقاءات العلمية في الملتقى



الملحق السادس: حصص تلفزيونية حول الإمام محمد المغيلي



وثائقي حول زيارة أحفاد الإمام المغيلي لمعالم مختلفة خلال الملتقى الدولي من إعداد القناة التلفزيونية الجزائرية الثالثة، 2022



القناة التلفزيونية الجزائرية الخامسة، قناة القرآن الكريم: حصة أولو الأدياب عن الإمام عبد الكريم المغيلي التلمساني، 2023



قناة الحوار الجزائرية: حصة عن الإمام عبد الكريم المغيلي، مع المجاهد والمؤرخ محمد الصغير بلعلم، سنة 2022



الدكتور مبروك زيد الخير، من تراجم علماء المالكية عن الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي
 بالقناة الرقمية JOW+ Islam - 2022 - <https://www.jow.radio>



وثائقي عن يهود الجزائر، من إعداد قناة الشروق يعرض مواقف الإمام المغيلي من يهود تامنظيط



تغطية تلفزيونية من قناة الشروق الجزائرية للذكرى السنوية للإمام عبد الكريم المغيلي



تغطية تلفزيونية لقناة النهار الجزائرية لزيارة وفود وطنية وأجنبية إفريقية وآسيوية
لزواوية الإمام المغيلي



القناة التلفزيونية الجزائرية الخامسة، حصة عن زاوية الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، إرث يتجدد



وقفة تلفزيونية في سيرة الإمام المغيلي من إعداد القناة التلفزيونية الجزائرية الثالثة، 2022

الملحق السابع: مقتطفات من شعر ومكتوب الإمام المغيلي،

(منشورة بالمكتبة الرقمية لمركز البحث في الإعلام العلمي والتقني CERIST،

على الرابط <https://asjp.cerist.dz/en/article/113147>)

1- من مقال للأستاذ هادي جلول من جامعة سيجي بلعباس - الجزائر،

الموسوم ب: الشيخ العلامة محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي

أ يمكن أن المرء في العلم حجة وينهي عن الفرقان في بعض قوله
هل المنطق المعنى إلا عبارة عن الحق أو حقيقة حين جهلة؟
معانيه في كل الكلام فهل ترى دليلا صحيحا لا يرد لشكله ؟
أرئيتي هداك الله منه قضية على غير هذا تنفها عن محله
ودع عنك ما أبدئي كفور وذمه رجال وان اثبت صحة نقله
خذ الحق من كفور ولا تقسم دليلا على شخص بذهب مثله
عرفناهم بالحق لا العكس فاستين به لا بهم إذ هم هداة لأجله
لئن صح عنهم ما ذكرت فكم هم وكم عال بالشرع باح بفضله¹⁷.

أجابه السيوطي :

حمدت الله العرش شكرا لفضله وأهدئ صلاة للنبي وأهله
عجبت لنظم ما سمعت بمثله أتاني عن حبر أقر بفضله
تعجب مني حين ألفت مبدعا كتابا جموعا فيه جم بنقله
أقرر فيه النهي عن علم منطق وما قال من قال من ذم شكله
وسباه بالفرقان باليت لريكن فذا وصف قران كريم لفضله
وقد قال محتجا بغير رواية مقالا عجيبا نابتا عن محله
ودع عنك ما أبدئي كفورا وبعد ذا أخذ الحق حتى من كفور بختله
وقد جاءت الآثار في ذم من حوى علوم يهود أو نصاري لأجله
يجوز به علما لديه وانسه يعذب تعديبا يليق بفعله
وقد منع المختار فاروق صحبه وقد خط لocha بعد توراة أهله
وكم جاء من مبي أتباع لكافر وان كان ذلك الأمر حقا بأصله
أقمت دليلا بالحديث ولرأهم دليلا على شخص بذهب مثله
سلام على هذا الإمام فكم له لدي ثناء واعتراف بفضله¹⁸.

ومن الواضح أن جانب المغيلي في هذه المساجلة الطريفة كان أقوى واشد من السيوطي رحمها الله وهي تدلنا على الاتجاه العقلي السائد في تلمسان والمغرب العربي موطن المغيلي في هذا العصر¹⁹. كما يتضح لنا من خلال هذه المناظرة أن المغيلي يعتبر المنطق من الوسائل المؤدية لمعرفة الحق، فمعرفة الناس بالحق، هي الأساس، والمبدأ المعتمد، وليس معرفة الحق بالناس²⁰، قد اثبت المغيلي في تعلم المنطق، بأنه السبيل الوحيد لمعرفة الله، لأن الشرع اوجب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها²¹.

2- من مقال للدكتور/ أحمد أبا الصافي جعفري أستاذ بالجامعة الإفريقية بأدرار، الموسوم "الإمام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي مصلحا / أدبيا:

← في رسالة بعثها الشيخ المغيلي للحاج محمد الأسقيا، قال:

إذا قرب السلطان أشرار قومه
وأعرض عن أختيارهم فهو طالح
وإن قرب السلطان أختيار قومه
وأعرض عن أشرارهم فهو صالح
وكل امرئ ينبغك عنه قرينه
وذلك أمر في البرية واضح
وله أيضا :
ولا تقهقه أبدا فإنما
يقهقه الأعمى ويزداد عمى
وكن على الصمت حريصا دائما
فقلما يسلم من تكلمنا
وإن يكن لا بد فاحتر تحكما
واخفض من الصوت لئلا تنلنا

← وفي ذم الدنيا وأهلها يقول:

هي الدنيا غرور في غرور
وأحلام تمر على الدهور
هي الدنيا تكنى بأمر أنثى
ومرجع من عليها للقبور
لها كيد عظيم من نعيم
ويبيض قاصرات الطرف حور
تري للناس منها بعض شيء
وتدلي نحوهم حيل الغرور
فمن يرتقى لها يبقى سريعا
ويرتقى صدره بعض النسور
فعلوبى لمن ولى سريعا
وأولى نفسه خير الأمور

لـ وتبينانا لموقفه من أنصار اليهود وموالاته الكفار، قال:

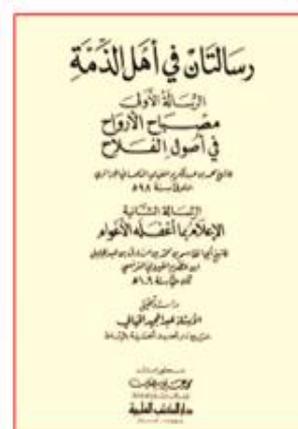
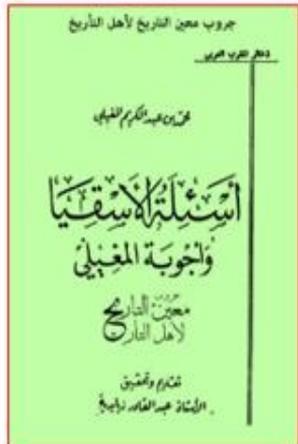
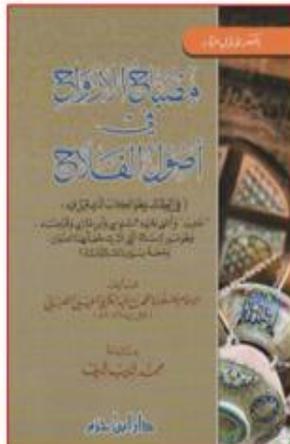
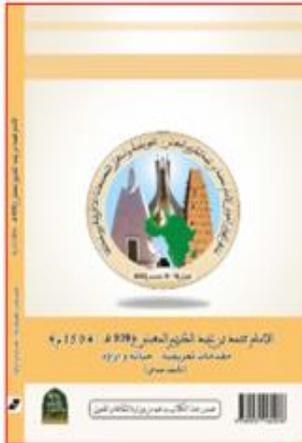
| | |
|---------------------|-----------------------|
| برئت للرب الودود | من شر أنصار اليهود |
| قوما أهانوا دينهم | وأكرموا دين اليهود |
| يكفي الفتى من شينهم | وخيث أدبل صنعمهم |
| أن قلعوا من دينهم | ورثعوا دين اليهود |
| يا ليتهم لو دثروا | واسترجعوا واستغفروا |
| وستروا ما أظهروا | من نصرهم رهط اليهود |
| ألم تركب قضي | رب الورى فيما مضى |
| أنى يفوز بالردنا | من ردتيت عنه اليهود |
| لاشك أن الحق نور | في كل سوق لا يحور |
| ينصره الرب الشكور | على النصارى واليهود |
| فيا الاهي بالنبي | المصطفى الهادي النقي |
| وكل قلعب و ولي | تمت بأنصار اليهود |
| صب البلا من فوقهم | والحق بقايا رزقهم |
| وافتح لهم من محنتهم | بابا إلى النور الوقود |
| إلا الذين استغفروا | وجبروا وما كسروا |
| وبينوا ما ستروا | حتى استقامت الحدود |
| فاغفر لهم ما قد مضى | واكتب لهم منك الردى |
| وعجلن بمن قضى | منهم لجنات الخلود |

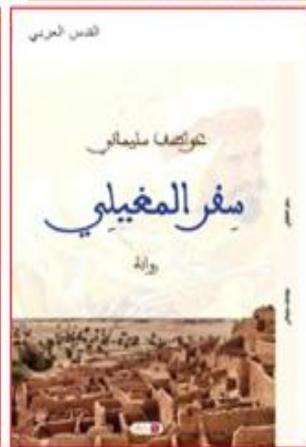
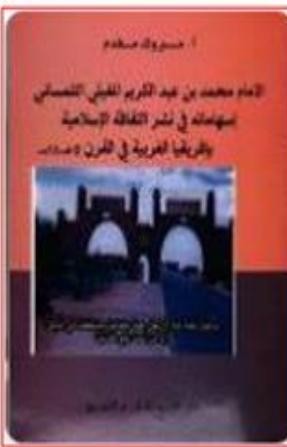
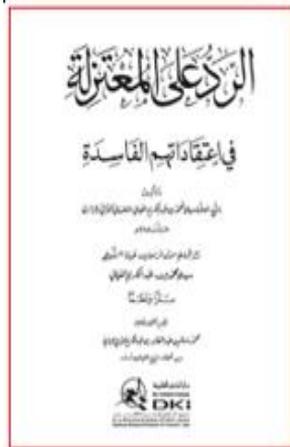
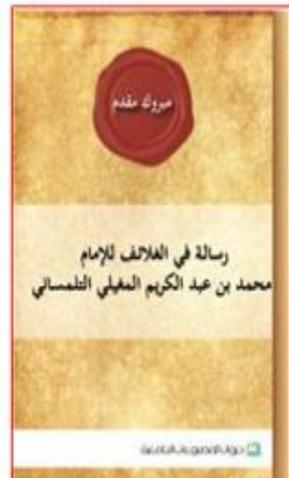
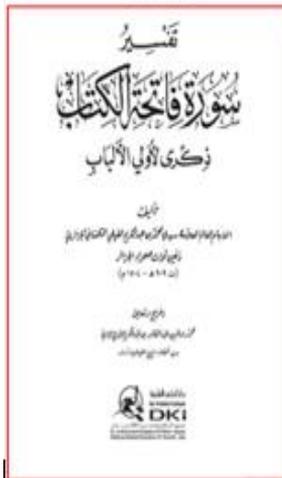
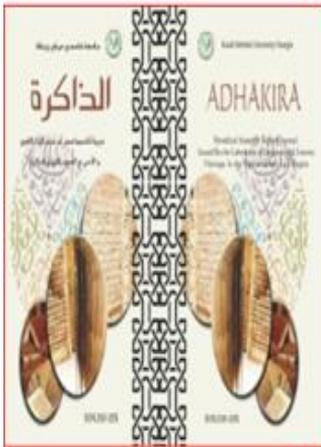
لـ وفي تضرعه لله سبحانه وتعالى بجاه النبي المصطفى وآله وأصحابه، قال:

بشراك يا قلبي هذا سيّد الامم
وهذه حضرة المختار في الحرم
وهذه الروضة الغراء ظاهرة
وهذه القبة الخضراء كالحرم
ومنزلة المصطفى الهادي وحجرته
وصحبه وبقيع دائر بحم
فقلب وغيب عن هموم كنت تملئه
وسل تمل كل ما ترجوه من كرم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي
فالعبد ذليل وذليل الله لم يغتم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي
يا من تقاضيه أمن من النقم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي
فبحر جودك مورد لكل ظم
يا سيد الرسل يا من ذليل ساحته
بيت في الأمن في غير وفي نعم
يا أكرم الخلق من حاف و متعل
يا أفضل الناس في ذات و في شيم
يا أشرف الأنبياء يا من شفاعته
عمت على الخلق في الوجدان والكرم
ياصفوة الله يامولى مكارمه
عمت على الخلق من طفل إلى هرم
يا صاحب الخوض يا بحر فضائله
عمت على الخلق من عرب ومن عجم
إني فقير إلى عفو ومرحمة
وأنت أدرى بما في القلب من ألم
وقد أثبتك أرجو منك مكرمة
وأنت أهل الرضى والجود والكرم
وحال يغني عن الشكوى إليك وقد
عرفت حالى وإن لم أحكه بنم
فاشفح لعبدك واجبر كسرته فلقد
أودى به الكسر مما نال من حرم
يا أحد يا أبا بكر ويا عمر
تنزلكم في أمان غير منهزم
فقد سمعت إلى أبواب حجرتكم
سعى على الرأس لا سعى على القدم
أنى من أم القرى يرحبوا القرى كرم
من سادة هم يحار لجود والكرم
فإن قبلتم فإني مفلح بكم

الملحق الثامن: صور لأغلفة بعض المؤلفات والكتب التي تناولت شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي.







ملحق يتضمن مقرر تسمية

ملحقة الجامعة:

﴿ الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ﴾

وبعض الصور عنها.

1-المقرر المتضمن تكريس تسمية ملحققة الجامعة:

"الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي"

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة المجاهدين و ذوي الحقوق

الوزير

مقرر رقم 04 مؤرخ في 25 رجب 1445 الموافق 06 فبراير 2024

يتضمن تكريس تسمية ملحققة جامعة 2000 مقعد بيداغوجي بالمدينة الجديدة علي منجلي

-قسنطينة - التابعة لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

باسم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي .

إن وزير المجاهدين و ذوي الحقوق ،

- بمقتضى المرسوم الرئاسي رقم 14- 01 المؤرخ في 03 ربيع الأول عام 1435 الموافق 5 يناير سنة 2014 الذي يحدد كفايات تسمية المؤسسات و الأماكن و المباني العمومية أو إعادة تسميتها لاسيما المادة 23 منه ،
- و بمقتضى المرسوم الرئاسي رقم 23- 119 مؤرخ في 23 شعبان عام 1444 الموافق 16 مارس 2023 يتضمن تعيين أعضاء الحكومة ،
- وبمقتضى المرسوم التنفيذي رقم 21- 489 مؤرخ في 29 ربيع الثاني عام 1443 الموافق 04 ديسمبر 2021 ، يحدد صلاحيات وزير المجاهدين و ذوي الحقوق .
- وبمقتضى المرسوم التنفيذي رقم 21- 490 مؤرخ في 29 ربيع الثاني عام 1443 الموافق 04 ديسمبر سنة 2021 يتضمن تنظيم الإدارة المركزية لوزارة المجاهدين و ذوي الحقوق .
- و بمقتضى القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 04 محرم عام 1436 الموافق 28 أكتوبر سنة 2014 الذي يحدد مكونات و كفايات معالجة ملف اقتراحات تسمية المؤسسات و الأماكن و المباني العمومية أو إعادة تسميتها ،
- و بمقتضى القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 04 محرم عام 1436 الموافق 28 أكتوبر سنة 2014 الذي يحدد المواصفات التقنية للوحة ووسائل التعريف المجسدة لكل تسمية أو إعادة تسمية المؤسسات والأماكن و المباني العمومية ،

- و بمقتضى القرار المؤرخ في 07 جمادى الثانية عام 1443 الموافق 10 جانفي سنة 2022 المتضمن تعيين أعضاء اللجنة الوطنية للتسمية أو إعادة التسمية ،
- وبناء على مراسلة الأمين العام لوزارة التعليم العالي و البحث العلمي رقم 44 مؤرخة في 14 جانفي 2024 المتضمنة طلب تسمية ملحقة الجامعة.
- وبناء على محضر اجتماع اللجنة الوطنية للتسمية أو إعادة التسمية المؤرخ في 04 فيفري 2024 تحت رقم 2024/01.

يقرر ما يأتي:

المادة الأولى : تطبيقا لأحكام المادة 23 من المرسوم الرئاسي رقم 14- 01 المؤرخ في 03 ربيع الأول عام 1435 الموافق 05 يناير سنة 2024 و المذكور أعلاه ،

تكرس تسمية :

- ملحقة جامعة 2000 مقعد بيداغوجي بالمدينة الجديدة علي منجلي -قسنطينة - التابعة لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية باسم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي .
- المادة 2 : يكلف القطاع المبادر بالتسمية و الوالي المختص إقليميا كل فيما يخصه ، بمتابعة تنفيذ هذا المقرر.
- المادة 3: يسري مفعول هذا المقرر ابتداء من تاريخ التوقيع عليه و يقيد في سجل المقررات الإدارية .

حرر بالجمهورية :

وزير المجاهدين و ذوي الحقوق

العميد ربيع بركة



2- بعض الصور لملحقة الجامعة "الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي"



مدخل الملحقة



واجهة الملحقة



الجنح الإداري للملحة



جنح مكاتب الأساتذة



الجناح البيداغوجي للملحقة



مكتبة الملحقة

فهرس الكتاب

| صفحة | الموضوع |
|---|---|
| 5 | كلمة الأستاذ الدكتور/ السعيد دراجي مدير الجامعة |
| 7 | تقديم الأستاذ عزيز حداد نائب مدير الجامعة للبيداغوجيا |
| المحور الأول: الجهود الإصلاحية والدعوية للإمام محمد المغيلي وامتدادها الإفريقي | |
| 10 | الشيخ الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، الفقيه المصلح أ.د. كمال لدرع |
| 87 | الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني داعية الغرب الأفريقي ومصلحه ومجده أ.د. نورالدين بوكريد |
| 119 | الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وجهوده في نشر الإسلام والتصوف في إفريقيا الدكتورة بن داود حفيظة |
| المحور الثاني: الفكر التربوي والاجتماعي عند الإمام محمد المغيلي | |
| 144 | الفكر التربوي والتعليمي عند الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي أ.د. رابح طبجون |
| 172 | معالم الشخصية الحوارية عند الإمام المغيلي، دراسة في الأفق الفكري والمنهجي أ.د. / عبد القادر بخوش |
| 199 | البعد الاجتماعي والخيري في فكر الامام محمد بن عبد الكريم المغيلي سعود علي/طالب دكتوراه |

| | |
|--|--|
| المحور الثالث: البلاغة ومنهج التأليف من خلال بعض مكتوب الإمام محمد المغيلي | |
| 221 | الدّرس البلاغي عند الإمام الشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي..... أ.د.مراد مزعاش |
| 248 | منهج الإمام المغيلي في التأليف من خلال نماذج من أعماله تأصيلاً وتطبيقاً أ.د.وسيلة شريط ود.أحمد عوماري مفتش رئيس مديرية الشؤون الدينية أدرار |
| ملحقات الكتاب | |
| 283 | ملحق الصور لبعض آثار ومآثر ومكتوب الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ونشاطات وعناوين مؤلفات عنه السيد/ عادل صال متصرف مستشار |
| 311 | ملحق يتضمن مقرر تسمية ملحقة الجامعة وبعض الصور عنها |
| 317 | فهرس الكتاب |

طبع بفرع الطبع بمركز الطبع والسمعي البصري
بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة - الجزائر -
-جويلية 2025-